عُمان

والساحل الجنوبي للخليج الفارسي

شركة الزيت العربية الأمريكية

إدارة العلاقات

شعبة البحث

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)

١٩٥٢

عُمان

والساحل الجنوبي للخليج الفارسي

شركة الزيت العربية الأمريكية

إدارة العلاقات

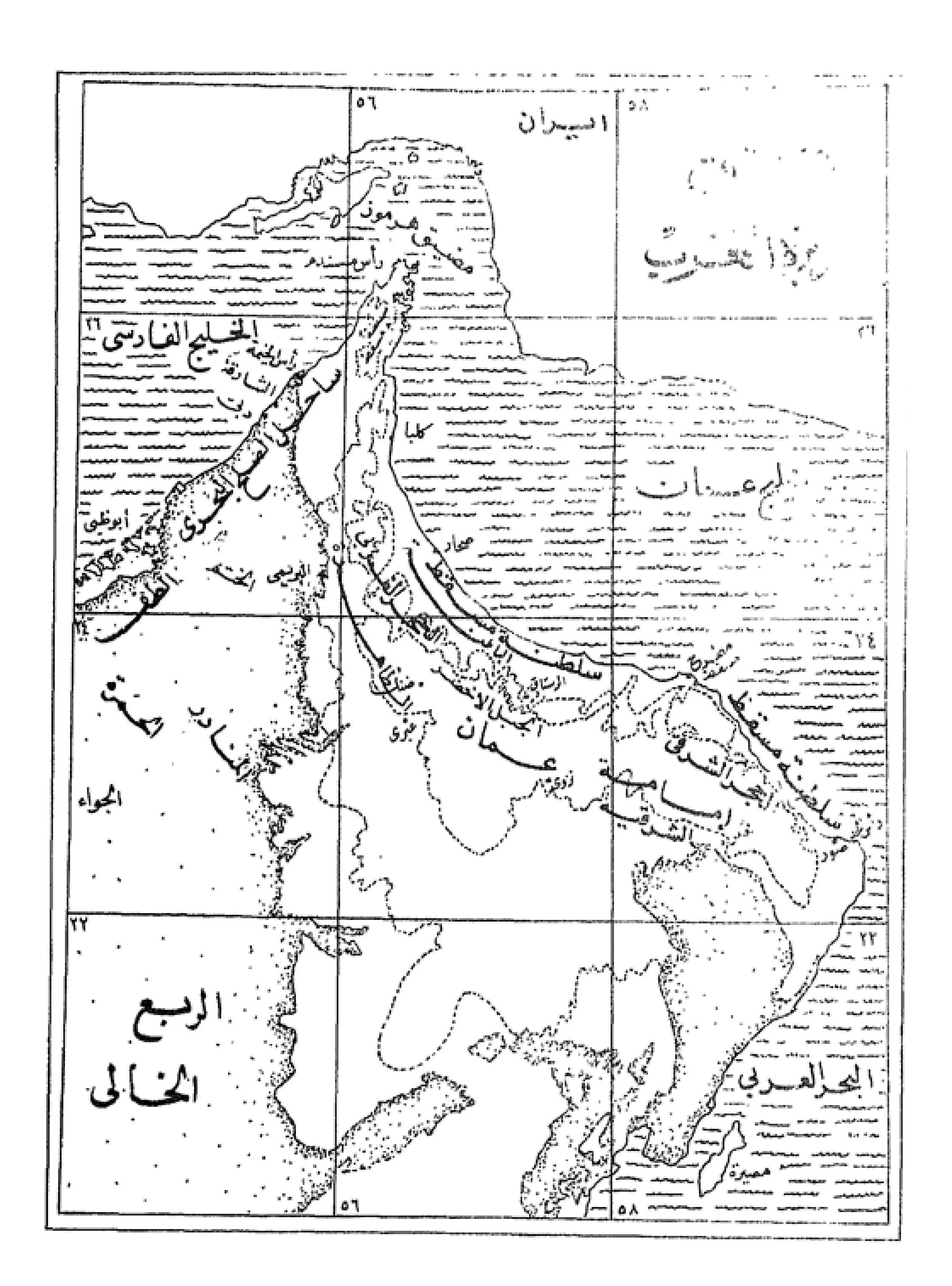
شعبة البحث

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

١٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)

١٩٥٢



ايران
هرموز
الخليج الفارسى
الشارقة
دبى
كلبا
أبوظبي
صحار
الجبل الأخضر
عبرى
عمان
صور
الجواء
الربع
الخالى
البحر العربي
مصيرة
٥٦
٥٨
٢٦
٢٤
٢٢



محتويات الكتاب

الفصل الثانى : الظاهرة

الفصل الثالث : البريمى

الفصل الرابع : أبو ظبي

الفصل الخامس : الساحل العربي السعودي

بين أبو ظبي وقطر بما في ذلك العديد

الفصل السادس : قطر

الخـــرائط

مقدمة

فى شهر ربيع الثانى عام ١٣٦٩ هـ الموافق ليناير ١٩٥٠ م فرغت شعبة البحث من اعداد كتاب عنوانه « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » يتضمن معلومات مفصلة عن الأجزاء الشرقية من ذلك الاقليم فى المملكة العربية السعودية الذى يقع بالقرب من الخليج الفارسى • وقد وجهت العناية فى ذلك الكتاب الى عدد من القبائل الخاضعة للحكومة العربية السعودية وكذلك الى المناطق التى تسكنها تلك القبائل • غير أنه لكى يفهم المرء أحوال هذه المناطق فهما جيدا ، يجب أن يلم بأحوال الأراضى المجاورة لها التى لا يزال وضعها غامضا أو التى تخضع لسيطرة حكومات أخرى دون منازع • وهذا الكتاب اذن ، مكمل للكتاب السابق لأنه يهدف الى عرض معلومات كافية للتعريف بهذه الأراضى المجاورة •

ليست هناك حدود معينة طبقا لاتفاق دولى للاراضى التى ندرسها هنا ، فلا يسع أحد أن يجزم بالحد الذى عنده تنتهى الأراضى العربية السعودية وتبدأ أراضى أية دولة من الدول المجاورة لها • وفى عام ١٩٤٩ اقترحت الحكومة العربية السعودية بعد مفاوضات استمرت نحو خمسة عشر عاما ، خطوطا معينة تعيينا دقيقا لتكون حدودا بين المملكة العربية السعودية وقطر من ناحية وبين المملكة العربية السعودية وأبو ظبى من ناحية أخرى ، غير أن الحكومة البريطانية باعتبارها ممثلة لحكومتى قطر وأبو ظبى لم تقبل هذه المقترحات بعد •

ومع ذلك فان هذا البحث ليس مجرد تحقيق فى مسائل الحدود ، ولكنه محاولة لالقاء ضوء على حقائق المناطق التى يدور نزاع بشأن

حدودها على البر • والمعلومات المدرجة هنا ذات فائدة للذين يسعون جاهدين لحل مسائل الحدود القائمة الآن ، وتسدى خدمة أبعد من ذلك فتهيىء للمعنيين بشئون جزيرة العرب فرصة الالمام بأحوال أقاليم فى جزيرة العرب لا يعرف عنها الا القليل • وقد بذل الذين أعدوا هذا الكتاب كل جهد ممكن لتقديم صورة كاملة لا تميل مع الهوى ، كما أنهم لم يتعمدوا اغفال شىء له قيمته ، مهما يكن أمره ، خشية أن يكون له تأثير محتمل فى مفاوضات الحدود ، كما أن العناية وجهت دائما الى عدم تحوير الحقائق المدرجة وعدم تشويهها •

ويبدأ الكتاب بامامة عمان ، وقد أفردت لها مساحة أكبر من غيرها للأسباب التالية : (١) ان المعلومات الموجودة عن الامامة فى الخارج قليلة الى أقصى حـد ، و (٢) ان أراضى الامامة كثيرا ما تعـد خطأ داخلة فى ممتلكات سلطان مسقط ، و (٣) انه كان للامامة تاريخ طويل جدا وكان لا معدى من عرض شىء منه لامكان تقدير حالتها الراهنة •

وعند دراسة الامامة،تنشأ مشكلة بشأن استخدام اسم عمان • فيمكن استخدامه ، كمعظم أسماء المناطق الجغرافية ، بمعان مختلفة تتوقف على من يستخدمه وعلى سياق الكلام • وعلى العموم ، يبدو أن الذين يستخدمون هذا الاسم فى العالم خارج المناطق الشرقية لجزيرة العرب يكادون يجمعون على اعتبار عمان شاملة للقسم الكبير من جزيرة العرب الواقع بين ساحل الصـلح البحرى على الخليج الفارسى ، وبين ذلك الجزء من السـاحل الجنوبى لجزيرة العرب الذى يمتد من رأس الحد الى ما يجاور جزيرة مصيرة • وهذا الاستعمال يتضح من أن الغربيين يطلقون اسم خليج عمان على ذراع البحر العربى التى تقوم عليها مدينة مسقط • غير أنه فى شرق جزيرة العرب يميل السواد من الناس الى استخدام كلمة عمان عند الحديث عن الجزء الداخلى وحده من هذا القسم • وبناء على هذا الاستعمال ، تصبح مسقط خارج عمان ، وكذلك هذا هو شأن الباطنة ، وهى المنطقة

الواقعة شمال غربى مسقط بين الجبال والبحر وتبدأ عمان عندما يدخل المرء منطقة جبال الحجر • ويقتصر اسم عمان أحيانا على الجزء الأوسط من المناطق الواقعة الى جانب جبال الحجر فى اتجاه الربع الخالى[1] • أما فيما يتعلق بهذا البحث ، فان عمان تعنى المعنى الأوسع الذى يستعمله عادة سكان البلاد أنفسهم ، ويمكن تحديدها على وجه التقريب بأنها الجزء الرئيسى من الحجر ومن الأراضى الواقعة بين هذه الجبال والربع الخالى • وطبقا لهذا التعريف ، تقع أراضى الامامة ومنطقة الظاهرة كلها فى داخل عمان • ومن ناحية أخرى يعد ســاحل الصلح البحرى وحدة جغرافية منفصلة ليست جزءا من عمان •

والساحل الجنوبى للخليج الفارسى يطلق على الساحل من أبو ظبى الى قطر • والدول الأخرى على ساحل الصلح البحرى ، فيما خلا أبو ظبى ، لا تبحث بالتفصـيل لأنه ليس لدولة منهـا أراض تلاصـق المملكة العربية السعودية •

وأكثر المناطق التى نبحث فيها هنا ، لم يجر فيها مسح فنى واف ، كما أن جميع الخرائط التى نشرت تفتقر الى كثير من الدقة المطلوبة • وقد أعد عدد من الخرائط لهذا الكتاب خاصة ، وهى تساعد القارىء على أن يتبين طريقه فى خضم معميات جغرافية عمان وتاريخها وكذلك الساحل الجنوبى للخليج الفارسى • غير أنه عند الرجوع الى هذه الخرائط يحسن بالقارىء أن يدرك أن هذه الخرائط ليست سوى رسوم لامعدى من أن يظهر فيها نقص المصادر التى اعتمد عليها فى رسمها •

اننا نقوم الآن بطبع هذا النص العربى للكتاب فى الوقت الذى نقوم فيه بطبع النص الانكليزى • ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت لادماج بعض التغييرات التى أدخلت على النص الانكليزى أثناء الطبع ، ضمن

---

(١) ويطلق على هذا الجزء الاوسط اسم عمان الوسطى فى هذا الكتاب .

النص العربى • فقد أضيفت الى النص الانكليزى بعض المعلومات التى اكتشفت حديثا ولم تدمج فى النص العربى • ولذلك فعندما يظهر اختلاف بين النصين ،يكون النص الانكليزى هو الذى يعتمد عليه ، هذا مع أننا لم ندخر جهدا لضمان الدقة فى النص العربى كما تجده بين يديك • ولم تسنح لنا الفرصة لالحاق الفهرست والملاحق بالنص العربى • وقد ذكرت المراجع العربية للكتاب بالخط العربى فى القائمة الخاصة بالمراجع الملحقة بالنص الانكليزى •

وقد وضع هذا الكتاب بتعاون جميع موظفى شعبة البحث • فساهم كل من الدكتور تشارلس ماثيوز وهومر ملر وبيتر سبيرز ووليم ملقن وهلن هلباخ مساهمة مقدورة عظيمة فى أعمال البحث والكتابة ورسم الخرائط والطبع والترجمة اللازمة للنصين • وقد كتب المستر جيمس نايت من رجال شعبة الاتصال الجنوبية الملحقة بادارة العلاقات الفصل الخاص بالعديد • وقد انتفعنا كثيرا بمعلومات المستر رتشارد ينق الواسعة فى القانون الدولى وتطبيقه على الخليج الفارسى وجزيرة العرب • كما أن المستر توماس بارقر مدير ادارة العلاقات أبدى اهتماما جديا بهذا العمل منذ الشروع فيه ؛ وكان لتشجيعه ولتشجيع غيره من كبار رجال شركة الزيت العربية الأمريكية فضل مشكور فى نضوج هذه الثمرة •

لقد أضيف الشىء الكثير الى المراجع المكتوبة عن المناطق وزيدت تفصيلات كثيرة نتيجة للأحاديث المستفيضة التى جرت مع رجال عاشوا فى تلك المناطق وجابوا خلالها • وقد قدم هؤلاء الرواة من الحضريين والبدو معلومات قيمة للغاية عن أوطانهم وأهليهم وبذلك ملأوا الفراغ الموجود فى التاريخ المدون وأمدونا بمعظم المادة التى تختص بمعالم البلاد وبالقبائل •

قد كان الأعضاء العرب فى شعبة البحث فى مقدمة الذين أمدونا بمعلومات من هذا القبيل وعلاوة على هذا فعن طريقهم تعرف المؤلفون

على معظم الرواة الآخرين • وهؤلاء الموظفون فى شعبة البحث هم : سعيد بن ناصر الهاجرى وعلى بن حميد المنصورى وثعيلب بن صقر العامرى وعوض بن ناجى المنهالى وسعيدبن عمير النعيمى •

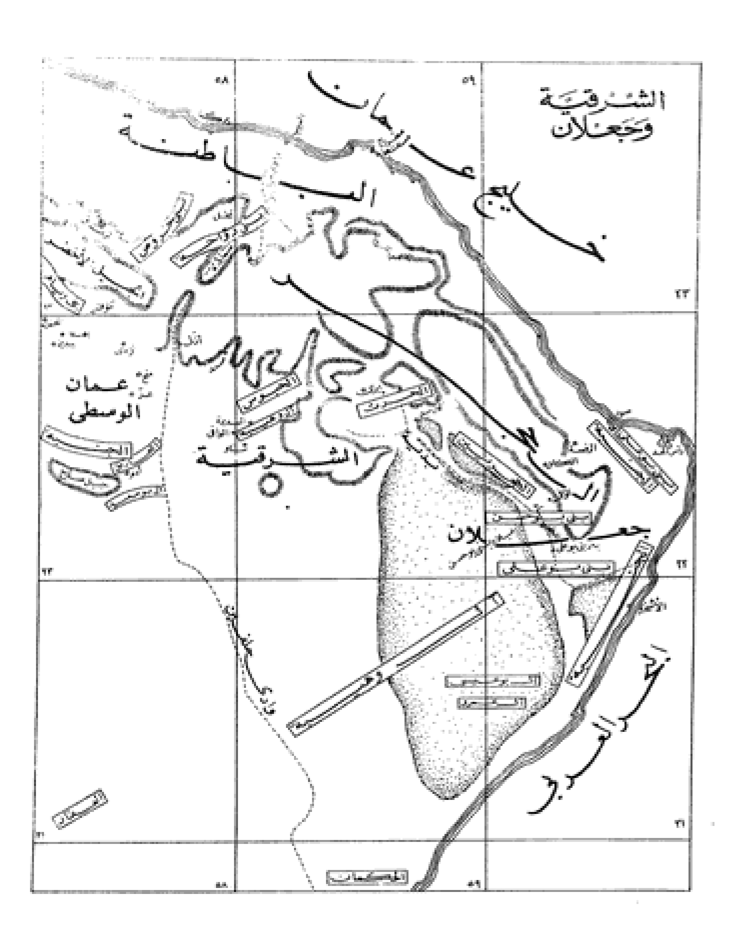
أما الذين أدوا لنا خدمات بوصفهم رواة فهم أكثر عددا من أن نذكرهم بأسمائهم الا أننا نذكر بالتقدير عبد الله بن محمد المعمرى وحمد بن محمد الحجرى وحمد بن محمد الحرسوسى وسعيد بن راشد البلوشى وحمود بن سعيد الوهيبى وسعيد بن عبد الله الغفارى •

جورج رنس

القاهرة { ١١ ربيع الأول ١٣٧١
١٠ ديسمبر ١٩٥١

إمامة عُمان





الشرقية
وجعلان
خليج عمان
السلطنة
عمان
الوسطى
الشرقية
جعلان
البحر العربي



إمامة عُمان

امامة عمان دولة اباضية مستقلة ، تشغل الجانب الأكبر من أرض عمان فى شرق الجزيرة العربية • وقل ما يعرفه العالم عن هذه الدولة ، حتى الثقات فى الشئون العربية بغير استثناء تقريبا ، ليسوا على معرفة وثيقة بها • أما الحكومتان البريطانية والأمريكية فتعترف كلتاهما بحاكم مسقط على أنه سلطان مسقط وعمان ، فكأنهما تعنيان أن بلاد عمان خاضعة لسلطة السلطان • والحقيقة أن سلطان مسقط لم يكن له شىء يذكر من السيطرة الفعالة على عمان منذ أكثر من قرن ؛ وأما الامامة نفسها فلها تاريخ يرتد الى ما يزيد على ألف سنة وهى لم تزل تستمتع بوضعها الحاضر كحكومة مستقلة مستقرة فى عمان منذ نحو أربعين سنة •

ان بلاد عمان المعرّفة هنا بأنها تضم الجانب الأكبر من السلسلة الطويلة من الجبال التى يطلق عليها اسم الحجر ، والأراضى الواقعة بين هذه الجبال وبين الربع الخالى ، هى من أشد أجزاء الجزيرة العربية امتناعا على الرواد ، ولم يزرها سوى عدد قليل جدا من الرواد الغربيين ، والسياسة الرسمية التى تتبعها حكومة الامام فى ثنى أهلها عن الاتصال بالعالم الخارجى ، تعزز هذه العزلة فى أرضها • فهذه الحكومة لم تنشىء علاقات سياسية مع أية دولة أجنبية ، والروابط الاقتصادية التى تربط الامامة بأقطار خارج حدودها الطبيعية قليلة •

صاحب السلطة العليا فى الامامة هو الامام محمد بن عبد الله الخليلى ؛

الذى يقيم فى عاصمته نزوى ، بالقرب من السفح الجنوبى الغربى من الجبل الأخضر • والامام هو فى المقام الأول ، رجل دين ، بيد أنك لا تجد حدا فاصلا فى نظام الدولة بين شـئون الدين وشئون الدنيـا وفقا للعرف الاسلامى القـديم • والامام يعتمد اعتمادا كبيرا فى ادارة حكومته على أقوى رجلين فى سياسة القبائل فى عمان ، وهما الشيخ سليمان بن حمير أمير الجبل الأخضر ، والشيخ صالح بن عيسى أمير الشرقية •

سلطنة مسقط وإمامة عمان

تتألف أراضي سلطان مسقط من (١) منطقة مسقط ومطرح ، (٢) المنطقة الساحلية الطويلة التى تدعى الباطنة بين الحجر الغربى والبحر ، (٣) شبه الجزيرة الشمالى المعروف باسم روس الجبال ، (٤) الأراضى فى جوار رأس الحد ؛ (٥) منطقة ظفار الى الشرق من حضرموت . أما أهل صور وما يحف بها ، وهى لا تبعد كثيرا غربى رأس الحد ، فيعترفون أحيانا بسلطة السلطان ويأبون أن يعترفوا بها أحيانا أخرى ، وقد يعدون اليوم تبعا له مع أنه يلوح أن سيطرته عليهم محدودة . أما وضع ساحل البحر العربى الممتد جنوبا من رأس الحد فيبدو غامضا ، ولكن يلوح أن للسلطان شيئا من حق فى ملك جزيرة مصيرة الكبيرة الواقعة تجاه الساحل .

هذه الممتلكات لا تؤلف منطقة واحدة متصلة . فأرض كلبا وهى احدى امارات الصلح البحرى تفصل روس الجبال عن الباطنة ، ومنطقة جعلان حيث للامامة نفوذ غير يسير تفصل ظفار عن صور ومسقط . والمواصلات بين أجزاء السلطنة المختلفة تتم على الأكثر بحرا . فالسلطان يصرف جانبا كبيرا من وقته فى سلالة ، عاصمة ظفار ، وهو يستقل مركبا فى سفره بين سلالة ومسقط .

وسلطان مسقط اليوم هو سعيد بن تيمور من آل بو سعيد الذين تحدروا أصلا من بلد أدم فى عمان الوسطى . وفى سنة ١١٥٧ هـ الموافقة ١٧٤٤ م استطاع أحمد بن سعيد مؤسس الأسرة الحاكمة من

آل بو سعيد أن يرد الغزاة الفرس عن ساحل الباطنة وتمكن بعد ذلك من أن يضمن لنفسه عقد امامة عمان له[1] • فلما توفى انتخب ابنـه اماما خلفا له . ولكنه انسحب الى الجبال وعاش فى شبه عزلة ، فذوت الامامة • وقد نقل الحكام من آل بوسعيد مقر الحكم من الداخل الى الساحل • ولم يزالوا منذ الجزء الأول من القرن الهجرى الثالث عشر الموافق للجزء الأخير من القرن الميلادى الثامن عشر يحملون لواء الحكم فى مسقط كحكام زمنيين لا يزعمون لمنصبهم سلطة دينية خاصة ، أما أعظمهم سعيد ابن سلطان الذى حكم من سنة ١٢١٩ هـ الموافقة ١٨٠٤ م الى ١٢٧٣ هـ الموافقة ١٨٥٦ م فلم يطلق على نفسه لقب الامام أو السلطان مع أن الأجانب الذين لم يكونوا على المام بحقيقة الواقع أطلقوا اللقبين كليهما عليه • وقد اكتفى هو بلقب السيد ولكن هذا اللقب لم يكن فى هـذه الحالة دليلا على تحدره من أسرة النبى محمد كما هو شائع فى الجزيرة العربية ، وهـذا هو اللقب الذى عرفت به سلالته من بعـده بين العرب فى شرق الجزيرة العربية الى يومنا هذا •

كانت سيرة سـعيد بن سلطان مدعاة لتوسيع الهوة الشاغرة بين آل بوسعيد وبلاد عمان فى الداخل • فقد كانت عناية سعيد منصرفة على الأكثر الى تعزيز ما اكتسب من ملك جديد وراء البحار فى زنجبار وأفريقيا الشرقية ، فضعفت سطوة حكومته فى مدن عمان وبين قبائلها ضعفـا مطردا ، ولم يتمكن أحد من خلفائه أن يسترد استردادا كاملا ما كان للأسرة من منزلة فى الجبال وفى الأراضى التى وراء الجبال • ان مدينة مسقط تطل على البحر ، والمسالك التى تعبر البحار هى أيسر وأدعى الى

---

(١) لم نحصل على تاريخ هذا العقد بوجه الدقة .

الاقبال عليها من معابر الجبال التى وراءها . وقد حرص سلاطين مسقط الحين بعد الحين على توكيد ما يزعمونه لأنفسهم من سلطة فى عمان ، جنوبا وغربا الى الربع الخالى ، مع أنه لم يكن ثمة أساس قوى يؤيد هذا الزعم .

حقا ان عزان بن قيس الذى عقدت الامامة له فى سنة ١٢٨٥ هـ الموافقة ١٨٦٨م وظل اماما الى يوم وفاته فى سنة ١٢٨٧هـ الموافقة ١٨٧١م كان من آل بوسعيد ، ولكن جماعة الاباضيين اختارته اماما معارضة لآخرين متحدرين تحدرا مباشرا من صلب البيت السعيدى ، فانتخاب عزان ينبغى أن يعد مثلا رائعا على رغبة سكان عمان فى أن يستقلوا تحت حاكم يرفعونه بأنفسهم الى منزلة الحكم .

فاذا نظرت الى ما حدث بعيون أهل عمان رأيت الغربيين قد أساءوا تفسير الحوادث التى تمت فى خلال الخمس والثمانين سنة الماضية ولم يعدلوا عنه . فقد وصف بعث الامامة بعقدها لعزان فى سنة ١٢٨٥ هـ الموافقة ١٨٦٨ م واعادتها فى سنة ١٣٣١ هـ الموافقة ١٩١٣م على أنهما تمرد أو ثورة على سلطة السلاطين المعترف بها . أما جل أهل عمان ، أى جماعة الاباضيين فى الداخل ، فلم يعدوا هذين الحادثين تمردا أو ثورة . فالامامة كما سنبين فى تاريخها فى الفصول التالية ، لها أصول عميقة فى البلاد ، فهى ذلك النوع من الحكم الذى ألفه الناس بالتقليد والاختيار ، فلما تخلى آل بوسعيد عن الامامة لاهتمامهم بمصالح دنيوية ، تركت البلاد فى عرف الاباضيين بغير رئيس أعلى حتى حان الحين لانتخاب امام جديد . ومذهب الاباضيين لا يحرص على ضرورة توالى الائمة فى المنصب تواليا غير منقطع . فان لم يكن هناك مرشح صالح لهذا المنصب سمحوا بوقوع فترة تكون فيها البلاد بغير امام ، فاذا بلغ الاتفاق على انتخاب امام جديد مبلغا كافيا قيل ان الجماعة

قد عادت الى حالتها السوية المرغوب فيها • وهذا هو عين ما حدث فى سنة ١٢٨٥ هـ ثم فى سـنة ١٣٣١ هـ • وفى الوقت نفسه كان استياء الاباضيين من السلطان باعثا فى الحالين على هجوم شن على مسقط فكان ذلك الهجوم أساسا لما أطلق عليه الأجانب وصف الثورة •

يظهر مما تقدم أن الحاجز الكبير بين السلطنة والامامة هو حاجز دينى فى طبيعته ؛ ففى مسقط أمور كثيرة ألفت أو تعد مقبولة نتيجة لاتصال مسقط بالهند وبالغرب : ولكن الاباضيين فى الداخل يتنكرون لها أو يستنكرونها استنكارا صريحا • وكثير من العداء الذى يكنه رجال قبائل عمان للسلطان يرتد الى الزمن الذى كان فيه السلطان يتعاون مع الانكليز فى حملاتهم للقضـاء على تجارة الرقيق وتهريب الأسلحة • فالاباضيون المحافظون يذهبون الى أن الرقيق ليس ممنوعا فى شريعة الاسلام وينبغى أن لا يتدخل فيه أحد ، وقد عارضوا أيضا كل سعى الى الحد من نشاط المهربين الذين يمدونهم بالأسلحة والذخيرة • ولما كان حكام آل بو سعيد اباضيين أيضا ، فى الاسم على الأقل ، فقد ساعدت هذه الحقيقة على زيادة التبرم بأعمالهم بين المتحمسين الذين يقطنون فى الأرض وراء الجبال •

ثم جاء دخول الأجانب والأخذ بالأساليب الأجنبية كفرض الرسوم الجمركية فى أراضى السلطان باعثا على استياء السكان فى الداخل • وموقف الامامة من أكثر الأشياء التى لها أصل أجنبى هو أنهـا بدع تنتهك بطريقة ما المبادىء الأصلية فى الديانة الاسلامية •

وقد زاد الهوة بين الامامة والسلطنة كره الامام وكثير من أتباعه للأجانب على خلاف ما كان يلقاه هؤلاء من حسن ضيافة فى مسقط على الغالب • ولم يسمح فى السنوات المتأخرة لأحد من الغربيين أن يدخل

أرض الامامة مسافة ما سوى لبعض أطباء الارسالية الأمريكية الذين ذهبوا للقيام بأعمال طبية ومع ذلك فقد كان لقاؤهم عند الامام وبعض رجال حكومته لقاء فاترا .

وأخيرا ينبغى أن ننظر فى العلاقات بين الامامة والسلطنة من ناحية تأثير الأحوال الاقتصـادية فيها . ففى قدرة السلطان أن يضغط على الداخل لأن الواردات الى الداخل تمر فى مرافئه حيث يستطيع أن يفرض عليها رسوما جمركية أو يستطيع اذا شاء أن يمنع مرورها [1] . على أن خطورة هذه الحالة عرضة للمبالغة فيها ؛ لأنه اذا استثنينا السلع المصنوعة كان الداخل قادرا على الاكتفاء بما لديه الى حد بعيد ؛ فاعتماده على الواردات من الخارج ليس سوى اعتماد قليل . ويقابل هذا انه من المحتمل أن يحدث تغيير مطرد بطىء اذا تعود أهل عمان السلع الغربية ومالوا الى عدها من الضروريات لا من الكماليات وحسب . ويضاف الى ذلك أن قدرة الداخل على هذا الاكتفاء قد ضعفت فى السنين المتأخرة لما منيت به الشرقية من جفاف شديد اثر جفاف .

أما السلطنة فأقـل قدرة على الاكتفاء من الامامـة ، والأحوال الاقتصادية على الساحل خطيرة ان لم تكن حرجة . فقد ذهب الدخل الآتى من تجارة الرقيق وتهريب الأسلحة وصارت السلطنة مضطرة أن تعتمد اعتمادا كبيرا على مورديها الرئيسيين ، التمر والسمك . حتى تجارة التمر ليست اليوم كما كانت ، فمنذ ثلاثين سنة أو نحوها كان معظم التمر الذى تستورده الولايات المتحدة يأتيها من موان تابعة للسلطان

---

(١) تضع السيطرة على المرافىء فى يد السلطان مقدارا من السيطرة على بعض أهل الامامة لأنه اذا شاء هؤلاء أن يسافروا الى الخارج وجب عليهم فى العادة ان يطلبوا جوازات من حكومة السلطان ، واما الامام فلا يرضى عن مثل هذا الأسلوب المستحدث .

ولكن بعد أن أنشئت شركات الاستيراد الأمريكية فى البصرة وغيرها ، وبعد أن تقدمت زراعة النخيل فى الجانب الجنوبى الغربى من الولايات المتحدة وازدهرت ، طرأ تغيير على ذوق الشعب الأمريكى فصار يفضل التمر ذا اللون الأسمر الفاتح الآتى من العراق أو من كاليفورنيا على تمر مسقط ذى اللون الأسمر القاتم ، ولم توجد بعد ذلك لتمر مسقط سوق أخرى تحل محل السوق الأمريكية .

ويبدو الآن أن أكبر أمل فى تحسين الحالة الاقتصادية السيئة فى الدولتين قائم على امكان اكتشاف الزيت ، وهو امكان لا تستطيع أن تمحو أثره من نفوس قوم يعيشون على مقربة من أراضى الشرق الأدنى التى يزخر جوفها بالزيت . وكل توسع كبير فى أراضى السلطان يوسع أمله فى الظفر بريع أكبر اذا وجد الزيت يوما ما فى الأراضى الخاضعة له . وفى الوقت نفسه ترى بعض الشيوخ فى الداخل برغم عزلتهم عن العالم قد بدأوا يدركون ما للزيت من شأن كبير فى الاقتصاد الحديث وليس من المرجح أن ينزلوا عما لهم من أمل فى الظفر بريع الزيت ان لم ينالوا مقابل ذلك مزايا بينة .

حدود امامة عمان واراضيها

ليس فى الوسع تعيين تخوم امامة عمان بشىء من الدقة وليس هناك على ما يعرف معاهدات أو اتفاقات بين الامامة والدول المتاخمة نعين التخوم أو تبين مدى الأراضى التابعة لكل دولة • ومع ذلك فى الوسع تعيين الحدود الجغرافية لسلطة الامام وحكومته بوجه عام ، وان كانت هذه الحدود فى كثير من الأحيان غامضة غير مستقرة •

يمتد نفوذ الامامة فى الجنوب الشرقى الى سواحل البحر العربى ولكن من الأشياء التى يحوطها الريب مسألة سيطرة الامام على أية شقة طويلة من الساحل ، فالامام لا يرغب فى الاتصال بالعالم الخارجى ولا يحركه الحث على تثبيت أقدامه على حافة المحيط • فالساحل من جوار رأس الحد الى جوار ظفار تشمله منطقة القبائل التى تستمتع باستقلالها أو التى تتردد فى أن تخضع لأى سيد سوى خضوع بالاسم • أما ذلك الجزء من الشاطىء الواقع الى الجنوب الشرقى من الشرقية والذى يشمل مرفأ الأشخرة الصغير ، فيقع فى ديرة ولاد حمودة من بنى بو على وهم اسما من أتباع سلطان مسقط • أما جزيرة مصيرة فتابعة لديرة قبيلة الجنبة وأقسام من هذه القبيلة تابعة للامام ، ولكن السلطان استطاع فيما يلوح بما له من نشاط فى البحر وما ناله من اعتراف الحكومتين البريطانية والأمريكية أن يثبت حقه فى هذه الجزيرة • فهو الذى أذن ، لقاء مبلغ من النقد ، فى انشاء مطار فى مصيرة استعمله الانكليز والأمريكيون فى أثناء الحرب العالمية الثـانية •

أما مدن جعلان بين الشرقية والساحل فتجد منها الـكامل والوافى وبلاد بنى بو على ميالة الى ناحية مسقط ؛ على حين ترى بلاد بنى بو حسن ، وهى واحة كبيرة ، خاضعة لسلطة الامام . وليس ثمة حدود واضحة بين السلطنة والامامة فى هذه المناطق ، فأراضى الواحدة تختفى رويدا رويدا قبل أن تبدأ أراضى الأخرى كما يختفى ضوء النهار قبل حلول الشفق .

أما فى الشمال فالحاجز الطبيعى الذى تكونه سلسلة جبال الحجر هو بوجه عام الحد لسلطة الامام التى تميل الى الانبساط على قمم الجبال وتمتد فى بعض الأماكن الى السفوح الشمالية والشرقية نحو منطقة الباطنة الساحلية التى تسيطر عليها السلطنة . فبلدة سمايل التى تحرس أهم معبر فى الجبال الى الداخل هى فى أيدى الامام أسوة بالمعقل المشهور معقل الرستاق القائم على المرتفعات فوق الباطنة .

أما فى الشمال الغربى فأرض الامامة تمس الحافة الجنوبية الشرقية لمنطقة الظاهرة حيث تجد أحد ولاة الامام يجلس فى مدينة عبرى الخطيرة الشأن متخذا منها ركنا للامامة فى تلك الناحية . والأرض وراء عبرى الى الأودية فى الشمال من البريمى ، حرة ؛ والسلطة فيها يتنازعها حكام المدن الصغيرة وشيوخ القبائل المتنقلة . فجماعة الاباضيين من عمان لم تدخل البريمى فى حوزتها منذ أن كانت لها زمنا قصيرا فى عهد الامام عزان بن قيس قبل نحو ثمانين سنة ، وقد باءت محاولتهم الاستيلاء عليها سنة ١٣٤٤ هـ الموافقة ١٩٢٥ م بالخيبة .

أما فى الغرب والجنوب الغربى فأرض الامامة تمتـد نحو رمال الربع الخالى . وفى هذه الناحية تتصل الامامة بالمملكة العربية السعودية ، ولكن لم تجر حتى الآن أية مفاوضات بين الدولتين لتعيين التخـوم المشتركة .

فالأرض الواقعة بين هذه الحدود بوجه عام مؤلفة من ثلاث مناطق رئيسية : الجبل الأخضر وعمان الوسطى والشرقية • ولكن نفوذ الامام يمتد الى منطقة رابعة هى جعلان الواقعة عند الحد الخارجى للجزيرة العربية بين الشرقية والبحر . بيد أن سيطرة الامام هنا ليست تامة فوق كل نزاع كما هى فى المراكز الأخرى للدولة •

الجبل الأخضر هو قلب الحجر ، ولكنه ليس الأرض الجبلية الوحيدة التابعة للامامة ، بيد أن قيمة موقعه من الناحية الاستراتيجية وقوة أميره تضعانه فى منزلة خاصة • والجبل الأخضر هو أقرب مناطق الامامة الثلاث الى مسقط والى العالم الأوسع أمامها ، فهو بطبيعة موقعه أكثرها تعرضا للتأثير الخارجى وأكثرها ملاءمة لظهور الميول الى الانفصال عن الامامة ، مع أن الجبل فى الوقت نفسه أقرب الى عمان الوسطى ومقر الامامة منه الى مسقط . وأهل الجبال مشهورون بولائهم لقبائلهم وبتحفظهم فلذلك لم تبد حتى الآن أية محاولة ظاهرة لرفض سلطة الامام •

أما عمان الوسطى بمدنها القديمة المشهورة ، مدن نزوى وأزكى وبهلا ويبرين ، فلم تزل منذ قرون المركز الأول لتديّن الاباضيين وفقههم وعلمهم • هنـــا تتركز القوى الأدبية والدينية للامامة ، ومن هنا تنطلق كلمة الامام المبجل لتنتشر بين شعبه •

أما منطقة الشرقية فلم تزل منذ عهد الامام عزان بن قيس الى عهد قريب ، هى العمود الفقرى للقوى الحربية فى الداخل ، بيد أن الأثر المميت للجفاف ووفاة الشيخ الكبير عيسى بن صالح فى سنة ١٣٦٥ هـ الموافقة ١٩٤٦ م قد مالا بهذه المنطقة الى ضعف منزلتها فى العهد الأخير • حتى عاصمة المنطقة ، مدينة القابل ، وصفها الذين رأوها فى السنتين الأخيرتين بأنها مدينة ميتة • ولكن أهل الشرقية كانوا فى الماضى أهل بأس وحزم ، وقد يكون فى قدرتهم أن ينفخوا فى الأرض حياة جديدة •

تاريخ إمامة عمان

أصول الامامة

الامامة منشأة قديمة فى عمان ، ترتد الى القرن الثانى من العصر الهجرى الموافق للقرن الثامن من العصر المسيحى • وقد أنشأ الاباضيون من المسلمين هذه المنشأة وصانوها هناك ، وهم فرع من الخوارج الذين قاموا بحركة عصيانية دينية محافظة وانفصلوا عن الكيان الرئيسى لاتباع الاسلام فى أيام على بن أبى طالب ، وقد قصد بعضهم الى شرق الجزيرة العربية واستقروا فى جبال عمان ، حيث نشروا عقائدهم التى تعرضت لتغييرات يسيرة فى القرون المتتالية • ويمكن اعتبار امامة الاباضيين فى عمان من المخلفات الحية للخلافة الاسلامية الأولى ، ولا يزال الامام الاباضى يختار بطريقة تكاد تماثل طريقة اختيار الخلفاء الأولين فى القرن الهجرى الأول.• وليس مما يغفل شأنه أن نعرف أن لقب الامام نفسه كان يطلق على الخليفة أحيانا فى تلك الأيام •

الامامة فى العصور الوسطى

منذ فجر التاريخ فى عمان ، وجدت عوامل تفرقة فى حياة الشعب أدت الى جعل توحيد البلاد أمرا عسير التحقيق • وكما هو الحال فى أجزاء الجزيرة العربية الأخرى ، جرت كل قبيلة وكل بلدة على أن تجاهد لتكون قوة فى حد ذاتها ، مؤثرة الاستقلال حتى مع الفوضى ، على العمل المشترك لمصلحة المجتمع العام • وقد ساعد الطابع الجبلى للبلاد على تفتيت الحياة السياسية ، فأصبح من الميسور لكل قبيلة أن تصون كيانها فى واديها الخاص الضيق البعيد المنال • أضف الى ذلك أن المنافسة القديمة بين عرب الجنوب وعرب الشمال لا تزال باقية حتى اليوم فى عمان بغير أن تفقد شدتها ، هذا مع أنها زالت من زمان بعيد فى مناطق أخرى من العالم العربى • ويلوح أن المنافسة فى عمان بدأت عندما وفدت للمرة الأولى عناصر من الجنوب وعناصر من الشمال ولم تخمد الا قليلا• وكان عرب الشمال يعرفون فى عمان باسم النزارية قرونا عدة ، كما كان الجنوبيون يعرفون باليمنية • ومنـــذ أكثر من مائتى سنة نشبت حرب أهلية أسفرت عن تسمية الشماليين باسم الغافرية وتسمية الجنوبيين باسم الهناوية • والاتجاه العام هو أن تقف الفئتان متعارضتين ، حتى ولو لم تشتركا فى حرب سافرة • واذا وحد أعضاء الفئتين المتعاديتين قواتهما — كما يحدث أحيانا — كان التحالف بينهما غير وثيق العرى • غير أن عقد حلف بين الفئتين وصونه ، هو أمر لا يستغنى عنه فى انشاء سلطة قوية مركزية فى البلاد • وهذا يقتضى زعامة موهوبة ويقتضى دأبا فى تعزيز النية الحسنة من جانب الجميع • وقد عاشت الامامة هكذا طويلا لأنه كان

من الممكن بين وقت وآخر تحقيق أحلاف بين الفئتين وان كانت جزئية ، غير أن تاريخ الامامة كان تاريخا متعثرا بسبب الصعوبة الطبيعية التى تعترض تحقيق هذا .

فى الفترة الواقعة بين النصف الأول من القرن الهجرى الثانى والنصف الأول من القرن السادس ، نجد فى كتب التاريخ العربية لعمان ذكرا لسلسلة تكاد تكون متصلة للأئمة . أما الأوقات التى كان يخلو فيها مقعد الامام فى هذه الفترة فهى قليلة ومدتها وجيزة . غير أنه فى الفترة الواقعة بين النصف الأول من القرن السادس ، وأوائل القرن التاسع ، يلوح أن مقعد الامام خلا مدة تزيد على مائتى عام لأنه لم يرد شىء عن اختيار شخص لهذا المنصب . وفى أوائل القرن التاسع بعثت الامامة واستمرت ما يزيد على قرن ونصف قرن ، ثم خلا مقعد الامامة مرة أخرى مدة نيف وستين عاما .

فى نحو عام ١٠٣٤ هـ الموافق ١٦٢٤ م اختير رجل من قبيلة اليعاربة اماما ، وظل الأئمة يختارون من هذه القبيلة ما يزيد على قرن بعد ذلك . وهذا الميل الى قصر الاختيار على أعضاء قبيلة واحدة ، أى وضع نظام يكاد يدنو من نظام الأسر الدينية ، ازداد وضوحا فى أثناء القرن الحادى عشر بعد أن بدت بوادره حينا بعد حين فى الزمن السابق ؛ وظل منذ ذلك الوقت قوة يحسب لها حساب فى عمان .

الإمامان من آل بو سعيد

فى عام ١١٥٦ هـ الموافق ١٧٤٣ م فقدت قبيلة اليعاربة نهائيا سيطرتها على الامامة وظهر على المسرح ممثل لقبيلة أخرى وسرعان ما ظفر لنفسه بأعلى مراتب الشرف فى الدولة • وكان آل بو سعيد حتى ذلك الوقت قبيلة صغيرة من الهناوية غير ذات شأن تسكن داخل عمان ، ومنذ ذلك الوقت أخذت تترك أثرها فى تاريخ عمان ومسقط كذلك • وقد برهن أحمد بن سعيد من آل بوسعيد على انه امام مقتدر جدا حتى ان ابنه سعيد — وان كان نسيجا يختلف تماما عن نسيج أبيه — اختير خلفا له عقب وفاته فى عام ١١٩٨ هـ الموافق ١٧٨٣ م •

فى عهد سعيد بن أحمد ، الذى استمر حكمه ولو بالاسم من عام ١١٩٨ هـ الموافق ١٧٨٣ م الى عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م ، استطاع كبار آل بو سعيد الذين كانوا أقوى من امامهم الاسمى أن يحولوا اهتمامهم من المجال الروحى الى المجال الدنيوى ، ومن داخل عمان الى الساحل ، وغدت مسقط مركزا لهم • ولما مات سعيد فى عام ١٢١٨ هـ أصبح أخوه سلطان الحاكم المفرد للبلاد ، غير أنه فى العام الذى سبق وفاته فى سنة ١٢١٩ هـ الموافق ١٨٠٤ م لم يبذل جهدا ما لعقد الامامة له • ومنذ ذلك الوقت لم يحاول الحكام المتحدرون من صلب آل بو سعيد أن يظفروا بتأييد دينى لسلطتهم ، وقنعوا بالارتكان الى ما لبيتهم من هيبة وسمعة ، والى القوة العسكرية التى تدين لهم ، والارتكان فيما بعد الى التأييد الذى ظفروا به من حلفائهم الانكليز •

وعندما استقروا فى مسقط ، وشغلوا أنفسهم بالشئون التجارية والبحرية. فقدوا صلاتهم الى حـد كبير بالداخل أى بالأرض التى فيها أنشئت الامامة والتى فيها ظل يقيم معظم رجالها ذوى النفوذ .

عمان والموحدون من أهل نجد

فى أواسط القرن الهجرى الثانى عشر الموافق للقرن الميلادى الثامن عشر . ظهر فى نجد المصلح الدينى الشيخ محمد بن عبد الوهاب داعيا الى تطهير الاسلام من الأخطاء والشوائب التى كانت قد تسللت الى شعائر الدين بمرور السنين • ورغبة فى توكيد العقيدة الأساسية للاسلام وهى التوحيد ، أطلق هو وأتباعه على أنفسهم اسم الموحدين • وكان جليا عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب ان الاصلاح الدينى لا ينجح الا قليلا فى أراض مفتقرة الى الاستقرار السياسى والاجتماعى ، ولذلك أخذ يبحث عن حليف يساعده فى الوصول الى الاستقرار عن طريق تحقيق الوحدة فى الجزيرة العربية كلها • ولما عثر على ضالته المنشودة فى محمد بن سعود ، الذى كان أميرا لبلدة صغيرة تقع فى وادى حنيفة ، بدأ آل سعود لأول مرة يتقدمون الى وسط المسرح فى التاريخ الحديث لجزيرة العرب •

فى خلال النصف الثانى للقرن الهجرى الثانى عشر ، شغل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل سعود بتعزيز موقفهم فى قلب الجزيرة العربية • فلما حققت وحدة نجد ، أصبحت قوة الموحدين حرة فى السعى للتوسع فى اتجاهات أخرى • وقد توفى الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى عام ١٢٠٦ هـ الموافق ١٧٩٢ م بينما كانت حركة الموحدين تجتاز مرحلة التغلغل الى منطقة الحسا ، ثم تمتد الى سواحل الخليج الفارسى •

حوالى عام ١٢١٤ هـ الموافق ١٨٠٠ م كان الموحدون فى زحفهم

البرى قد بلغوا المداخل الغربية لعمان • وأول قاعدة استولوا عليها هى البريمى : وقد ظلت هذه الواحة معقلهم الذى استخدموه من حين الى آخر فى أعمالهم الحربيـــة فى عمان فى السنين السبعين التالية • ومن البريمى استطاعوا أن يتقدموا بسهولة بطول الساحل العربى[1] : أو عبر الجبال صوب مسقط . أو صوب داخل عمان مباشرة •

استمد الموحدون معظم قوتهم من غيرتهم على رسالتهم مما رفعهم الى مستوى يعلو عن مجرد كونهم غزاة عسكريين • وبمرور الزمن كسبوا لعقائدهم أنصارا كثيرين من أهالى الساحل العربى والظاهرة ، ويبدو أن قبيلتى بنى بو على وبنى راسب فى الشرق القصى اعتنقتا عقيدتهم جملة • وأبدى الموحدون كذلك مهارة فى ادارة الشئون السياسية ، فكسبوا بين حين وآخر حلفاء من زعماء القبائل وأعضائها الذين كانوا لا يضمرون عطفا على عقيدتهم الدينية •

ومع ذلك فان سياسة كسب الأنصار والحلفاء لم تكن دائما تعود على الموحدين بالخير فى نهاية الأمر وهذا صحيح بصفة خاصة فى حالة الحلف الذى عقدوه مع زعماء الساحل العربى وشعبه ، وقد اعتنق كثيرون منهم عقيدة الموحدين • فهذا الحلف نفسه هو الذى أثار معارضة الانكليز لتوسع الموحدين ، وكان الانكليز حينئذ يحرسون سبل التجارة البحرية التى كانت عرضة للسلب والنهب من المراكب القادمة من الساحل • فقد كانت القوة العسكرية البريطانية أكبر من كل قوة يمكن للموحدين أن يعتمدوا عليها فى هذا المسرح النائى ، ولعل هذا — أكثر من كل ما عداه — هو الذى حال دون أن يتمكن رجال نجد من اخضاع عمان اخضاعا تاما لهم •

---

(١) ان ما يسـمى اليوم بسـاحل الصلح البحرى كان معروفا اذ ذاك باسم السـاحل العربى او سـاحل القراصنة . والاسم الأخير مقتبس من أن السكان كانوا يسطون على التجارة المارة بمجارى الخليج الفارسى .

لم يوافق الاباضيون الذين يعيشون فى الداخل تماما على بعض تعاليم الموحدين النجديين . وساعدت المنــازعات الدينية التى ترتبت على هــذا فى منع أهل عمــان من الاتفاق فيما بينهم فى معظم ســنى القرن الهجرى الثالث عشر الموافق للقرن الميلادى التاسع عشر . كذلك ساعد بقــاء موحدى نجد هناك على اثارة الصراع القديم بين الغافرية والهناوية . وأهل عمان يعدون النجديين غافرية ولعل سبب ذلك أن معظم ما يلقونه من تأييد محلى مستمد من رجال هذه الفئة ، وبادر كثيرون من الغافرية الى العمل على نشر مبادىء الموحدين ، بينما عمل كثيرون من الهناوية بأقصى جهدهم على تضييق نطاقها واقصائها بعيدا .

فترة خلو مقعد الإمامة

ابتداء من ١٢١٨ هـ ١٨٠٣ م

عنـدما توفى سـعيد بن أحمـد الامام الثانى من آل بو سعيد فى عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م ، لم يحاول خلفاؤه من هذه القبيلة أن ينالوا اعترافا بأنهم مرشحون للامامة • وان تطوع آل بو سعيد بالتخلى عن الامامة لهو من الأسباب الرئيسية التى جعلت مقعد الامامة يخلو ابتداء من عام ١٢١٨ هـ ويستمر خاليا حتى اختيار عزان بن قيس فى عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م •

كان لدخول سلطة الموحدين فى عمان شأن فى الحيلولة دون بعث نظم الحكم الاباضى القديم • أما الميل الى التفرقة — الذى كان سائدا فى عمان فعلا — فقد زاد بتلك القوة الجديدة الوافدة من الخارج • وأمام هـذا الموقف ، لم يكن ثمة مخرج للاباضيين ، ما داموا يفتقرون الى زعماء موهوبين قادرين على تسوية الخلافات التى تفرق بين الناس ، أو زعماء ذوى نزعة حربية أو دبلوماسية بحيث يستطيعون مجابهة خطر الموحدين • وقد شق الاهتداء الى مرشح لمنصب الامام راغب فى أن يسد الثغرة فى المجتمع الاباضى أو قادر على سـدها ، تلك الثغرة التى نشأت عقب تحول حكم آل بو سعيد الى حكم دنيوى •

سعيد بن سلطان والموحدون

عقيب ظهور موحدى نجد للمرة الأولى فى عمان ، انضم الى رأيهم بدر بن سيف من آل بو سعيد وهو الذى أصبح أقوى أعضاء الأسرة الحاكمة عقب وفاة سلطان بن أحمد فى عام ١٢١٩ هـ الموافق ١٨٠٤ م • وقد دامت سلطة بدر فترة وجيزة ، ففى عام ١٢٢١ هـ الموافق ١٨٠٦ م اعتدى سعيد بن سلطان عليه مفاجأة وقتله فصار خليفة لأبيه فعلا بعد أن كان خليفة له اسما وحسب • وبعد ما وجه سعيد هذه الضربة العنيفة الى الموحدين ، ظل يناصبهم العداء فى خلال الخمسين عاما الباقية لحكمه • وحدث فى بعض الأحيان أن رتب معهم صلحا قلقا ، لقاء دفع جـزية لهم . وحدث فى أحيان أخرى أن شن عليهم حربا سافرة • ولما كان سعيد مفتقرا الى القوة التى تمكنه من أن يقف بلا نصير أمام أسلحة الموحدين ، فقد اختار الوقوف الى جانب الانكليز الذين استفزتهم آخر الأمر الاعتداءات الموجهة الى تجارتهم ، فاضطروا الى اتخاذ اجراءات تأديبية ضد حلفاء الموحدين على الساحل العربى • وفى عام ١٢٢٤ هـ الموافق ١٨٠٩ م تعاون سعيد مع الانكليز عندما جردوا حملة على رأس الخيمة وعلى مواضع أخرى • ولما لم تسفر هـذه الحملة عن فعلها المطلوب ، عاد الانكليز — بمشاركة سعيد أيضا — الى رأس الخيمة فى عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨١٩ م لاتخاذ اجراءات تأديبية خطيرة • وأدت حملة عام ١٢٣٥ هـ هذه الى القضاء على سلطة زعماء الساحل العربى ، وأدت بالتالى الى اخضاعهم للحماية البريطانيـة ، وان ظل بعضهم على اتصال بالموحدين ما دام لهم موطىء قدم فى عمان •

فى عام ١٢٣٦ هـ الموافق ١٨٢٠ م زحف الانكليز بالاشتراك مع سعيد على أنصار الموحدين فى الناحية الأخرى من عمان ، وهم بنى بو على فى منطقة جعلان ، وقد برهن أعضاء هذه القبيلة — وهم من الذين تشيعوا أخيرا للموحدين — على أنهم خصم قوى فمنى الانكليز وسلطان مسقط بهزيمة نكراء • فشن الانكليز حملة أقوى من الأولى فى عام ١٢٣٦ هـ الموافق ١٨٢١ م رغبة فى النقمة ، وكتب لهم فى هذه المرة الفوز التام واطمأنوا الى القضاء قضاء شديدا وربما حاسما على تقدم الموحدين فى قلب عمان •

فى الأعوام الأخيرة من حكم سعيد ، وقف حياته الى حد كبير على شئون ممتلكاته الجديدة فى زنجبار وشرق أفريقيا • وتحت حراسة مدافع السفن الحربية البريطانية[1] واستعداد الانكليز لتمكينه من تثبيت أقدامه أمام كل زحف قد يقوم به الموحدون للقضاء على سلطته فى مسقط ، قنع سعيد بابعاد آل سعود عن أراضيه بما كان يدفع لهم من جزية كلما اقتضى الأمر ذلك • أما أن الجزية لم تكن ضرورية دائما ، فمرجعه الى أن مصير آل سعود فى خلال الأربعين عاما الأخيرة أو نحوها من حكم سعيد تعرض لتقلب عنيف • وأدى تدخل الدولة المصرية الجديدة تحت امرة محمد على باشا فى شئون الجزيرة العربية الى تقويض قوة آل سعود والى تقويض نفوذ حركة الموحدين فى عقر دارها فى نجد وفى غيرها من المناطق كعمان • أما آل سعود فكانوا من القوة بحيث استطاعوا أن يبقوا على أنفسهم وأن ينقذوا شمسهم من الغروب الى الأبد ، والواقع أنه مرت فترات بدا فيها هذا الاحتمال كأنه شىء لا مهرب منه • وفى تلك الفترات

---

(١) كان لسعيد نفسه اسطول ذو مظهر يوحى بالقوة ، غير أن أهل الخبرة كانوا يرتابون كثيرا فى قوته وجدواه •

كان سعيد قادرا على أن يتنفس بشيء من الحرية ، غير أن سياسته فى مسقط لم تكن قط سياسة نشطة بحيث تنشيء سدا أمام الموحدين اذا حاولوا العودة الى الهجوم .

يكفى هنا أن نذكر مثالا واحدا على شراء سعيد لحصاناته بالمـال . وهو مثال مأخوذ من السنوات الأخيرة لحكمه . ففى عام ١٢٦٩ هـ الموافق ١٨٥٢ م أى قبل وفاته بأقل من أربع سنين ، عاد سعيد من مسقط الى زنجبار ، وبقى ابنه ثوينى وراءه يتولى شئون الحكم بدلا منه . وكانت قوة آل سعود فى صعود تحت زعامة فيصل بن تركى جد جلالة الملك عبد العزيز . وأرسل فيصل ابنه الأكبر عبد الله قائدا لحملة متجهة صوب البريمى ، ويقول موظف بريطانى عاصر تلك الحملة « انه جاء بوصـفه حكما منصفا ليرفع الضرر الذى لحق بأبنـائه (المشايخ) فى عمـان » . ولما عجز ثوينى عن مقـاومة زحف الموحدين ، أجريت مفاوضات « أسفرت عن عقد معاهدة تحالف هجومية ودفاعية بين السيد ثوينى وعبد الله بن فيصل ، وبمقتضى هذه المعاهدة وافقت حكومة مسقط على أن تدفع للأمير النجدى جزية سنوية قدرها ١٢ ألف ريال فضلا عن أموال مستحقة تصل فى جملتها الى ٦٠ ألف ريال ، على أن تقدم المؤن كالمعتـاد . كذلك قطع الأمير النجدى على نفسه عهـدا بأن يساعد (صاحب السـعادة) فى كل ساعة عسر ، وأن تظل تخوم الاقليمين كما كانت قبلا »[1] .

---

(١) عقدت هذه المعاهدة فى أوائل فصل الصيف من عام ١٢٦٩ هـ الموافق ١٨٥٣ م .

سعيد بن سلطان والإنكليز

أشرنا قبلا الى الحملات الرئيسية التى حارب فيها سعيد بوصفه سلطانا لمسقط الى جانب الانكليز ضد العرب فى شرق الجزيرة • غير أن هذا المسلك لم يؤد بالطبع الى رفع هيبته أو هيبة أسرته فى أعين الاباضيين فى الداخل •

عزز سعيد علاقاته بالانكليز كذلك بأن أنشأ صلات دبلوماسية معهم • ففى عام ١٢١٣ هـ الموافق ١٧٩٨ م كان أبوه سلطان بن أحمد قد وقع اتفاقا مع شركة الهند الشرقية يقضى بأن يفضل الانكليز فى المعاملات التى تتم داخل بلاده ويؤثرهم على الفرنسيين والهولنديين • وفى عام ١٢١٤ هـ الموافق ١٨٠٠ م وافق على أن « يعين رجل انكليزى محترم من جانب الشركة الموقرة ليقيم على الدوام فى ميناء مسقط ويكون وكيلا تتم عن طريقه جميع الاتصالات بين الدولتين » • وزادت صلة سعيد نفسه بالانكليز ، وذهب الى أبعد من هذا فى علاقته معهم ، ففى عام ١٢٣٧ هـ الموافق ١٨٢٢ م وافق فى معاهدة عقدت على التعاون معهم فى القضاء على تجارة الرقيق مع الأمم المسيحية ، وقد اتسع نطاق هذا التعاون فى اتفاقات أخرى تالية • وسبق أن أشرنا الى معارضة الاباضيين فى الداخل لكل تدخل فى شئون تجارة الرقيق • وفى عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م وقع سعيد مع بريطانيا معاهدة تجارية جاء فى نصوصها « ان رعايا صاحبة الجلالة البريطانية يمنحون الحرية الكاملة فى الدخول والاقامة والمتاجرة والمرور مع بضائعهم فى جميع ربوع أراضى صاحب العظمة سلطان مسقط » • ومعنى ذلك ، ولو من حيث المبدأ ، أن تفتح أمام الأجانب مناطق يصر كثيرون من زعماء الداخل على ايصادها فى وجوههم •

فى عام ١٢٧٠ هـ الموافق ١٨٥٤ م ، أى قبيل وفاة سعيد ، تنــازل للملكة فكتوريا بدون مقابل عن جزائر خوريا موريا (Kuria Muria) الواقعة قرب الساحل الشرقى لعمان ، « فتصبح ممتلكات لها أو لورثتها أو لمن يخلفها » .

لا ينبغى التسليم بأن الانكليز كانوا يأخذون كثـيرا من سـعيد بغـير أن يعطوه فى مقــابل ذلك شيئا . فالواقع أن أهالى الخليج كانوا مدينين لبريطانيا بصون السلام وحماية التجارة المشروعة . وسعيد نفسه مدين لهم بما منحوه من معونة لتوطيد حكمه فى مسقط وهى مستقره الرئيسى فى أرض مولده . فلم يكتفوا بأن حالوا دون أن يقضى الموحدون على قوته ، بل كفلوا له الأمن من تهديد أعداء آخرين . ويمكن اقتباس بضعة أمثلة من تقرير أعده موظف بريطانى معاصر . ففى عام ١٢٤٥ هـ الموافق ١٨٣٠ م « تعرضت ســلامة مسقط للخطر فتدخلت الحكومة البريطانيه لانقاذ المدينة » . وفى عام ١٢٤٨ هـ الموافق ١٨٣٤ م « كانت الحكومة البريطانية العازمة على أن تصون حكومة سعيد وتحمى سلامة ممتلكاته قد أرسلت قوة بحرية الى مسقط لتأييد الحكومة المحلية ولوضع حد لخطط أعدائها ، وأرسل المعتمد البريطانى فى الخليج رسائل احتجاج الى عــدد من الزعمــاء الغــزاة » . وفى عام ١٢٥٠ هـ المــوافق ١٨٣٤ م « اتضحت ضرورة اســتخدام النفــوذ البريطــانى مرة أخرى لوضع حد لخطط التوسع من جانب حمود بن عزان ... وأبلغ بأنه اذا مضى فى الاعتداء على أراضى سعيد نزل به عقاب باعتباره عدوا للحكومة البريطانية» . وكان حمود بن عزان، الذى تحدى حكم سعيد فى ذلك الوقت ، واحــدا من ثلاثة سعى الاباضيون فى عام ١٢٦٢ هـ الموافق ١٨٤٦ م لعقد الامامة لهم .

سعيد بن سلطان والدول الأجنبية الأخرى

عرف سعيد ، فضلا عن علاقاته ببريطانيا ، بعلاقاته الطيبة عامة مع الفرنسيين • وقد وقع معهم معاهـدته الأولى فى عام ١٢٢٢ هـ الموافق ١٨٠٧ م . عقيب ارتقائه الحكم• وفى عام ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م عقدت معاهدة تجارية منحت الفرنسيين من حرية التنقل فى جميع ربوع ممتلكات سلطان مسقط مثل ما منح الانكليز فى عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م •

وفى عام ١٢٤٩ هـ الموافق ١٨٣٣ م عقدت معاهدة مودة وتجارة بين سعيد والولايات المتحدة وقدوقعها ادموندروبرتس Edmund Roberts فى القصر السلطانى فى مسقط ، فمنحت هـذه المعاهدة « سكان بلدان الأمريكية ••• رخصة الدخول فى أى بندر كان من بنادر جناب العاليجاه السيد سعيد ابن السيد سلطان حامى مسقط » • ونصت كذلك على أن « أهل يونيتت است سكان بلدان الأمريكية اذا أرادوا أن يصلوا الى أحد بلدان السلطان لأجل البيع والشراء فهم مرخوصين ، وفى تنزيل أموالهم ليسوا بمعارضين واذا أرادوا أن يسكنوا فلا عليهم من جهـة السكون شى ولا تسلوم شى بل يكونون مثل الطائفة اللى هى أقرب فى المود » • ونصت المعاهدة كذلك على أن « الكبير الذى فى يونيتت استيت ربما يجعل انسانا وكيلا فى احدى بلدان السلطان الذى فيهـا البيع والشراء »[1] • وهذه المعاهدات وغيرها مما عقد فيما بعد ، منحت

(١) أوردنا هذه النصوص من صور شمسية للوثيقة الأصلية دون أى تغيير فى الأسلوب العربى الركيك ، وعلينا أن نلفت النظر الى عدم التنسيق التام بين النص العربى والنص الانكليزى للمعاهدة •

سلطان مسقط منزلة خاصة اذا قوبل بزملائه الحكام على سواحل جزيرة العرب الخاضعين للحماية البريطانية • فقد كان ولا يزال ؛ على النقيض منهم ، حرا فى أن ينشىء علاقات مع دول أجنبية دون الحصول على موافقة الحكومة البريطانية •

محاولة غير ناجحة لبعث الإمامة

١٢٦٢ هـ ١٨٤٦ م

فى عام ١٢٦٢ هـ الموافق ١٨٤٦ م بذلت أهم المحاولات لبعث الامامة فى الفترة التى كان فيها سعيد سلطانا لمسقط ، وقد كان ذلك عندما اجتمع فى الرستاق فى الجبال ممثلو الاباضيين من جميع أنحاء عمان لاجراء الانتخاب • وقد وصلوا الى اتفاق ثلاث مرات ، غير أن الرجال الثلاثة الذين اختيروا لمنصب الامام تنحوا عنه • ومن هؤلاء الثلاثة حمود بن عزان من آل بو سعيد ، وهو عم عزان بن قيس الذى أصبح فيما بعد الامام الوحيد المنتخب فى أثناء القرن الهجرى الثالث عشر الموافق للقرن الميلادى التاسع عشر • ومن الزعماء الذين جهدوا فى الاهتداء الى امام جديد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى جد الامام الحالى • وكان الشيخ سعيد هذا عالما دينيا مشهورا ومؤلف عدد من الكتب وقد ارتفعت منزلته فى أيام الامام عزان •

ثوينى بن سعيد سلطان مسقط

١٢٧٣ — ١٢٨٢ هـ ١٨٥٦ — ١٨٦٦ م

عقب وفاة سعيد بن سلطان فى عام ١٢٧٣ هـ الموافق ١٨٥٦ م ، خلفه ابنه ثوينى حاكما لمسقط ، وابن آخر له اسمه ماجد حاكما لزنجبار . وحذا ثوينى حذو أبيه فى توجيه نظره الى جنوب خط الاستواء اثر استقراره فى مسقط ؛ وكان يطمع فى أن يجرد أخاه من نصيبه فى الميراث . ومع أن ثوينى كان يركز اهتمامه فى زنجبار ؛ فان الاباضيين فى الداخل لم يكونوا قد اتحدوا اتحادا كافيا ؛ ولم يكونوا قد وهبوا زعماء متحمسين حماسة كافية بحيث يحسنون انتهاز الفرصة . وفى أثناء حكم ثوينى ؛ لم تبذل محاولة جدية ما لاختيار امام جديد .

وأخيرا عرض النزاع بين الأخوين فى مسقط وزنجبار على اللورد كانتق Canning نائب الملك فى الهند ليكون حكما ويحول دون لجوئهما الى الحرب . وفى عام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦١ م أصدر اللورد حكمه وهو يقضى بأن يبقى ثوينى حاكما لمسقط وماجد حاكما لزنجبار والممتلكات الافريقية لآل بوسعيد ، ولكن على الأخير أن يدفع اعانة سنوية قدرها ٤٠ ألف ريال « الى حاكم مسقط لأجل تنازله عن جميع مطالبه فى زنجبار ، ولتحقيق المساواة بين الميراثين » لأن أراضى ماجد اعتبرت أغنى بكثير من أراضى ثوينى . ووجه اهتمام الى حقيقة جلية وهى أن حكومة مسقط كانت حينذاك تدفع جزية سنوية قدرها

٢٠ ألف ريال[١] الى موحدى نجد ؛ أى ما يعادل نحو سدس تقدير الدخل السنوى لمسقط •

لما فصلت زنجبار عن مسقط بمقتضى هــذا الحكم ، اتسع المجال أمام ثوينى لتعزيز موقفه فى عقر داره مع احتمال توسيع نطاق اشرافه فى الداخل ، غير أنه وجد فى تحقيق هذا عقبة منشؤها الشقاق فى داخل أسرته الخاصة • ذلك أن أخا له أصغر منه ، واسمه تركى ، وهو حاكم على ميناء صحار ، لم يعجبه حكم كانتق الذى لم يجن منه شيئا لنفسه ، فبدأ يثير الاضطرابات أمام ثوينى أملا فى أن يخلفه سلطانا لمسقط • ويبدو أن الموحدين المستقرين فى عمان ، ولهم قاعدتهم فى البريمى ، اشتبكوا فى المنافسة بين الأخوين ، ولكن لا تعرف تماما حقيقة الحال •

وعلى النقيض من الموقف الذى ذكر آنفا ، نجــد دور الموحدين واضحا جليا فى المنازعات التى جابهها ثوينى مع عضو آخر من أعضاء بيته هو عزان بن قيس بن عزان بن قيس ، وكان قيس الأخير أخا لسلطان جد ثوينى • وكان عزان يومئذ يمتلك مدينة الرستاق وحصنها ، فحاصره ثوينى فيها • ومع أن عزان بن قيس برهن عندما أصبح اماما فيما بعد على أنه عدو لا يرتعد أمام الموحدين ، فانه لجأ فى هذه السانحة الى معونتهم فبادروا الى نجدته • ولما رفع الموحدون الحصار المفروض على الرستاق ، زحفوا صوب الجنوب الشرقى الى الشرقية حيث أقحموا أنفسهم فى الشئون الداخلية لقبيلة آل وهيبة وجددوا اتصالهم بقبيلة

---

(١) حدد اتفــاق عام ١٨٥٣ المبلغ الســنوى باثنى عشر الف ريال • وتقول مصادر انكليزية حررت بعد هذا الاتفاق بسنتين أو ثلاث ســنوات ان حاكم مسقط كان يدفع الى حاكم نجد مبلغ ٢٠ ألف ريال سنويا منه ١٢ ألف ريال لحساب مسقط و ٨ آلاف ريال لحساب صحار •

بنى بو على ، تلك القبيلة التى اعتنقت عقيدتهم من نحو نصف قرن مضى . وقد بلغت الحملة فى الشرق ذروتها عندما اشتركت قوات الموحدين مع أعضاء قبيلة الجنبة المقيمين فى صور للهجوم على تلك المدينة فى النصف الأول من عام ١٢٨٢ هـ الموافـق لأغسطس ١٨٦٥ م . وثار سـخط الانكليز على الاعتداءات التى وجهت الى الرعايا البريطانيين من الهنود فى صـور فحاولوا عبثا أن ينالوا ترضـية من أمير الرياض ، ولهذا ضرب المركب البريطانى « هايفلاير » Highflyer بقنابله قلاع الموحدين فى القطيف والدمام فى النصف الأخـير من عـام ١٢٨٢ هـ الموافق لفبراير ١٨٦٦ م واتخذت اجراءات تأديبية كذلك ضد الجنبة فى صور .

وفى الوقت الذى هاجم فيه الموحدون الشرق ، عمدت الحكومة البريطانية ، على حـد قول أحـد موظفيها ، الى « تشجيع ثوينى على مقاومة اعتداء الوهابيين بأقصى ما تسمح به قوته » . وحاول الشيخ صالح بن على الحارثى ، وهو من أوسع رجال الهناوية نفوذا فى شرق عمان ، أن يقنع بدوره السلطان بأن يزحف على الموحدين . وهـذا هو عين الشيخ صالح الذى لعب عقيب ذلك دورا هاما فى انتخاب امام جديد ، وهو الذى كان فى السنوات الأخيرة من حياته متعبة لغير واحد من سلاطين مسقط . ولما اقتنع ثوينى آخر الأمر بأنه يجب القيام بعمل مضاد للموحدين ، أخذ يتأهب ويستعد . غير أن حملته كتب عليها أن لا تجرد ، لأنه وهو نائم فى ميناء صحار فى احدى ليالى النصف الأخير من عام ١٢٨٢ هـ الموافق لفبراير ١٨٦٦ م تسلل نجله الأثير سالم الى مكانه وقتله . فقد استبد الطموح بسالم وحداه الى قتل أبيه ، ولم يضيع بعد ذلك وقتا فنصب نفسه خلفا لضحيته سلطانا لمسقط .

سالم بن ثوينى سلطان مسقط

١٢٨٢ — ١٢٨٥ هـ ١٨٦٦ — ١٨٦٨ م

لما رأى سالم فى الموحدين مصدرا محتملا لتأييد النظام الجديد فى مسقط ، ألغى خطط والده التى كان يدبرها ضدهم . واعترف عزان بن قيس فى الرستاق ، الذى ما زال صديقا للموحدين ، بأن سالما حاكم زميل له ، وانضم اليه فى زمالة سرعان ما تفككت عراها .

وقبيل هذا ؛ كان الموحدون قد صار لهم زعيم جديد لأن فيصل بن تركى الرجل الضرير المسن ، وهو جد جلالة الملك عبد العزيز ؛ توفى فى أواسط عام ١٢٨٢ هـ الموافقة لأواخر عام ١٨٦٥ م وخلفه عبد الله أكبر أنجاله . وفى أواخر عام ١٢٨٢ هـ الموافقة لابريل ١٨٦٦ م أوفد الأمير الجديد محمد بن عبد الله آل مانع رسولا الى المعتمد البريطانى فى أبو شهر وقدم الرسول الى المعتمد بيانا مكتوبا لم نجد له حتى الآن سوى الترجمة الانكليزية الرسمية . وبعدما أعرب الرسول عن رغبة الأمير عبد الله فى مصادقة الانكليز ، وأكد فى بيانه للمعتمد نيابة عن الأمير « انه لن يضر أو يعتدى على أراضى القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ... ولن يتجاوز تسلم الزكاة[1] التى جرى عليها العرف من قديم الزمان » . وذكر الرسول بالتحديد أن هذا التعهد يشمل بوجه خاص « مملكة مسقط » .

---

(١) يبدو أن ابن مانع كان يعنى الجزية التى أشير اليها غير مرة قبلا ، ولم يكن يعنى فريضة الزكاة الاسلامية التى يؤديها المسلمون الى حكومتهم .

لم تطل فترة العلاقات الطيبة بين الموحدين ومسقط ، تلك العلاقات التى مهدت سبيلها هاته التحولات • ومن أسباب ذلك أن العرش الذى كان سالم يجلس عليه ، كان بعيدا عن الاستقرار • وثمة سبب آخر ؛ وهو أن قوة جديدة كانت توشك أن تنبعث فى عمان فلا تلبث حتى تغير الموقف تغيرا شاملا سريعا •

كان تركى بن سعيد ، وهو عم سلطان مسقط الجديد ، قد فكر فى خلع أخيه ثوينى ، وها هو الآن يهم بخلع ابن أخيه سالم • ولما زار تركى الشرقية ، استمال لدعوته عددا من أقوى قبائل الهناوية فى تلك المنطقة : غير أن نجاحه لم يتم لأن صالح بن على الحارثى ظل ممتنعا عن الاشتراك معه • وكان صالح قد والى ثوينى بن سعيد عندما كان سلطانا وهو الآن يقف مواليا الى جانب سالم نجل ثوينى • وقد قام تركى وحلفاؤه الهناوية فى عام ١٢٨٣—١٢٨٤ هـ الموافق ١٨٧٦ م على سالم فى مسقط ، بغير أن يظفر بمعونة صالح • وكان فى وسع تركى اذ ذاك أن يكسب الموقف لو لم يتدخل الانكليز ويقنعوه بأن يقبل النفى الاختيارى فى الهند مع منحه راتبا من ابن أخيه السلطان •

ومع أن سالما كان مدينا ببقائه للانكليز بوجه خاص ، ثم لصالح بن على ، فانه لم يكن حافظا لجميل صالح ، بل انه على النقيض من ذلك ، ذهب الى حد تدبير مؤامرة لايقاع صالح فى قبضة يده وجعله خاضعا خضوعا تاما لسلطته • ولكن صالحا وجد تحذيرا من هـذه المؤامرة : فاستطاع أن ينجو فى اللحظة الأخيرة • وقد أصبح الآن مفتوح العينين الى عقم السياسة التى ما انفك ينتهجها للتعاون مع سلطان مسقط • والواقع أن زوال الوهم عن صالح ، مهد الطريق لانتخاب عزان بن قيس اماما •

وكان أول عمل قام به صالح ضد حليفه السابق ، هو أن يحرض واليا من ولاة السلطان على العصيان . وقد استعان سالم بتركى السديرى قائد الموحدين فى البريمى الذى اجتمع معه فى بلدة بركا على ساحل خليج عمان . كذلك أتى سالم برجال من القبائل الهناوية من الجنوب الشرقى غير أنه كان قائدا ضعيفا مترددا فلم يقو على الوصول الى نتيجة حاسمة .

إمامة عزان بن قيس

١٢٨٥ — ١٢٨٧ هـ ١٨٦٨ — ١٨٧١ م

كان صالح بن على ، الزعيم الأكبر لقبيلة الحرث الهناوية فى الشرقية، قد تلقى العلم على العـالم الدينى الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى • ولمـا خاب رجاؤه فى أن ينشىء السلطان سالم فى مسقط حكومة عادلة مستقرة ، جرت مكاتبات بين صالح وأستاذه القديم ، وبحث معه ما يتعين عمله • وقد اتسع نطاق نشاطهما وهما يبحثان معا مشروعاتهما درجة درجـة • فكتب العالم رسـائل الى الرجال البارزين فى شرق عمان ، بينما أشار صالح الى زعيم قبيلة بنى بوحسن الهناوية الباسلة فى جعلان بأن السلطان يستخدم بين قواته عددا من الموحدين ومنهم أعضاء من قبيلة بنى بو على الأعداء القدامى لبنى بو حسن • فاقترح الشيخ سعيد الخليلى فى رسالة الى عزان بن قيس من آل بوسعيد ، وهو سيد الرستاق، عقد اجتماع فى بلدة بركا على الساحل •

زار نحو عشرين من الزعماء الدينيين للقبائل صالحا ، ثم ذهبـوا لمقابلة الخليلى فى سمايل حيث انضم اليهم فيما بعـد صالح ورفاقه ، وسار عزان على رأس فصيلة صغيرة من الفرسان من الرستاق واستولى على بركا فى أواسط عام ١٢٨٥ هـ الموافقة لخريف ١٨٦٨ م ، ثم تريث قليلا حتى تقدم أعوانه من سمايل الى مطرح وهى مدينة متاخمة لمسقط •

لما استسلمت حامية قلعة مطرح لصالح وللخليلى ، غادر عزان بركا وعجل بالانضمام اليهما لمهاجمة مسقط فى شهر جمادى الآخرة عام ١٢٨٥ هـ

الموافق لأكتوبر ١٨٦٨ م ؛ وقد سقطت المدينة على الفور ، غير أن القلعة صمدت أسبوعا . وكان الكولونل لويس پلى Lewis Pelly ، المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج الفارسى ؛ فى الميناء فى ذلك الوقت ؛ فاتخذ الخطوات اللازمة لنصرة السلطان سالم . غير أنه أخفق فى اعتراض سبيل الائتلاف المظفر . وبينما كان الكولونل پلى يرقب الموقف عن كثب ، تلقى تعليمات من السلطات البريطانية فى الهند بأن يتجنب استخدام القوة فى تأييد السلطان . ولما تبين السلطان سالم أن الدفاع لا يبعث على الأمل ، فر من مسقط باحدى سفنه الخاصة واسمها « پرنس أف ويلز » Prince of Wales.

انضم الى الظافرين فى مسقط محمد بن سليّم الغاربى ، وهو زعيم بارز وعالم من أهل الباطنة . وعقدوا هنالك اجتماعا كبيرا بغية انتخاب امام ، وشهد الاجتماع رجال الدين وزعماء القبائل وكثيرون من العامة واشتركوا جميعا فى مراسمه . وهيمن على الاجتماع الشيخ الخليلى وصالح بن على ومحمد الغاربى ، الذين ألقى اليهم زمام السيطرة على شئون الدولة فى الامامة المنبعثة . وقد وقع اختيار المجتمعين على عزان ابن قيس من آل بو سعيد . ويقول السالمى المؤرخ الاباضى ان عزانا اختير لا لأنه كان أعلى المرشحين صفات ، بل « لكونه من بيت السلطنة وتفرسوا فيه صدق اليقين وقوة الايمان وعزيمة الصبر وشدة الوفاء وحسن الاتباع وغاية الورع » . ويضيف المؤرخ الى ذلك قوله « فصدق الله فيه ظنهم وقام بما حملوه من الواجبات ... حتى ذهبت فى سبيل الله روحه » .

بايع الشعب الامام الجديد فى شهر جمادى الآخرة عام ١٢٨٥ هـ الموافق لأكتوبر ١٨٦٨ م وأطلقت المدافع احتفاء بهذه المناسبة . وقد عثر على نص البيعة بين أوراق الشيخ سعيد الخليلى وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

قد بايعناك على طاعة الله ورسوله وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونصبناك اماما علينا وعلى الناس على سبيل الدفاع وعلى شرط أن لاتعقد راية ولا تنفذ حكما ولا تقضى أمرا الا برأى المسلمين ومشورتهم ، وقد بايعناك على انفاذ أحكام الله تعالى واقامة حدوده وقبض الجبايات واقامة الجمعات ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وأن لا تأخذك فى الله لومة لائم، وأن تجعل القوى ضعيفا حتى تأخذ منه حق الله والعزيز ذليلا حتى تنفذ فيه حكم الله ، وأن تمضى على سبيل الحق أو تفنى روحك فيه وأن تعطينا على ذلك عهد الله وميثاقه لنا ولجميع المسلمين .

ويقول المؤرخ الاباضى فى الاشارة الى هذه البيعة ان هذه الشروط « هى شروط يشترطها المسلمون على الامام الضعيف كى لا يدخل فى أمر لا يسعه الدخول فيه » .

وعقب الانتخاب أرسل كتاب من الخليلى الى الاباضيين فى المغرب يبلغهم هذا الحدث . واعتزم أحد علماء الدين فى المغرب أن يزور عمان ليجتمع بالامام الجديد ، غير أن الامامة انهارت قبل وصوله .

لما ذاعت أنباء الانتخاب فى عمان ، جاء زعماء القبائل الذين عجزوا عن شهود مراسمه لكى يبايعوا الامام . وعين الامام الجديد ولاة وقضاة لجميع المدن الرئيسية فى الدولة ، وأخضعت لسلطة الامام منطقة الباطنة التى كانت قد ظلت زمنا طويلا تحت حكم سلاطين مسقط أو غيرهم من حكام آل بوسعيد .

بايعت الامام جماعة من زعماء الغافرية . غير أنه لما مالت الحكومة الجديدة الى الاصطباغ بصبغة هناوية ظاهرة ؛ ظلت بقية الغافرية ممتنعة عن موالاتها • وقد ثارت احدى قبائل الغافرية على الامام؛ فكان لا معدى عن القيام فى شهر شوال عام ١٢٨٥ هـ الموافق لفبراير ١٨٦٩ م بحملة عسكرية لقمع هذا العصيان • وكان من نتيجة هذه الحملة أن هرب اثنان من زعماء الغافرية من أراضى الامامة وانضما الى سالم ؛ السلطان السابق الذى كان يتأهب لاسترداد ملكه •

وفى ذلك الوقت أرسل الامام ابن عمه فيصل بن حمود بن عزان مع فصيلة صغيرة من الرجال الى شرق عمان • ثم اتجهوا صوب جعلان وصور وجمعوا معلومات عن الحالة العامة فى أثناء سيرهم • وفى كل مكان عسكروا فيه ، أقبل الناس ليبايعوا الامام • وفى جعلان مكث فيصل فى بلاد بنى بوحسن ، وهى مركز للهناوية ، غير أن زعيم قبيلة بنى بوعلى الغافرية زاره وأعرب له عن رغبته فى أن يكون على صلات طيبة مع الامام •

تشاور زعماء حكومة الامامة لتقرير ما ينبغى فعله بصدد أموال أفراد آل بو سعيد الذين لم يكونوا منضمين الى صفوف الحركة الجديدة ، وقال الشيخ الغاربى انه يجب ألا تصادر الا أموال المتوفين من أعضاء الأسرة ، غير أن الشيخ الخليلى رأى أنه يجب الاستيلاء حتى على أموال الذين ما زالوا على قيد الحياة ، وقد أيد هذا الرأى صالح بن على فكتبت له الغلبة • وتتألف الأموال التى صودرت من الأشياء التى جمعت كجبايات ولكنها لم تستخدم لمصلحة الذين دفعوها • وعقب مصادرتها وضعت فى بيت المال الاباضى للانفاق منها على شئون الدولة ورعاياها •

ان ما أوردناه فيما سلف ، يكفى لتبيان أن انشاء الامامة انطوى

على أكثر من مجرد تحويل السلطة من عضو فى الأسرة الحاكمة الى عضو آخر • فالواقع أنه كان انقلابا قائما على مبدأ العودة الى النمط القديم فى حكم البلاد • غير أن ممثلى الأسرة الحاكمة فى مسقط الذين أقصوا عن البلاد ، لم ييأسوا من استرداد مقامهم • وأبى الانكليز أن يعترفوا بنظام الامامة الجديد ، ويقال ان سبب ذلك ربما كان ما أبداه زعماء الدين الاباضيون من عدم تسامح ، وعداؤهم للأجانب قد ورد ذكره غير مرة • وحتى لو لم يستحث الانكليز سالما السلطان السابق ، فانهم على الأقل لم يضعوا عقبات مستعصية فى طريقه عندما عاد الى جزيرة العرب نازلا الى دبى على ساحل الصلح البحرى •

لم يضيع سالم وقتا فى الاتصال بحليفه القديم تركى السديرى قائد الموحدين فى البريمى • وفى شهر رمضان عام ١٢٨٥ هـ الموافق ليناير عام ١٨٦٩ م كتب السديرى الى سالم يقول :

> تلقيت كتابك وفيه تقول ان الحكومة الانكليزية منعت جميع الأعمال البحرية ، ولكن الأعمال لا تزال مباحة على البر ، وعندى معدات كثيرة فأرجوك أن تواصل الحرب ، فاذا كان لديك العون الذى كتبت لك عنه ، فانضم الى[1] •

كان من أعضاء الائتلاف الذى أنشأه سالم والسديرى ، سيف بن سليمان زعيم قبيلة بنى ريام الغافرية الذى فر من أراضى الامامة عقب نشوب الخلاف بين بعض الغافرية والامام • وسيف هذا هو الجد الأكبر لأمير الجبل الأخضر الحالى •

---

(١) لم نظفر بالنص العربى الأصلى لهذا الكتاب ، والنص المدون هنا هو مترجم عن الترجمة الانكليزية التى عملت تحت اشراف الموظفين الانكليز المعاصرين فى منطقة الخليج الفارسى •

استيلاء الامام عزان على البريمي

صيف ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م

فى صيف عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م كسب الامام عزان بن قيس ما ثبت أنه أكبر كسب له عقب احتلال مسقط ، وهذا هو استيلاؤه على البريمي من موحدى نجد • وفى فصل الربيع تبين أن الموقف يعرض الامامة للخطر لأن سالما ، سلطان مسقط السابق ، نزل الى ساحل الصلح البحرى ، وتعاون تركى السديرى قائد الموحدين فى البريمي معه فى انشاء ائتلاف من الزعماء المحليين لمحاربة الاباضيين فى الداخل • غير أنه حدث فى شهر ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ الموافق لابريل عام ١٨٦٩ م أن قتل تركى السـديرى فى أثناء اشتراكه فى تنظيم شئون القواسم فى مدينة الشارقة • وخلفه أخوه عبد الرحمن ، غير أن خسارته جاءت صدمة لم يستطع ائتلاف سالم أن يفيق منها • أضف الى ذلك أن قوة الموحدين فى ديارهم نجد كانت اذ ذاك تهتز بفعل عصيان سعود ، النجل الثانى لفيصل ، على أخيه الأكبر الأمير عبد الله • وكانت لعبد الله اليد العليا وقتا ما ، ولكن كان عليه أن يحصر اهتمامه فى هذا الخطر الذى يهدد تفوقه واستعلاءه •

بعد وفاة تركى السديرى بأيام ، جاء من مصدر بريطانى أن زايد ابن خليفة حاكم أبو ظبى ألح ، فيما قيل ، على عزان فى أن «يتقدم بلا ابطاء الى البريمي ويستولى على الحصن بنفسه » • ووصف المصدر عينه عزانا بأنه « رجل متحمس فطن مقاتل » ، وتحدث عن عزان والشيخ الخليلى

فقال انهما « ليسا من الرجال الذين يسمحون للعشب بأن ينمو تحت أقدامهم » . كذلك تلقى الامام عزان التماسا من زعيم آخر من زعماء القبائل فى الشمال الغربى طالبا منه أن يتدخل فى البريمى ، فجاء الى الباطنة محمد بن على ، رأس قبيلة نعيم الواسعة النفوذ فى منطقة البريمى ، وأبلغ الغاربى ، وهو أحد الثلاثة الذين يحكمون الامامة ، رغبته فى أن تحل قوات الامام محل الموحدين . ولما حدث الهجوم على الواحة ، لعب رجال قبيلة نعيم الذين يعرفون أسرار الدفاع فيها دورا هاما الى جانب الامام .

يقال ان عبد الله بن فيصل ، أمير الموحدين ، أرسل قبل هذا الوقت وفدا من الرياض الى الامام عزان ومعه جواد وناقة كهدية ، وأرسل كذلك كتابا يطلب فيه المبادرة بدفع الجزية التى اعتاد الموحدون أن يتلقوها من مسقط . فقبل عزان الجواد والناقة ، ولكنه بعد مشاورة الشيخ الخليلى أبى أن يرد على طلب دفع الجزية .

فى شهر ربيع الثانى عام ١٢٨٦ هـ الموافق ليونيه ١٨٦٩ م ظهر الامام وجيشه تجاه البريمى تؤيدهم قبيلة نعيم . وبعد بضعة أيام وافقت حامية الموحدين على الاستسلام ومنحت الأمان ، ثم سمح لأفرادها بأن يأخذوا معهم جيادهم وابلهم ومعداتهم . وبقى الامام فى البريمى بعض الوقت ينظم ادارة هذه المنطقة لتكون متجانسة مع النظام الذى يطبق فى المناطق الأخرى للامامة .

عند عودة الامام من البريمى الى داره فى الرستاق ، احتل بلدة ضنك وبعض المدن الأخرى وعين رجلا من زعماء الغافرية واليا لمنطقة الظاهرة بأسرها .

إخضاع الداخل للإمامة

١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م

مع أن البريمى سقطت فى أيدى الامام عزان ؛ فان سالما السلطان السابق ذهب فى أواخر صيف عام ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩ م يوغل فى الداخل أملا فى كسب تأييد القبائل المقيمة هناك التى تعادى النظام الجديد ؛ وفى شهر جمادى الأولى الموافق لأغسطس بلغ بركة الموز ونزوى الواقعتين فى ظل الجبل الأخضر . ولم تكن نزوى ، وهى العاصمة الحالية للامامة ، خاضعة اذ ذاك للامام وكان يحكمها رجل مستقل من آل بو سعيد . ولما لم يصادف سالم النجاح الذى كان ينشده فى نزوى اتجه الى حيث تقيم قبيلة آل وهيبة ، وعند ما أعرب أعضاء القبيلة عن رغبتهم فى نصرة قضية سالم ، أرسل الامام ابن عمه فيصل بن حمود ليقف ضدهم . فسرى الرعب فى قلب سالم على الرغم من قوة حلفائه الجدد وعلى الرغم من اتساع أراضيهم ، فانفض عنهم . وهكذا انتهت آخر محاولة جدية قام بها سالم ليسترد عرشه فى أثناء امامة عزان بن قيس .

عاد الفضل الأول فى بعث الامامة الى عناصر من الاباضيين فى الداخل ، بيد أن أول نصر لها تحقق فى مسقط ، وفيها تم انتخاب الامام ، وأصبحت الرستاق ومسقط المركزين الرئيسيين للامام فى خلال الشطر الأول من حكمه . ثم شرع الامام فى أن يخضع لاشرافه القبائل والمدن الداخلية التى لا تزال مستقلة ، وذلك عقب استيلائه على البريمى .

تمكن الامام باتخاذ اجراءات تأديبية ضد قبيلة بنى شكيل الغافرية الثائرة ، أن يستولى على حصن بهلا العظيم فى عمان الوسطى ، واستطاع بتجريد حملة بقيادة صالح الحارثى أن ينتزع من القبيلة نفسها بلدة منح • واحتل ابراهيم بن قيس ، أخو الامام ، مدينة أزكى وحصنها فى عمان الوسطى ، ثم شدد ابراهيم نكيره على نزوى التى يباهى بها السالمى المؤرخ الآباضى فيصفها بأنها « بيضة الاسلام وكرسى مملكة العرب » • فبايع أهــل نزوى الامام ، غير أن الحامية فى الحصن ، وهو من أكثر حصون عمان كلها منعة ، أبت أن تمتثل • فاستنجد ابراهيم بسيف بن سليمان رئيس قبيلة بنى ريام ، واستطاعا معا أن يخضعا الحصن • وكان سيف ، وهو الجد الأكبر لأمير الجبل الأخضر الحالى ، قد وقف قبل بضعة أشهر موقف المؤيد للسلطان السابق سالم ، ضد الامام • واذا كان قد أبدى حينئذ ولاء للامام ، فان أجل هذا الولاء كان قصيرا •

بيد أن هذا النجاح فى وسط عمان ، عكسته الى حد ما التطورات التى حدثت فى الجنوب الشرقى ، حيث ثارت قبيلة بنى بو على القوية ، وأعضاؤها موحدون وأنصار قدامى للسلطان السابق • ولم يسبق لهذه القبيلة أن هزمت فى عقر دارها الا فى خلال الحملة البريطانية فى عام ١٢٣٦ هـ الموافق ١٨٢١ م ، غير أن الامام لم يتردد فى الزحف عليها • واختيرت بدية فى الشرقية مكانا لالتقاء القوات ، وذهب الامام بنفسه من نزوى اليهــا • ومن بدية قاد الجيش الى بلاد بنى بو حسن وهم الأعداء الهناوية لبنى بو على • وكانت القوات التى رتبتها الدولة بادية البأس حتى أن بنى بو على استسلموا بدون أن يقاتلوا قتالا جديا • وأرسل الامام الزعماء الثائرين الى السجن بمسقط ونسف حصونهم وعين واليا جديدا للمنطقة • وفى شهر شعبان عام ١٢٨٥ هـ الموافق لنوفمبر ١٨٦٩ م كان

اخماد الثورة قد تم ، غير أن الرجال المسئولين فى حكومة الامامة لم يرضوا جميعا عن كيفية معالجة الامام للموقف • فأرسل الشيخ الخليلى الى الامام كتابا انتقده فيه على ترفقه فى معاملته للعصاة ، فرأى الخليلى أنه كان يجب ابادتهم وبذلك يزول الخطر عن الدولة زوالا تاما شاملا • وقد حدث فى النهاية ، كما يبدو من تطور الحوادث ، أن جاء سقوط الامام على أيدى رجال من بنى بو على •

خشية هجوم الموحدين على عمان

شتاء ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ — ١٨٧٠ م

عقيب استيلاء الامام عزان بن قيس على البريمى كتب موظف بريطانى فى الخليج الفارسى قائلا :

الواقع ، اذا كان لى أن أعرب عن رأيى ، انه عندما يعلم الأمير الوهابى أن معقله فى البريمى قد استولى عليه عزان بتأييد قبيلة نعيم ، فانه من المعقول أن نفترض أن صاحب العظمة الأمير سيقوم بأعمال انتقام من أولئك الذين ازدروه عندما كان معقله واهنا .

وفى شهر جمادى الأول عام ١٢٨٦ هـ الموافق لأواخر أغسطس ١٨٦٩ م كتب المعتمد البريطانى فى الخليج يقول :

ان الحالة الوحيدة التى لا تدعو الى الرضا ، هى عدم استقرار الأمور فى مسقط ، والخشية من حدوث صدام بين تلك الدولة والأمير الوهابى . غير أنه لما كانت سياسة حكومة جلالة الملكة فيما يتصل بمسقط هى سياسة عدم التدخل اطلاقا ، وحيث اننا لا نعترف بالحكومة الحالية القائمة على الأمر الواقع فى تلك الدولة ، فمن الطبيعى أن سلطتى لا تخولنى أن « أحاول » تسوية المنازعات بين مسقط والوهابيين . فأكتفى بمنع الوهابيين من الخوض فى أعمال بحرية .

وبعد بضعة أيام قال حاكم دبى على ساحل الصلح البحرى لموظف بريطانى آخر ان أهل البريمى يؤثرون عبد الله ، أمير الموحدين ، على عزان ، امام الاباضيين ، وانه اذا جاء عبد الله بنفسه أو اذا أوفد مندوبا عنه ، فان جميع الأحزاب فى البريمى ستناصر قضيته . فسرى اعتقاد حينئذ بأن عبد الله ينتظر حلول البرد لكى يزحف عبر الصحارى صوب عمان .

ظل أهل عمان يعيشون معظم فصل الشتاء عام ١٢٨٦ هـ وهم فى خشية من هجوم الموحدين . ونقل الامام الى الشيخ الخليلى ما ترامى الى سمعه من استعدادات حربية فى نجد ، وطلب مشورته فى جباية أموال لغرض الدفاع ولاسيما لأن خزانة الأباضيين نضبت أمام كثرة ما أنفقته الدولة لتعزيز جانبها . فرد عليه الخليلى بأن سمح له بعقد قرض من رعايا الدولة ، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بالقوة ، وكتب الى الامام قائلا :

> ... قم على بركات الله تعالى بجنود المسلمين من الشرقية والباطنة وغيرها قبل وقوع الخلل فى البريمى واذا وصل ابن سعود قبلك نخاف أن تنكشف عن داهية لا يمكن تداركها فلا بد من القيام ان كان مرادك الدفاع عن هذه الرعية من حد بركا الى البريمى والظاهرة ... فلابد من ... الخروج ... فى سبيل الله وله حكم الدفاع يلزم جميع أهل عمان بأموالهم وأنفسهم ... وقد أجزنا لك دعوتهم وجبرهم اليه وتأديبهم وليس حد الجفا اذا أحاط بك الخصم ... ولقد أجزنا لك فى هذا الخروج القرض من الرعية على بيت المال ولو بالجبر وأمرناك به فالزمهم اياه عن أمرنا ورأينا

ولا تعطل أمور المسلمين ... وأنا أقول انك أبلغهم
اياه عنى واحكم به عليهم منى فانى فى ذلك مجتهد لله
ومتقرب اليه ...

لهـذا الكتاب شـأن خاص لأنه يبين كيف يستطيع الخليـلى ، بما يتمتع به من سلطة عالية كشارح للشرع الاسـلامى ، أن يصدر أوامر حتى للامام . وان الاشارة الى أن الدولة محاطة بالأعداء لتدل على المعارضة التى كانت ناشئة فى عمان ، ولاسيما بين القبائل الغافرية التى كانت تميل مصالحها مع مصالح موحدى نجد . وارتاب مستشار الامام — ولعله كان يملك البرهان على ذلك — فى أن بعض الغافرية كانوا على صلة بأمير الرياض وكانوا يشجعونه على العودة الى البريمى . وكان هنـاك آخرون يعادون الامامة ، علنا أو سرا ، لا لسبب الا للصبغة الهناوية التى تصطبغ بها ، أو لأنهم لم يرتضوا أساليب حكمها .

ومع أن كثيرين تحالفوا ضد الامام ، فان الدولة ورأسها لم يفتقرا الى المؤيدين . فمعظم الاباضيين كانوا موالين للامام مدفوعين الى ذلك بدافع عميق من دينهم ، كماأن كثيرين من القبائل الهناوية وبعضا من الغافرية ظلوا مقيمين على ثقتهم به . وبقى محمد بن على زعيم قبيلة نعيم فى البريمى الى جانب الامام ، ولو فى الظاهر ، وكان زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى على استعداد لأن يعمل معه ضد الموحدين . وبينما كان الامام يزحف صـوب البريمى ، تلقى نجـدات من صفوف الموحدين أنفسهم . وقد سلفت الاشارة الى عصيان سعود فى نجد على أخيه عبد الله أمير الموحدين . وبعد ما هزم عبد الله سعودا فى جنوب نجد ، فر سعود الى عمـان ، ثم اجتمع بالامام عنـد بركا . ويقـال ان سـعودا رافق الامام الى البريمى ، غير أنه من غير المحتمل وجود قوة قوية

تتبعه • وفى أثناء هذا الوقت التقى قواد الامام وقواتهم فى البريمى ، فحشد جيش عمان ليجابه الصدمة •

والواقع أن الهجوم الذى كان مرتقبا من جانب رجال نجد لم يقع قط• فلم يهطل المطر فى عمان فى ذلك العام ، ولابد أن عبد الله انثنى عن عزمه لأن أمامه شوطا طويلا يقطعه على أراض رملية مجدبة وأمامه سباخا ومناطق مقفرة تقع بينه وبين بلوغ هدفه • أضف الى ذلك أنه كان هناك خطر من أن ينتهز أنصار أخيه فرصة غيابه الطويل عن عاصمة بلاده ، فيعززوا جانبهم • فمكث الامام فى البريمى ردحا من الزمن ، ولما تبين أنه لم يعد هناك ما يثير الخشية ، عاد مع جيشه الى دياره •

انهيار الإمامة

ذو القعدة ١٢٨٧ هـ يناير ١٨٧١ م

مع أن السياسة البريطانية بازاء الامامة وصفت بأنها « سياسة عدم التدخل اطلاقا »[1] ، الا أن الحكومة البريطانية اتخذت خطوة أدت مباشرة الى انهيار الامامة ، فكان تركى بن سعيد الذى كان يعيش عيشة هادئة فى الهند ، يبشر بأن يكون زعيما يفضل السلطان السابق سالم بن ثوينى فى اثارة الشعور العام على الامام ، ولذلك سمح لتركى بأن يغادر بمباى على مسؤوليته الخاصة • وفى فصل الربيع من عام ١٢٨٦—١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٧٠ م نزل الى ساحل الصلح البحرى • ومع أن معظم الزعماء هناك بادروا الى التعاون معه ، لم يستطع هو أو حلفاؤه أن يكسبوا تأييد محمد بن على زعيم قبيلة نعيم فى البريمى ، أو تأييد زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى • وما كان تركى ليستطيع أن يتحرك بدون مساعدة هذين الزعيمين • وفى شهر ربيع الأول عام ١٢٨٧ هـ الموافق ليونيه ١٨٧٠ م ، عبر تركى الخليج قاصدا بندر عباس على الجانب الفارسى •

حاول تركى فى أثناء زيارته لبندر عباس أن يرتب حلفا مع موحدى نجد يكون موجها ضد الامام • وأرسل سلطان زنجبار ، الذى كان يؤيد قضية تركى ، تعليمات الى احدى الشركات فى بمباى بأن تدفع

---

(١) فى شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٦ هـ الموافق لأواخر اغسطس ١٨٦٩ — انظر ص ٤٧ •

لأمير الموحدين مبلغ ٢٠ ألف ريال اذا ساعد جيش تركى . وفى شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٧ هـ الموافق لأغسطس ١٨٧٠ م ، رأى تركى أن يذهب الى القطيف ليقابل عبد الله أمير الرياض ، غير أنه لم يقم بهذه الرحلة ، وعاد عوضا عنها الى عمان بدون أن ينال عون الموحدين . وقبل حلول شهر شوال عام ١٢٨٧ هـ أى قبل ختام عام ١٨٧٠ م ، نشبت من جديد حرب أهلية بين الأخوين من آل سعود . أما سعود ، الذى كان قد ذهب الى البحرين عقب الاجتماع بالامام فى عمان ، فقد تقدم الى الساحل الشرقى لجزيرة العرب ، وفى شهر رمضان عام ١٢٨٧ هـ الموافق لديسمبر ١٨٧٠ م حقق نصرا على أخيه الأمير عبد الله عند مورد جودة ، فانهارت حكومة عبد الله ، وبادر سعود بالاستيلاء على الزمام فى دولة الموحدين .

فى شهر جمادى الآخرة عام ١٢٨٧ هـ الموافق لسبتمبر ١٨٧٠ م عاد تركى بن سعيد الى موطنه . وأخفق فى محاولته الأولى للاستيلاء على البريمى ، غير أنه صمد فاستطاع بالتدريج أن يرتبط بكثيرين من فئة الغافرية فى منطقة البريمى وفى الشرقية حيث أصبحت قبيلة آل وهيبة وقبائل أخرى حليفة له .

وحشدت قوات الامامة فى عمان الوسطى ، حيث اختار الامام مدينة نزوى عاصمة لحكمه . ووقف الى جانب الامام صالح بن على ، وهو أقدر قواد الشرق ، غير أنه كان عليه أن ينازع البدو الذين يحاربون الى جانب تركى وهم من قبيلتى الدروع والجنبة ، واتجه الامام صوب ضنك فى الظاهرة ، آملا أن يمسك فيها بخناق قوات تركى الرئيسية ، وقام أتباع الامام فى الشرقية ، باستثناء صالح وعدد قليل غيره ، وأعرضوا عن الذهاب الى ضنك . وعندما أغفل الامام رأيهم ، هجره عدد منهم . وفى

الوادى الضيق القريب من ضنك ، أنزل تركى هزيمة شديدة بالامام ، الذى تداعت قوته بسبب خيانة بنى زيد فى لحظة حرجة ، وسقط فى المعركة كثير من قوات الامام ، وأكره الامام على التخلى عن الظاهرة وعن عمان الوسطى ، متلمسا سبيل عودته الى ساحل مسقط •

أدى انتصار تركى بالقرب من ضنك الى انضمام نجدات جديدة تحت رايته • فأقنع زعيم آل وهيبة قبيلة بنى بو على بأن تنضم الى الحشـود ، كما سايرهم بعض القبـائل فى الشرقية وعمان الوسطى والظاهرة ، وذهب تركى بنفسه الى الشرقية ليعمل على تعزيز قضيته ونصرتها • وأمام هذا التهديد المتزايد ، سعى الامام الى توثيق صلاته بقبيلة نعيم فى منطقة البريمى ولكن الوقت كان قد سبقه بمراحل •

جرد تركى ثلاثة طوابير منفصلة لتهاجم الامام • فاتجه طابور منها عبر الدروب الجبلية الى مدينة مطرح التى كان الامام نازلا فيها حينئذ ، وكان قوامه أعضاء من قبيلتى بنى بو على وبنى بو حسن ، وهما قبيلتان بينهما خصومة تكاد تكون دائمـة • ولم يكن الطابور كبيرا ، وكان المدافعون عن المدينة يميلون أول الأمر الى الاستهانة به • غير أنه قبل أن يدرى رجال الحامية بالأمر ، كان المهاجمون يتسلقون أسوار المدينة • وانضم الامام نفسه الى المعركة لصد المهاجمين ، ولكن الرصاص أطلق عليه فى أثنائهـا فقتل ليلة ٨ ذى القعـدة عام ١٢٨٧ هـ أى فى أواخر يناير ١٨٧١ م • وتقول احدى الروايات ان الرصاصة القاتلة أطلقت عليه من أحد أتباعه فى داخل الأسوار ، ولكن لا يدرى أحد حقيقة هذا الأمر •

وبوفاة الامام ، فقد المدافعون عن المدينة حماستهم ، فاستسلمت مطرح ومسقط للطابور المهاجم • أما سعيد بن خلفان الخليلى ، الذى كان دون سواه الرأس المدبر للامامة ، فقد تحصن فى الكوت الشرقى

فى مسقط مع جماعة من رجال قبيلته بنى رواحة . ووصل تركى الى مسقط ليتولى محاصرة الكوت. ولكن بعد وساطة الانجليز عقدت هدنة. وظل مصير الخليلى يحيط به الغموض ولكن يكاد يكون موكدا أنه لقى حتفه متوفيا أو مقتولا عقب وفاة الامام بقليل .

هكذا انهارت الامامة الوحيدة التى أنشأها أهل عمان فى القرن الهجرى الثالث عشر الموافق للقرن الميلادى التاسع عشر ، أى بعد انتخاب الامام بعامين وبضعة أشهر . وليس عسيرا أن نحدد أسباب انهيارها . فلم يكن للاباضيين فى الداخل حكومة مركزية خاصة بهم منذ زمن بعيد، ولذلك افتقروا الى الخبرة والى رجال يحسنون الادارة . ولم يتحقق التحالف التام بين الغافرية والهناوية مع أن هذا ضرورة حتمية لتحقيق الوحدة فى عمان . أضف الى ذلك أن الامام ومستشاريه لم يكونوا على وفاق دائما ولاسيما فيما يتعلق بتوجيه دفة الأعمال العسكرية ، كما أن الدولة كانت محفوفة بأعداء يتربصون بها لقلبها . ويبدو أخيرا أن أولئك الذين كانوا يحكمون الامامة أخفقوا فى أن يكتسبوا تأييدا شعبيا واسع النطاق يستند اليه نظامهم . وكان من جراء تعسف تعاليم الاباضيين أن طبقت اجراءات وقع عبئها الثقيل على الشعب ، مما جعل كثيرين منهم يؤثرون حكم السلاطين المعروف بالتساهل . ولما ازدادت المخاطر الخارجية على الامامة فى أيامها الأخيرة ، صار من الضرورى تطبيق اجراءات فاقت فى شدتها كل ما سبقتها ، حتى أن كثيرين من الذين كانوا يريدون الامامة من الناحية النظرية ، لم يكونوا على استعداد من الناحية العملية لبذل التضحيات الكفيلة وحدها بانقاذها .

ضغط قوات الداخل على مسقط

١٢٩١ — ١٣٠٠ هـ ١٨٧٤ — ١٨٨٣ م

لما تم الاعتراف بتركى بن سعيد سلطانا على مسقط بعد قلب الامامة ، حكم من عام ١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٧١ م الى عام ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨ م. وكان كرسى العرش يهتز من تحته فى أكثر سنوات تلك الفترة ، ذلك لأنه كان حتما عليه من آن لآخر أن يقمع الفتن التى كان يثيرها أخوه عبد العزيز أو ابن أخيه السلطان السابق سالم بن ثوينى . وبالاضافة الى هذا ، فان بعض القوات التى كانت قد تجمعت لبعث الامامة ، ظلت ذات أثر فى سياسة عمان . وقد جلس ابراهيم بن قيس ، أخو الامام الراحل، فى ميناء صحار فترة من الزمن ثم حصن نفسه فيما بعد فى الرستاق فى الجبال . ومن بين أنصار الامامة السابقين كان صالح بن على الحارثى يعد أعظم رجل فى الشرقية ، وأقوى فى دائرة نفوذه من السلطان الجديد فى سلطنته ، ذلك لأن معظم زعماء الداخل الذين تعاونوا مع تركى فى وجه الامامة لم يظهروا ميلا لقبول حكم تركى بدلا من حكم الامام ، ولهذا عجلوا بالعودة الى مركزهم القديم ، مركز الشيوخ الصغار المستقلين .

ولولا مساعدة الانكليز لتركى ما كان ليتيسر له أن يحتفظ بالمركز السامى الذى ظفر به . فعندما واجهته عقبة تمويل حكومته بالمال ضمن له الانكليز دفع الاعانة السنوية طبقا لشروط منحة كاننق لعام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦١ م . وعندما اشتد نكير القوات من الداخل عليه أبدى الانكليز استعدادهم لامداده بمعونة عسكرية من جهة البحر .

فى أواخر عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٤ م أقبل صالح بن على من الشرقية واحتل مدينة مطرح وهى تعد المنفذ الثانى لمسقط عاصمة تركى. وكان تركى مريضا فى ذلك الحين وينقصه جيش قوى يمكن الاعتماد عليه . وعلى هذا فانه كان ممكنا أن يستولى صالح على مسقط نفسها لولا أن السلطان صرفه عنها بقدر كبير من المال .

وفى أواسط عام ١٢٩٤ هـ الموافقة ليونيه ١٨٧٧ م عاد صالح ؛ وقد تحالف مع ابراهيم بن قيس أخى الامام الراحل ، الى احتلال مطرح ؛ ثم تقدم فى هذه المرة الى احتلال جزء من مسقط . وهنا تدخل المركب البريطانى تيزر Teazer وأطلق بعض نيرانه على المدينتين . فانسحب الغزاة بعد أن اشتركوا فى النهب .

بعد مضى ستة أعوام اشترك صالح بن على فى « أكبر محاولة جابهها السيد تركى فى تاريخ حكمه كله ، وهى أكبر محاولة عنيدة قام بها منافسوه » . وكانت حكومة مسقط قد تدخلت فى شئون الداخل عن غير فطنة فأثارت شعورا دافقا بالسخط هناك . وهجم صالح بمساعدة عبد العزيز أخى تركى على مطرح ومسقط فى شهر ذى الحجة عام ١٣٠٠ هـ الموافق لأكتوبر ١٨٨٣ م وهنا خف المركب البريطانى فيلومل Philomel الى مطرح ليقدم معونته الى السلطان وكان مشرفا على الهزيمة . وعلى أية حال استطاع تركى بفضل بعض قواته أن يرد هجوم العدو الليلى ، وهو هجوم كان يشنه رجال يرتدون الملابس السوداء .

« وفى عام ١٣٠٣ — ١٣٠٤ هـ الموافق ١٨٨٦ م أعلنت الحكومة البريطانية عزمها على مد السيد تركى بمعونة فعالة فيما لو هوجمت مسقط فكان لهذا الاعلان أثره الناجع فى صون السلم فى خلال الفترة الباقية من حياة السلطان » .

رد تركى الفضل لذويه بأن وقع مع الانكليز معاهدة تقضى بالغاء
تجارة الرقيق فى عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣ م . وقد نصت هذه المعاهدة
على وقف استيراد الرقيق الى أراضى مسقط وقفا شاملا واغلاق أسواق
هذه التجارة فى أنحاء تلك الأراضى جميعا .

تولى فيصل بن تركى لسلطنة مسقط

١٣٠٥ هـ ١٨٨٨ م

تولى فيصل ، وهو ثانى أبناء تركى الثلاثة ، عرش مسقط خلفا لوالده فى عام ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨ م • وكان أول عمل قام به السلطان الجديد أن أوفد رسولا الى صالح بن على يبلغه نبأ وفاة والده ويطلب اليه أن يسود السلام بين مسقط والشرقية • ومن المحتمل أن يكون الحافز على هذا الطلب هو رغبة السلطان فى حماية مسقط من تلك الناحية بينما كان قائما بأعمال حربية من ناحية أخرى ، ذلك لأنه فى شهر محرم عام ١٣٠٦هـ الموافق لسبتمبر ١٨٨٨ م جرد فيصل حملة على الرستاق ؛ وهى الحصن الجبلى الذى كان فى قبضة ابراهيم بن قيس أخى الامام الراحل • وقد برز سعود بن عزان النجل الثانى للامام فى الدفاع ، فعاد السلطان الجديد الى مسقط صفر اليدين • وكان سعود حينئذ شابا فى أوائل العقد الثالث من عمره • وقد ظفر بشهرة عظيمة فيما بعد حينما تقدم مرشحا للامامة •

فيصل بن تركى والانكليز

١٣٠٨ هـ ١٨٩١ م

لم يعترف الانكليز بفيصل سلطانا على مسقط حتى عام ١٣٠٧ — ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٩٠ م • وفى عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٩١ م عقد الفريقان معاهدة صداقة وتجارة وملاحة ، حلت محل المعاهدة المعقودة فى عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٣٩ م • ومن بين شروط المعاهدة الجديدة ما يلى :

> لا تمنع أية سلعة من الدخول الى أراضى صاحب العظمة سلطان مسقط أو الخروج منها ، ولن تفرض رسوم جمركية على البضائع التى تصدر من تلك الأراضى دون موافقة حكومة صاحبة الجلالة البريطانية •••
>
> يستمتع رعايا صاحبة الجلالة البريطانية ، فيما يتعلق بأشخاصهم وممتلكاتهم ، فى داخل أراضى صاحب العظمة سلطان مسقط بامتيازات خارج النطاق •

بعد توقيع هذه المعاهدة بيوم واحد وقع السلطان تعهدا مؤداه أنه « يقطع عهدا ووعدا على نفسه وعلى ورثته وخلفائه بأنه لن يتنازل قط عن أراضى مسقط وعمان أو أية من ملحقاتهما ، ولن يبيعها أو يقدمها رهنا أو يسمح باحتلالها بأية طريقة كانت ، الا للحكومة البريطانية » •

احتلال مسقط على يد قوات الداخل

١٣١٢ هـ ١٨٩٥ م

مع أن صالح بن على زعيم الشرقية لم يزحف على فيصل بن تركى فى خلال السنوات الأولى من حكم هذا السلطان فان الخلافات نشبت بينهما بمضى الزمن ، ويرجع السبب فى هذا الى العداوة القديمة التى كانت قائمة عصورا طويلة بين الساحل والداخل ، وقد بلغت هذه العداوة أوجها بفضل تعاون السلطان مع الانكليز فى محاولة تقييد حركة تهريب الأسلحة ، وبفضل هذا التعاون كان أمام السلطان أن يحقق لنفسه بعض الغنم وذلك بقطع موارد المدد التى كانت تصل الى الرجال فى الداخل الذين يحتمل أن يكونوا أعداءه فى المستقبل . ويقال كذلك ان سلطان زنجبار تدخل فى شئون وطن أجداده فحرض القبائل على الثورة ضد فيصل .

فى عام ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٥ م بعث صالح ، وقد بلغ الستين من عمره ، بابنه عبد الله فى حملة ضد مسقط . ورغم أن عبد الله كان فى نحو العشرين من عمره الا أنه كان جنديا ممتازا ، فتقدم صوب مسقط عن طريق نزوى وسمايل ، وعندما بلغ هدفه احتل قصر السلطان على عجل فلجأ السلطان الى كوت من كيتانه . وقد قدم صالح من الشرقية لينضم الى ابنه الظافر ، ونزل سعود بن عزان ، نجل الامام الراحل ، من الرستاق الى مسقط .

ظل القتال دائرا فى عاصمة السلطنة فترة تقرب من ثلاثة أسابيع

فى خلال شهر شعبان عام ١٣١٢ هـ الموافق لفبراير ١٨٩٥ م ، والتزم الانكليز خطة الحياد حيال القتال . ولما كانت القوات الرئيسية للمهاجمين مكونة من الهناوية فان كثيرين من الغافرية خفوا الى مساعدة السلطان . وفى النهاية وقع الصلح بين الفريقين وبمقتضاه دفع السلطان لصالح مبلغا من المال وعاد صالح الى الشرقية .

وقد كشف احتلال مسقط عن تفوق رجال الداخل تفوقا عسكريا على قوات السلطان . ولم يكن ينقص أولئك الرجال سوى زعامة شخصية دينية مسيطرة كشخصية الشيخ سعيد الخليلى ، وفاتهم كذلك أن يحققوا الصلح بين فئتى الغافرية والهناوية ليتهيأ لهم الاستقرار التام .

لم يكن الانكليز راغبين فى أن يروا الفتنة التى وقعت فى مسقط فى خلال تلك الأسابيع الثلاثة تتكرر فصولها . «وفى عام ١٣١٢ — ١٣١٣هـ الموافق ١٨٩٥ م أبلغ السلطان كبار شيوخ عمان قرار الحكومة البريطانية الذى مؤداه أنه بالنظر لما للانكليز من مصالح جوهرية فى مدينتى مسقط ومطرح فانها لن تسمح للشيوخ بمهاجمة هاتين المدينتين مهما كانت الخلافات القائمة بين أولئك الشيوخ والسلطان» .

وحتى لو لم يصدر هذا البلاغ فانه كان من المستبعد أن يتكرر وقوع الهجوم ، ذلك لأن شعب الداخل تكبد خسائر قاصمة بموت عبد الله فاتح مسقط الذى وقع ولم يمض على الجلاء عن المدينة سوى شهر واحد أو ما يقاربه ، وكذلك بوفاة والده صالح فى النصف الأول من عام ١٣١٤هـ الموافق للنصف الأخير من عام ١٨٩٦ م اثر جرح أصيب به فى آخر معركة من معاركه . وخلف صالحا ، باعتباره زعيم الشرقية ذا النفوذ الأعلى هناك ، ابن آخر من أبنائه اسمه عيسى ، وقد أثبت أنه جدير بالقبض على زمام السلطة التى آلت اليه . فبدأ عيسى عهده بتخييب أمل السلطان فى استغلال فرصة وفاة صالح ، فهاجم السلطان فى واد من الأودية الجبلية وهزمه شر هزيمة .

محاولة فاشلة لبعث الامامة

١٣١٦ هـ ١٨٩٨ م

توفى ابراهيم بن قيس ، أخو الامام الراحل وحاكم الرستاق المستقل زهاء خمسة وعشرين عاما ، وكان ذلك فى أوائل صيف عام ١٣١٦هـ الموافق ١٨٩٨ م تاركا وراءه ولدين ، وهما سعيد الذى كان آنئذ حدثا وأحمد الذى كان طفلا ، وقد اتفق رجال حامية الرستاق وزعماء الهناوية على أن الذى يخلف ابراهيم ، ابن أخيه سعود بن عزان النجل الثانى للامام الراحل وليس النجل الأكبر لابراهيم .

عندما تولى سعود زمام الحكم فى الرستاق كتب الى أعيان الاباضيين يدعوهم الى الاجتماع فى عاصمة ملكه ، وكان من بين الذين شهدوا الاجتماع ، عيسى بن صالح من الشرقية وفيصل بن حمود ابن عم الامام الراحل . وقد خطب سعود فى الاجتماع فأبلغ الحاضرين أن الرستاق ستصبح معقلا للمسلمين ومثلا من أمثلة الحكم العادل فى البلاد اذا هم تعاونوا معه . وقد اتفقت كلمتهم على أن يعملوا معه وتبادلوا الرأى فيما بينهم على احتمال اختياره اماما ، وكان شعب الاباضيين يتوقعون عقد الامامة له فوضع أحد شعرائهم قصيدة تتضمن هذا البيت :

فان شاء الاله فعن قريب * يقال له الامام ابن الامام

غير أن آمال الشعب لم تتحقق ، فلسبب ما ، لا يذكره السالمى المؤرخ الاباضى ، لم يتم العقد له ، وانفض اجتماع الرستاق دون الوصول الى نتائج مهمة .

وعلى الرغم من أن سعود بن عزان كان عادلا ومنصفا فانه لم يعمر فى حكم الرستاق طويلا . ففى شهر شوال عام ١٣١٦ هـ الموافق لمارس ١٨٩٩ م دبر رجال الحامية مؤامرة بالاشتراك مع حمود أخى سعود الأكبر وأسفرت تلك المؤامرة عن قتل سعود صبيحة ذات يوم وهو يؤدى صلاة الفجر .

كان من نتيجة الموقف المضطرب الذى ساد الرستاق أن أصبحت المدينة هدفا للتنافس فى خلال الأعوام القليلة التى تلت ذلك الحادث . وقد حاول سلطان مسقط ، عن طريق ابنه تيمور ، أن يستولى عليها ، غير أن عيسى ابن صالح من الشرقية أفسد عليه تدبيره فى عام ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠٣ م بقضائه على قوة الحامية وتنصيبه سعيدا النجل الأكبر لابراهيم بن قيس واليا على البلد . ثم حدث فى عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢ م أن اغتالت عصابة من المتآمرين سعيدا غير أنها عجزت عن أسر أخيه الأصغر أحمد . وبعد فترة وجيزة عاد أحمد ونصب نفسه حاكما للمدينة وظل يسيطر عليها الى أن طردته منها امامة القرن الهجرى الرابع عشر فى عام ١٣٣٤ هـ الموافق ١٩١٦ م .

يشغل أحمد بن ابراهيم اليوم ، بعد ما ضاعت منه الرستاق الى الامامة ، منصب وزير الداخلية فى حكومة السلطنة . وهو الآن فى أواسط العقد السادس من عمره ، وقد يعد أقوى رجل فى الحكومة . ومع أنه ابن أخى عزان بن قيس ، امام الاباضيين فى القرن الثالث عشر ، فانه بحسب الظاهر ، على غير وفاق مع الامام الحالى ، ذلك لأن أحمد ما فتىء يتأسى لفقد ما ورثه فى الرستاق ، ومن المحتمل أنه يعلل نفسه بالأمل فى استرداد ما فقده.

المنافسة بين الانكليز والفرنسيين فى السلطنة

١٣١٢ — ١٣٢٣ هـ ١٨٩٤ — ١٩٠٥ م

كانت الفترة الواقعة بين عام ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٤ م وعام ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م فترة منافسة شديدة بين الانكليز والفرنسيين لنظفر بالنفوذ الأعلى فى بلاد سلطان مسقط • وفى مناسبات عدة خلال القرن الهجرى الثالث عشر كان على الانكليز أن يتظاهروا بدبلوماسيتهم وقوتهم البحرية ؛ لابقاء السلاطين على عروشهم ، ويرجع الفضل فى دوام دولة السلاطين الى الانكليز أكثر منه الى سواهم • وفى الوقت ذاته كانت تربط الفرنسيين بالسلطان معاهدة ترجع الى عام ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٤ م • وفى عام ١٢٧٨ هـ الموافق ١٨٦٢ م اتفق الفرنسيون والانكليز على اصدار بيان فى باريس تعهدوا فيه باحترام استقلال سلطان مسقط وسلطان زنجبـــار •

وفى الجزء الأول من القرن الهـــجرى الرابع عشر بدأ الفرنســيون ينازعون الانكليز فيما لهم من مركز فى السلطنة • وفى عام ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٨ م منح فيصل بن تركى الفرنسيين عقـــد ايجار يخولهم حق استخدام بندر الجصة ، الواقع على مقربة من مسقط ، مرفأ لشحن السفن بالفحم الحجرى ، غير أن الانكليز بما لوحوا به من القوة أكرهوا السلطان على الغاء هذا العقد • وقد أعقب هذا الحادث نزاع طويل الأمد حـــول رفع العلم الفرنسى على مراكب يملكها أشـــخاص من رعايا السلطان ، وبخاصـــة من يقيم منهم فى ميـــناء صور ، وكانت حجة

الانكليز فى معارضتهم لهذا الاجراء تقوم فى الأغلب على أن كثيرا من تلك المراكب التى كانت تسير فى ظل العلم الفرنسى كانت تشترك فى حركة تهريب الأسلحة وتجارة الرقيق ، وهى حركة كان الانكليز يحاولون قمعها • وقد سويت المسألة نهائيا على يد محكمة ألفتها المحكمة الدائمة للتحكيم فى عام ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م • وكان حكم المحكمة ، بصفة عامة ، مرضيا للانكليز •

ومع أن « الوفاق الودى » بين الانكليز والفرنسيين الذى وقع فى عام ١٣٢٢ هـ الموافق ١٩٠٤ م لم يكن وديا بالفعل فى هذا الجزء من العالم ، فانه فى الواقع ساعد بمرور الزمن على تخفيف حدة المنافسة بين الانكليز والفرنسيين وبخاصة عند ما أدرك الفريقان عظم الخطر الذى يهدد مصالحهما بسبب نمو الامبراطورية الألمانية الجديدة واتجاهها سياسة الاندفاع نحو الشرق •

ان نجاح الانكليز فى مواجهة التحدى الفرنسى فى خلال تلك الفترة كان قمينا بأن يصبح ضئيل الشأن لولا أن ظهر على المسرح رجل من الرجال العظام فى تاريخ الامبراطورية البريطانية • ففى عام ١٣١٧ هـ الموافق ١٨٩٩ م تلفت اللورد كرزون Curzon نائب الملك فى الهند ، فأقلقه تضاؤل هيبة بريطانيا فى مسقط ، فاختار الكابتن پرسى كوكس Percy Z. Cox لمنصب الوكيل السياسى والقنصل فى تلك المدينة ، وكان كوكس ضابطا شابا فى الرابعة والثلاثين من عمره • وقد خطت الأعوام الخمسة التى قضاها كوكس فى مسقط الفصل الأول من حياة لامعة ترك كوكس فى خلالها أثرا عميقا واضحا فى شئون الخليج الفارسى كله ، على صورة لم يسبقه اليها غربى آخر •

وقد بسط كرزون ، وهو الذى اختار كوكس وكان رئيسا له

باعتباره نائب الملك ، وجهة نظره فى عــلاقة مسقط بالدولة البريطانية فقال « اننا نمد حاكمها بالاعانة ونملى سياستها ، ولهذا فعلينا ألا نسمح بأى تدخل أجنبى فى شئونها » ، وقد تجاهل هذا التصريح البيان البريطانى الفرنسى فى عام ١٢٧٨ هـ الموافق ١٨٦٢ م ٠ ثم أدرك كوكس فيما بعد أن الحكومة البريطانية فى لندن ، وهى معنية بالوصول الى اتفاق شامل مع الفرنسيين أكثر من عنايتها بدعم السلطان البريطانى فى زاوية نائية فى المحيط الهندى ، غير راغبة فى أن تذهب الى الحد الذى ذهب اليه نائب الملك المتعجرف ، وحتى كرزون نفسه كان على استعداد لأن يخفف من لهجته عندما واجه وضعا عمليا ، فقبل أن يقصد كوكس الى تسلم منصبه الجديد زوده كرزون بنصحه وعاد يلخص النصيحة التى بذلها له فى تلك المناســبة فقال « دع الســلطان يفهم أن كل اعتبــار من اعتبارات السياسة والروية والخبرة الماضية وآمال المستقبل ، كل هذا يكرهه على أن يظل الى جانبنا ، وليس بالضرورة ضد أى طرف آخر ، ولكن الواجب عليــه أن يسلم بأن مصالحه مرتبطة بولائه لبريطانيــا العظمى » ٠ وكان أمام كوكس فسحة كافيــة من الوقت ليبرز براعته السياسية فى انتهاج سبيل يرمى الى الظفر برضاء نائب الملك وحكومة لنــدن معا ٠

الانكليز والداخل

١٣١٥ — ١٣٢٠ هـ ١٨٩٨ — ١٩٠٢ م

لم تترك المنافسة بين الانكليز والفرنسيين فى سلطنة مسقط آثرا يذكر على شعب عمان فى الداخل غير الأثر المترتب على خطة بريطانيا التى ترمى الى قمع حركة تهريب الأسلحة وتجارة الرقيق . وكنا قد أشرنا الى رغبة السلطان فيصل بن تركى فى التعاون مع الانكليز على قمع حركة الاتجار فى الأسلحة . وفى عام ١٣١٥—١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م وافق السلطان على أن يعمل مع الحكومتين البريطانية والايرانية على وضع حد لاستيراد الأسلحة الى الهند البريطانية وايران . وكذلك كانت تدابير منع تجارة الرقيق آخذة سيرها بانتظام .

وفى عام ١٣١٨ — ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١ م بعث عيسى بن صالح الى السلطان باحتجاج شديد على عتق الرقيق الفارين ، وهذا اجراء يشجعه الانكليز تشجيعا قويا . ويؤخذ مما رواه كاتب سيرة كوكس أن هـذه الخطوة كانت المناسبة الأولى التى استرعى فيها عيسى التفات السلطات البريطانية ، هذا على الرغم من أنه كان متوليا زمام الحكم فى الشرقية مدة تقرب من خمسة أعوام . وقد وصف كاتب سيرة كوكس موقف عيسى وأتباعه فى ذلك الحين فقال :

> ... ان المتحمسين من جماعة الاباضيين ... كانوا يرون أن فرض الرسوم الجمركية عمل من أعمال الكفر

لأنه لم يحظ بموافقة النبى ويعتقدون أن الرق دعامة مشروعة تسند نظامهم الاجتماعى والاقتصادى • وقد اعترضوا على فرض أية رقابة على حركة تهريب الأسلحة واعترضوا كذلك على المعاهدات المعقودة مع الدول الكافرة التى منعت الحكومة من التدخل فى بيع التبغ والخمر • وكان هؤلاء المتحمسون خصوما للأوربيين بوجه عام وللانكليز بوجه خاص • ذلك لأن الانكليز كانوا يتصدون لتجار الرقيق ومهربى الأسلحة ، ولأن التجار الهندوس الذين كانوا يقيمون فى موانيهم ••• كانوا تحت حماية الانكليز •

ومن تلك اللحظة راح كوكس ، وهو ذو العين النافذة فى شئون العرب ، يتتبع أعمال عيسى باتنباه شديد •

تشير التقارير التى كتبها كوكس فى تلك الفترة الى أن ممثلى فرنسا فى مسقط كانوا يثيرون هذا الشعور المعادى لبريطانيا • وكان أوتافى Ottavi القنصل الفرنسى « على صلة ••• بالكثيرين من زعماء القبائل ومثيرى الاضطرابات من سكان ميناء صور ••• حيث يقيم كثيرون من فئة الهناوية ، وهى الفئة التى كانت تنازع فئة الغافرية لتظفر منها بالنفوذ السياسى الأعلى فى عمان ، وهى التى أثارت كذلك فتنة سنة ١٨٩٥ (الموافقة ١٣١٢ هـ) » • كان أوتافى يجيد العربية « وقد طوف بعمان فى زى عربى وزار خصوم السلطان » ، وربما كانوا كذلك خصوما للانكليز فى الوقت نفسه •

فى عام ١٣١٨ هـ الموافق ١٩٠١ وضع كوكس ، عن طريق السلطان ،

خطة لتفقد مناجم الفحم الحجرى الواقعة على مقربة من ميناء صور . ولما بلغت أنباء هذا الاجراء شرق عمان خيف من أن يكون الممثل البريطانى قد انتوى أن يتوغل فى هذا الجزء من البلاد . « وأخبر بعض عرب الداخل كوكس أن ثمة رسائل ورسلا قصدوا من صور الى زعماء الهناوية جميعا ليحذروهم من أن السلطان فيصلا (بدأ يبيع مدينة صور للانكليز) وأن الشعب هائج » . وقد تباحث عيسى بن صالح مع زعماء القبائل واتفقت كلمتهم جميعا على عدم السماح للزائرين الانكليز بالتوغل فى الداخل ، وأرسلت التعليمات المتعلقة بهذا الشأن الى زعماء قبيلة المشارفة وهى القبيلة الهناوية صاحبة مناطق الفحم فى الرفصة ، واستجاب المشارفة لهذا الأمر فقاموا لسد الطريق فى وجه كوكس والجيولرجى الذى كان يرافقه . أما عيسى بن صالح فقد تحرك وقواته من عاصمته القابل فى الشرقية ورابط فى مراكز المشارفة ، حيث كان فى استطاعته أن يراقب تطورات الموقف . ونجح كوكس والجيولوجى فى النهاية فى الوصول الى مناطق الفحم ، غير أنه حدث فى أثناء الرحلة أن أصيب جواد الجيولوجى بطلق نارى وهو يركبه .

يقول السالمى المؤرخ الاباضى ان كوكس حاول فى تلك الفترة أن يعقد اجتماعا مع عيسى بن صالح غير أن عيسى قال « لا أراه ولا يرانى » . ولم يذكر كاتب سيرة كوكس شيئا عن هذه النقطة .

ويقول كاتب السيرة ان كوكس عندما عاد الى مناطق الفحم ومعه جيولوجى آخر فى رجب أو شعبان عام ١٣١٩ هـ الموافق لنوفمبر ١٩٠١ م « تولى فريق قوى من قبيلتى المشارفة وبنى بو حسن حراستهم ليثبتوا لهم حسن نية الشيوخ ، ولهذا فان كوكس ورفاقه لم يلقوا أية صعوبة » . ومع هذا فان المؤرخ الاباضى لم يذكر شيئا عن هذه النقطة .

وكان مؤدى التقرير الجيولوجى أن مناجم الفحم الواقعة فى الرفصة لم يكن يرجى منها خير ، ولذا فقد نبذت فكرة استثمارها .

فى أواخر عام ١٣١٩ وأوائل عام ١٣٢٠هـ الموافقة لشهرى ابريل ومايو عام ١٩٠٢ م قام كوكس برحلة الى القسم الشمالى الغربى من الداخل ، من أبو ظبى عن طريق البريمى وضنك وعبرى ونزوى الى مسقط ؛ ويبدو أنه انتهى الى رأى مؤداه أن ممتلكات سلطان مسقط تمتد حتى عبرى ، غير أن كاتب سيرته يقرر « أن قبضة الحاكم كانت هينة لينة وأن الشعب كان ثائر الأعصاب وأن النزاعات كانت متعددة » ويمكن تصوير الحالة آنئذ بما كان عليه الأمر فى عبرى حيث كان الناس « يعيشون فى قلق دائم وكان الغرباء ينامون فى العراء ، وكان أصحاب الدور كثيرا ما يبيتون خارجها خوفا من أعدائهم من قبائل أخرى فقد يناديهم هؤلاء فى الظلام ويطلقون عليهم النار اذا فتحوا أبوابهم على غير وعى منهم » . ويمكن أن نقارن هذه الحالة بما يحدث فى يومنا هذا فى ظل حكم الامامة ، طبقا لما وصفه الرحالة البريطانى ولفرد ثسيجر Wilfred Thesige الذى زار تلك الأصقاع أخيرا[1] .

---

(١) انظر ص ١٠٩

رحلة كرزون إلى الخليج الفارسي

١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م

قام اللورد كرزون نائب الملك فى الهند برحلته المشهورة الى الخليج الفارسى فى عام ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠٣ م وزار مدينة مسقط . وكانت هذه المرة هى المرة الأولى التى يزور فيها رجل كبير المقام من رجال الامبراطورية البريطانية مياه الخليج . ودبر كرزون ، وهو الرجل المغرم بالمظاهر ، الأمر لكى تترك الرحلة وما يصاحبها من احتفال ، أثرا كافيا . وثمة تقرير كتبه كرزون نفسه عن الرحلة ، أشار فيه الى العلاقات الوطيدة بين سلطان مسقط وبين الحكومة البريطانية ، ومما جاء فى هذا التقرير :

... سلك صاحب العظمة السلطان فى هذه المناسبات جميعا مسلك البساطة والوقار ، وكان مسلكه مسلك تابع موال للحكومة البريطانية ، لا مسلك حاكم مستقل ... ان الموقف وما أحاط به بدا أنه كان كافيا فى نظر السلطان لأن يقنعه بالاعتماد على صداقتنا وبالوقوف موقف الاذعان لرغباتنا .

... وعلى قدر ما تجلت رغبة السلطان فى أن ينحاز الى جانب أمراء الهند فى علاقتهم بالتاج البريطانى بدأ التناقض فى مركزه الدولى .

... ان ثمة حاكما وشعبا وتجارة ، كل أولئك
يعتمدون علينا اعتمادا يكاد يكون كليا .

ويعـد القول الأخير صحيحا فيما يتعلق بسلطان مسقط وشعوب المناطق التى تحت سيطرته ، ولكنه ليس صحيحا بالنسبة للأقاليم المستقلة فى الداخل . وجائز أن هذا النائب العظيم كان غير ملم بهذا الفـارق عندما خط بقلمه هذه الكلمات .

عبد العزيز آل سعود وعمان

١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م

مضت على زيارة كرزون للخليج ثلاثة أعوام وراح شعب عمان يتوقع مقدم زائر عظيم آخر ألا وهو عبد العزيز آل سعود حاكم الرياض الجديد ، وقد أخذت سلطته منذ البداية تعظم وتتسع وتمتد فى شبه الجزيرة العربية .

وقد ظل آل سعود وفكرة التوحيد محجوبين عن الأعين فترة تقرب من ثلاثين عاما . وفى عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١ م كانت الحرب الأهلية التى نشبت بين الأخوين عبد الله وسعود سببا تذرعت به الدولة العلية العثمانية للتدخل فى الجزيرة العربية جنوبى الخليج الفارسى . فاحتلت الدولة العلية منطقة الحسا وجعلت منها سنجقا عثمانيا . وأدت تلك الحرب الأهلية نفسها الى اضعاف الدولة السعودية فى نجد الى أن سقطت فى يد بيت قوى جديد من شمال الجزيرة العربية هو آل رشيد .

استطاع عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، وهو ابن أخ ثالث للأخوين المتقاتلين ، أن يسترد دولة أجداده ويعيد الى بيته ودينه المهابة والشهرة ، وذلك بفضل ما أوتى من المقدرة وقوة الخلق . فغادر عبد العزيز الكويت حيث كان يعيش فيها كشاب منفى ، وبحركة بارعة استرد الرياض ، العاصمة السعودية ، من آل رشيد فى عام ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠٢ م . وفى عام ١٣٢٢ هـ الموافق ١٩٠٤ م أرسل الأتراك ، وقد ازدادوا اهتماما بشئون داخل الجزيرة العربية ، حملة الى

نجد لمقاتلة عبد العزيز ٠ وترتب على هذا أن احتك الأمير الشاب لأول مرة بالانكليز وهم المسيطرون على الخليج الفارسى ، وقد كتب الأمير فى أوائل عام ١٣٢٢ هـ الموافقة لشهر مايو ١٩٠٤ م الى كوكس القائم بأعمال المعتمد السياسى فى الخليج حينئذ كتابا تقول المصادر البريطانية انه « احتج فيه على تدخل الأتراك واستغاث بالحماية البريطانية » : غير أن الحكومة البريطانية آثرت فى تلك الفترة ألا تتدخل فى شئون داخل الجزيرة ولم تقم بعمل يشجع عبد العزيز ٠

كانت الثقة بالنفس من أبرز مزايا عبد العزيز ، فما دام الانكليز غير راغبين فى مساعدته فليتول هو أمره بنفسه ، فاستطاع بالقتال والمناورة أن يبعد الخطر التركى ومن ثم راح يعزز قوته فى ثبات ٠

كان عبد العزيز على علم تام بالمركز الذى كان يشغله أسلافه فى عمان وكانت أفكاره بين الحين والآخر تتجه بدون شك الى البريمى ذلك المركز القائم فى الشرق الذى تخلى عنه الموحدون منذ أكثر من ثلاثين عاما ٠ وفى عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م أشيع ان عبد العزيز ينوى زيارة ساحل الصلح البحرى وان بعض الزعماء هناك لم يستحسنوا سماع هذه الأنباء ٠ فأخذ زايد بن خليفة حاكم أبى ظبى المسن ، الذى ناصر الامام عزان فى عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م عندما كانوا يخافون من هجوم قد يشنه أنصار التوحيد تحت امرة عم عبد العزيز ، أخذ زايد يباحث فيصل بن تركى سلطان مسقط ، وأعرب الرجلان للانكليز عن مخاوفهما من زيارة عبد العزيز المنتظرة ٠ وقد يكون جائزا أن بعض الزعماء لم يشاركوا الرجلين مخاوفهما ، ذلك لأن العطف على عقيدة الموحدين لم يكن قد أوشك أن يتلاشى على ساحل الصلح البحرى ٠

بدلا من أن يفاتح كوكس عبد العزيز فى الأمر رأسا ، اتصل بمبارك

آل صباح حاكم الكويت ؛ وهو الذى بسط على عبد العزيز حمايته فى أيام منفاه والذى يعد أستاذه آنئذ فى الشئون السياسية • فأرسلت ملاحظة عابرة الى مبارك مؤداها أن « تدخل الوهابيين فى شئون الذين تحميهم بريطانيا لا يروق فى عينى الحكومة البريطانية » ويبدو أن مباركا حذر عبد العزيز من القيام بخطوة تتسم بطابع التعجل على ساحل الصلح البحرى ، واقترح كوكس بدوره على الحكومة البريطانية أن تخوله سلطة تحذير زعماء الساحل « من الاشتراك فى أية مؤامرة » مع عبد العزيز • وقد وافقت وزارتا شئون الهند والخارجية على هذا الاقتراح •

لم يقم عبد العزيز برحلته الى ساحل الصلح البحرى لأنه زحف فى أوائل عام ١٣٢٤ هـ الموافقة لشهر ابريل ١٩٠٦ م شمالا ليشترك فى القتال الدائر مع أعدائه القدامى من آل رشيد ، فأوقع الهزيمة بقواتهم وقتل أميرهم فى روضة مهنا •

وقبل أن يقع هذا الحادث قدم رسول من قبل عبد العزيز الى البحرين وأبلغ الوكيل السياسى البريطانى فيها أن أمير الرياض ، كما تقول المصادر البريطانية ، « قد استشعر فى نفسه الآن قوة تكفى لطرد الأتراك من الحسا وأنه راغب فى أن يعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية مع الترخيص لها بتعيين ضابط سياسى فى الحسا أو القطيف بشرط أن يكفل له الانكليز الحماية من الهجوم التركى » • وعلى أثر انتصار عبد العزيز فى روضة مهنا بعث كوكس ، وهو رجل ثاقب النظر واسع الأفق ، بمذكرة الى حكومة الهند لخص فيها الفوائد التى يمكن أن تجنى من عقد محالفة مع عبد العزيز آل سعود ، غير أن جون مورلى John Morley وكان متوليا وزارة شئون الهند فى ذلك الحين ، « أبدى

رغبته فى ألا تنشأ أية علاقة رسمية من أى شكل كان مع ابن سعود » لأن الموقف الدولى آنئذ لم يكن يسمح للانكليز بأن يأخذوا على عاتقهم عبئا جديدا من هذا النوع . وعلى هذا فقد كتب مورلى الى حكومة الهند « بأن تقصر عنايتها ونفوذها على الساحل » .

فى الوقت الذى كان فيه الانكليز فى الخليج ينتظرون قرار مورلى ، عاود عبد العزيز الاتصال بهم : وكان اتصاله بهم فى هذه المرة عن طريق قاسم آل ثانى حاكم قطر . وفى شهر شعبان أو رمضان عام ١٣٢٤ هـ الموافق لأكتوبر ١٩٠٦ م أبان عبد العزيز عن طريق قاسم ؛ على ما جاء فى المصادر البريطانية ؛ « أن موارد نجد المادية قد استنزفت نتيجة للحروب الأخيرة وأنه بناء على هذا يفكر فى استرداد الحسا والقطيف اللتين منهما يستطيع أن يحصل على دخل كبير كما فعل أسلافه ... وعلى هذا اقترح عبد العزيز التفاهم سرا مع بريطانيا العظمى على أن تقدم له حماية بحرية بريطانية اذا هو نجح فى طرد الأتراك بغير مساعدة خارجية من أراضى أجداده ... ولن يقوم بمحاولته الا بعد مضى أربع سنوات أو خمس » .

قضت السلطات البريطانية وقتا طويلا فى دراسة الاقتراح الجديد ولكنها لم تجد مبررا كافيا للتحلل من سياسة نفض اليدين من شئون جزيرة العرب الداخلية . وفى شهر ربيع الأول أو الثانى عام ١٣٢٥ هـ الموافق لمايو ١٩٠٧ م أبلغ مورلى حكومة الهند أنه « اذا لم يكن بد للميجر كوكس من أن يرد على وسطاء ابن سعود فعليه أن يبلغهم أن مقترحات الأمير الوهابى تنطوى على اعتبارات (ترى حكومة جلالته البريطانية استحالة قبولها) ، واذن فليس له (أى ابن سعود) أن يتوقع ردا » ويقول كاتب سيرة كوكس « فكان على حكومة الهند ومعتمدها فى الخليج أن يقنعا بهذا الرد المقتضب » .

كانت نتيجة كل هذا أن وجد عبد العزيز آل سعود نفسه حرا للتقدم صوب عمان ، غير أنه لم يبادر اليه ، لا لأنه لم يكن راغبا فيه ، بل لأن العمل المتواصل فى نجد شغله عنه ، فعبء تحقيق الوحدة فى بلاد كانت تسودها الفوضى استغرق اهتمامه خلال سنوات عديدة •

سلطان مسقط والشرقية

١٣٢٤ — ١٣٢٥ هـ ١٩٠٦ — ١٩٠٧ م

توثقت علاقات الصداقة بين السلطان فيصل وعيسى بن صالح حاكم الشرقية حوالى عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م أكثر منها فى أى عهد مضى . وكان من بين أسباب هذه الصلة ، اشتباك عيسى ، زعيم فئة الهناوية فى عمان ، مع حمير بن ناصر النبهانى زعيم قبيلة بنى ريام الواسعة النفوذ فى فئة الغافرية . وفى آخر عام ١٣٢٤ هـ الموافق لمستهل عام ١٩٠٧ م زار سليمان بن سويلم ، وكان السلطان قد جعله سيف دولته ، الشرقية لمباحثة عيسى . وعندما قفل سليمان راجعا الى مسقط ، وكان يرافقه وجوه الناس من أهل الشرقية ، لقى حتفه على يد جماعة من قبيلة السيابيين الغافرية ، التى كانت شديدة الاستنكار للأسلوب القاسى الذى كان ينهجه سليمان مع القبائل . وقد استاء عيسى من الاعتداء على ضيفه ، ولكن عمل السلطان بنفسه على الانتقام من السيابيين . وانتهى عهد التقارب بين السلطان وعيسى بعد هذا الحادث بمدة قصيرة .

خاتمة تاريخ السالمى للاباضيين

١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م

توفى فيصل بن حمود بن عزان ابن عم الامام الراحل فى شهر جمادى الأولى عام ١٣٢٨ هـ الموافق لمايو ١٩١٠ م فى الواصل فى بدية . وكان آخر من بقى من الأبطال الذين احتفظوا بالامامة من عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م الى عام ١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٧١ م . وينتهى التاريخ الذى كتبه عبد الله بن حميد السالمى عن الاباضيين فى عمان بنبأ وفاة فيصل . وعلى هذا فان معلوماتنا عن الأحداث التى وقعت فى عمان ؛ ابتداء من هذه السنة فصاعدا ، ينقصها أحيانا شيء من الدقة لأنها مستقاة فى الأغلب من مصادر أجنبية .

ومما يؤسف له بصفة خاصة أن السالمى لم يتابع عمله حتى فرغ من قصة بعث الامامة فى عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م ، وهى تعد تطورا هاما كان له فيه شأن كبير .

بعث الإمامة

١٣٣١ هـ ١٩١٣ م

اتخـذت الخطوة الحاسمة فى الحملة المشـبوبة على حركة تهريب الأسلحة والذخيرة فى عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢ م فأنشأت حكومة السلطان فى مسقط مخزنا تمر به الأسلحة تحت مراقبة الحكومة . وكافأ الانكليز السلطان ، لاصداره الأمر القاضى بانشاء المخزن ، بمبلغ مائة ألف ربية أضافوه الى الاعانة السنوية التى تمنح له . وقد أرسل عيسى بن صالح فى السنة نفسها الى السلطان كتابا شديد اللهجة احتج فيه على التدخل فى تجارة الأسلحة .

وقد بلغت رغبة سكان الداخل فى دعم مركزهم واظهار استيائهم من سياسة السلطان ، حدها الأعلى فى شهر جمادى الأولى عام ١٣٣١ هـ الموافق لمايو ١٩١٣ م فأخـذ رجال الدين فى عمـان ، وهم يستلهمون فى أعمالهم أستاذهم السالمى المؤرخ الضرير ، يعملون مع زعماء القبائل على احياء الامامة . وقد اختير سالم بن راشد الخروصى ، صهر السالمى وتلميذه وأحد أفراد قبيلة خرج منها أئمة كثيرون فى الأزمنة الخالية ، فكان أول امام لعمان فى القرن الهجرى الرابع عشر الموافق للقرن الميلادى العشرين .

من بين الأسباب الجوهرية التى أدت الى بعث الامامة ، تحقيق الاتفاق بين فئتى الغافرية والهناوية . وكان يتزعم الغافرية حمير بن ناصر النبهانى رئيس بنى ريام فى الجبل الأخضر ، وكان يتزعم الهناوية عيسى بن صالح الحارثى رئيس الحرث فى الشرقية . وما فتىء هذا الاتفاق قائما الى يومنا هذا . وقد خلف ولدا الزعيمين المذكورين والديهما .

قوات الإمامة تهدد مسقط

١٣٣١ – ١٣٣٣ هـ ١٩١٣ – ١٩١٥ م

فى صيف عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م احتلت قوات الامامة الجديدة مدينتى نزوى وازكى فى عمان الوسطى • ولما كان الانكليز قد صرحوا بأنهم لن يسمحوا بالهجوم على مسقط ومطرح ، فانهم رأوا من الأفضل أن يرسلوا شرذمة من الجنود الهنود الى بيت الفلج خارج مسقط • وفى شهر رمضان الموافق لأغسطس سقطت سمايل ، وهى منفذ الداخل الى الساحل ، فى أيدى أتباع الامام ، وفى شهر شوال الموافق لسبتمبر ضاعف الانكليز حاميتهم فى بيت الفلج • وقد أدى ضياع سمايل فى الواقع الى زعزعة مركز السلطان ، لأن السلطان بغير سمايل لن يكون أكثر من « شيخ مسقط » كما قال كوكس •

وفى خضم هذه الأزمة ، خلال شهر ذى القعدة عام ١٣٣١ هـ الموافق لأكتوبر ١٩١٣ م مات السلطان فيصل بن تركى • وقد حاول ابنه وخليفته تيمور ، وهو صديق قديم لعيسى بن صالح ، أن يصل الى تسوية مع الامامة عن طريق عيسى • وقد زار عيسى مدينة مسقط فى شهر محرم عام ١٣٣٢ هـ الموافق لديسمبر ١٩١٣ م للتشاور ، غير أن المناقشات لم تسفر عن نتيجة •

لم تقع فى خلال عام ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م أحداث حاسمة على الرغم من أن عداوة الداخل للسلطان ظلت على حدتها • وفى أواخر تلك السنة الهجرية أو فى أوائل السنة التالية (أى فى شهر نوفمبر عام ١٩١٤ م)

وصلت امدادات هندية جديدة لتعزيز موقف الانكليز • ولما نشبت الحرب العالمية فى أوربا قبل ان الدعاية الألمانية ، وقد كانت تعمل عن طريق زنجبار ، كانت تلقى وقودا على اللهب المشتعل فى عمان •

وأخيرا تحرك الامام والشيخ عيسى فى أوائل عام ١٣٣٣ هـ الموافقة لينايرر ١٩١٥ م • وقد حاولت قواتهما أن تطرد الحامية الهندية خارج مسقط ، غير أن المدافعين تغلبوا على القوة المهاجمة وأرغموها على التقهقر بعد أن كبدوها خسائر فادحة ، وهكذا انتهى بالفشل آخر تهديد وجهته الامامة صوب مسقط نفسها •

عبد العزيز آل سعود وعمان

١٣٣١ — ١٣٣٢ هـ ١٩١٣ م

كان عبد العزيز آل سعود قد فكر فى عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م فى استرداد اقليم الحسا من الأتراك الذين كانوا قداغتصبوه من عميه فى عام ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٧١م. ولم يستطع عبدالعزيز أن يضع هذه الفكرة موضع التنفيذ حتى عام ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٣م لأن التطورات الداخلية فى نجد قد صرفته عنها . وفى فصل الربيع من ذلك العام انقض على الحاميات التركية الضعيفة التى كانت تحتل المدن فى الشرق وتغلب بسرعة على مقاومتها ثم طردها الى الساحل لتبحر من الجزيرة العربية .

كان انتصار عبد العزيز أمرا غير متوقع من قبل بريطانيا العظمى والدولة العلية العثمانية وقد أثار حيرتهما. وعندما سددت الضربة ، كانت الدولتان مشغولتين فى مفاوضات تهدف ، فيما تهدف اليه ، الى تعيين الحد الشرقى للمنطقة التى تحتلها الدولة العثمانية فى الجزيرة العربية على السواحل الجنوبية للخليج الفارسى . ولم توقع الاتفاقية التى تمخضت عنها تلك المفاوضات الا فى شهر شعبان عام ١٣٣١ هـ الموافق ليوليه ١٩١٣ م ، وكان هذا بضعة أسابيع بعدما فقد الأتراك الحسا وبات الموقف كله على الشاطىء الجنوبى للخليج تحت ظل تبدل شامل . ومع هذا فلم تراع الاتفاقية المركز الجديد لعبدالعزيز آل سعود بوصفه مسيطرا على أغنى قطعة من الأرض تمتد على الساحل الجنوبى للخليج ، وبدلا من هذا أشارت الاتفاقية الى (سنجق نجد العثمانى) وكان من المفروض أن

الحسا جزء من هذا السنجق • وعين الحد الشرقى للسنجق فجعل خطا يبدأ من أدنى حافة (أى الحافة الجنوبية) لخليج الزخنونية ويتجه الى الجنوب رأسا حتى الربع الخالى (ويعرف هذا الحد بالخط الأزرق وقد رسم على خريطة ألحقت بالاتفاقية لكى ينتهى عند خط العرض ٢٠° شمالا) • وقد كتب كوكس المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج يصف فتح عبد العزيز للحسا فقال :

> لو تم هذا التحول فى أى وقت قبل اللحظة التى بدأنا فيها المفاوضات مع الأتراك على هذه الاتفاقية الودية التى اعترفنا فيها تعيينا وضمنا بأن الحسا ملك لهم[1] ، لكان هذا الفتح خليقا أن يكون متوقعا ومسليا لنا • ولكن حدوث ذلك الآن جاء غير ملائم الى حد كبير •

ومع أن الاتفاقية البريطانية التركية قد وقعت فى عام ١٩١٣ الا أنها لم تدخل مرحلة التنفيذ قط ولم يكن لها من أثر ملزم لأى طرف كان ، وبالاضافة الى الحقيقة الواقعة ، حقيقة عدم المصادقة عليها ، فان ثمة شكا فى مقدرة الحكومة العثمانية على وضع اتفاق يتناول ممتلكات لم تكن فى ذلك الحين تحت سيطرتها ، وينبغى أن ننظر بعين الاعتبار الى أن هذه الاتفاقية كانت متعلقة باتفاقيات بريطانية تركية متشابكة أخرى انهارت أركانها عندما ألفت الدولتان نفسيهما مشتبكتين فى الحرب العالمية الأولى ، وقد وقفتا فيها على طرفى نقيض • وعلى أية حال فقد أدعت الحكومة البريطانية من وقت لآخر أن الاشارة الى الخط الأزرق الذى عينته اتفاقية عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م فى اتفاقية بريطانية تركية

(١) لم يتوخ كوكس الدقة فى قوله أن الاتفاقية اعترفت بأن الحسا أرض تركية ، ذلك لأن نص الاتفاقية لم يذكر الحسا بالذات على الرغم من أن الخريطتين الملحقتين به ترسمان الحسا بوصفها جزءا من الأرض الداخلة ضمن « سنجق نجد-العثمانى » •

عقدت فيما بعـد ، وتتناول بصفة خاصـة حدود عدن — وقد وقعت فى شهر ربيع الثانى عام ١٣٣٢ هـ الموافق لمارس ١٩١٤ م وتمت المصادقة عليها فى شهر رجب ١٣٣٢ هـ الموافق ليونيه ١٩١٤ م — ادعت الحكومة البريطانية أن تلك الاشارة تعد ملزمة لنص اتفاقية عام ١٣٣١ هـ فيما يتعلق بهذا الحد •

وفى المدة التى كان المفاوضون الانكليز والأتراك يعملون فيها ، كان كوكس هو الرجل المسئول فى الخليج عن معالجة الموقف الجديد الذى ترتب على انتصار عبد العزيز ، وقال كوكس :

> كتب (عبدالعزيز) الىّ كتابا وديا جدا صريحا شكا فيه أولا ••• من السماح للأتراك باستخدام البحرين قاعدة لهم ، ثم استطرد فقال انه راغب أشد الرغبة فى أن تربطه بنا علاقات ودية ••• وهو يرجو أن يحاط علما معينا بما سيكون عليه موقفنا ، ويطلب أن يقوم بيننا تفاهم خالص ••• ومع هذا فهو يلح فى أن يعلم صراحة اذا كنا غير راغبين فى هذه الصداقة ، ليكون على بيّنة من أمره وليتدبر السبيل الى حماية مصالحه •

ويصف كاتب سيرة كوكس المأزق الذى أحاط بالمعتمـد السياسى والفكرة التى عرضت له للخلاص منه ، فيقول « ••• ان زعماء الساحل ، فى المنطقة الممتدة حتى عمان ، كانوا يخشون من احتمال انتعاش الوهابيين على حسابهم وراحوا يتطلعون الى الانكليز يلتمسون ارشادهم • وأدرك كوكس أننا لن نستطيع الوصول الى تسوية معه (أى عبدالعزيز) من وراء ظهر الترك فاقترح أن نواجه الأمر الواقع وأن نبسط متاعبنا للأتراك وأن تقنعهم فى أمانة بأن يجعلوا عبد العزيز واليـا اسميا على سنجق

الحسا[1] وأن يوافقوا على السماح لنا بالوصول الى تفاهم معه بصفته حاكما من حكام الساحل لحماية الصلح البحرى ولمنع حركة تهريب الأسلحة وللابقاء على المعاملة الودية الخاصة بالشيوخ الذين لهم معاهدات مع بريطانيا العظمى » . وكتب كوكس نفسه يقول :

> لو أننى استطعت أن أبلغ أمراء ساحل الصلح البحرى أننا على اتفاق معه (أى عبد العزيز) ... لاتنهى الأمر ، ولكننى لن أستطيع ، ونتيجة لهذا سيظل أولئك الأمراء فى حالة مطردة من القلق والاضطراب .

لقد كان لدى كوكس ما يحمله على الاعتقاد بأن ثمة احتمالا فى امتداد نفوذ الموحدين صوب الشرق من جديد ، وكان عبد العزيز بدوره يحلم بعمان فى تلك الفترة كما يثبت من البيان الذى أدلى به الى مندوب جريدة الدستور البصرية حوالى شهر ذى القعدة عام ١٣٣١ هـ الموافق لأكتوبر ١٩١٣ م ، فقال :

> ان الدولة العلية حفظها الله غصبت آبائى هذا اللواء بدون مشروع بحجة دعوة عبد الله آل سعود شقيق والدى ومن بعد أن أخذته لم تحسن اليهم صنعا . وكان والدى يومئذ ولى العهد بعد والده على امارة نجد التى يدخل فيها اللواء وما يتبعه وعمان وسواحله ولما اشتد الخصام بين سعود وعبد الله آل سعود على الامارة أرسل الأخير مندوبا الى بغداد لمفاوضة واليها

---

(١) يقصد ما كان الأتراك يسمونه (سنجق نجد) وهو فى الحقيقة ما يسمى اليوم بماقطعة الحسا .

في مسألته مع أشقائه وبقى ينتظر من الدولة اسعافه ونجدته لاخماد نار الفتنة المتأججة ، غير أن الدولة وجدت أن قد آن زمن الاحتلال فوضعت يدها من ذلك الوقت على الحسا وأبعدت أمراءها عنها مع أنه لم تبدر منهم بادرة تستوجب ما أتته • وليت الدولة احتلت ما يدانى الحسا من البلاد كعمان وغيرها التى تركتها هملا ومكنت الدولة الأجنبية من أن تقذف فيها نار الفتن لتحصل على ما تنويه •

••• ثم جاءتنى محاضر (مضابط) فيها تواقيع كثير من العلماء والوجوه قائلين ان لم تسعفنا نضطر الى ما لا تحمد عقباه • وفى تلك المطاوى سمعت أن الدولة تنازلت عن حقوقها فى خليج فارس وسواحله فاستندت حينئذ على ما لى من الحقوق الشرعية فى هذا القطر بمنزلة أساس فبادرت الى تلبية طلب الأهالى ليكونوا فى حرز حريز من فتك أرباب الفساد فيهم وابعاد الأجانب عن ديارهم •

وقد نشرت مجلة لغة العرب البغدادية فى شهر ذى القعدة عام ١٣٣١هـ الموافق لنوفمبر ١٩١٣ م نبأ مؤداه أن عبد العزيز آل سعود قد قسم جنوده الى أربعة فيالق وهى (١) جند عمان و (٢) جند الحسا و (٣) جند القصيم و (٤) جند الرياض • وقال ألويس موسل Alois Musil المؤرخ والرحالة التشيكى الذى طوّف بشمال الجزيرة العربية فى خلال تلك الفترة ، قال فى حوالى عام ١٣٣٤ هـ الموافق ١٩١٦ م ان عبد العزيز فى أواخر عام ١٣٣١ هـ أو أوائل ١٣٣٢ هـ الموافقة

لأواخر ١٩١٣ م قسم دولته الى أربع مقاطعات وهى (١) عمان و(٢) الحسا و(٣) القصيم و (٤) الرياض .

وكتبت لغة العرب كذلك فى شهر ذى الحجة عام ١٣٣١ هـ الموافق لنوفمبر ١٩١٣ م أن عبد العزيز آل سعود قد وصل الى اتفاق مع أمراء الشارقة وأم القيوين ورأس الخيمة ودبى على ساحل الصلح البحرى ، ومع أمير البريمى أيضا : غير أن نصوص هذا الاتفاق لم تذع ولم نجد ذكرا لها فى مصادر أخرى . وسيلاحظ القارىء اغفال أمير أبو ظبى من قائمة الأمراء .

كتب صحفى من أصل نجدى فى مجلة لغـة العرب فى شهر محرم عام ١٣٣٢ هـ الموافق لديسمبر ١٩١٣ م فقـال ان أراضى عبد العزيز آل سعود تضم « من جهة الشرق الأحساء ويتبعها (كذا) بلاد عمان وقطر والقطيف وما فى تلك الديار » ، وانها تصل من جهة الجنوب الى شمالى حضرموت .

ويؤخذ من أقوال المصادر البريطانية أن عبد العزيز عقد فى أوائل عام ١٣٣٢ هـ الموافقـة لأواخر ١٩١٣ م « اجتماعا وديا مع الوكيلين السياسيين للبحرين والكويت » . وقد أشارت مجلة لغة العرب الى نفس الاجتماع بلا شك عنـدما قالت فى شهر جمادى الأولى عام ١٣٣٢ هـ الموافق لابريل ١٩١٤ م ان عبد العزيز قد اتفق مع الممثلين البريطانيين فى العقير على النقط الآتية :

١ — تبـقى جزيرة البحرين على حالتها الراهنـة أى تحت سطوة الانكليز .

٢ — تبقى عمان وقطر لابن سعود بدون أن يحدث فيهما شىء جديد .

٣ — يحافظ ابن سعود على رعايا الانكليز وتجارتهم محافظة الانكليز على شئون ابن سعود .

٤ — قبول فتح محلات تجارية فى عمان واتباع التجار الأجانب لأحكام البلاد فى كل قضية .

٥ — محافظة الانكليز على البحر ومنع الاعتداء على ابن سعود .

وقيل بعد ذلك ان الطرفين أخفقا فى الوصول الى اتفاق على مايتعلق بنقطتين ، وهما (١) مسألة ادخال الأسلحة ، و (٢) مسألة مسقط .

صحيح أن يكون التعويل على هذا المصدر غير الرسمى مثارا للتساؤل . ولم يذكر كاتب سيرة كوكس شيئا عن اجتماع عقد فى هذا الوقت ، ذلك لأن كوكس كان قد عين رئيسا لادارة الشئون الخارجية فى حكومة الهند ، وفى أوائل شهر محرم عام ١٣٣٢ هـ الموافق لأوائل ديسمبر ١٩١٣ م سافر من الخليج الى انكلترا لقضاء اجازته هناك .

وسواء كانت كل المعلومات التى سبق ذكرها آنفا دقيقة أو غير دقيقة ، فان ثمة دليلا كافيا على أن عبد العزيز آل سعود كان يعتقد فى عام ١٣٣١ — ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٣ م على وجه التقريب أن له حقوقا على ساحل الصلح البحرى وفى عمان ، وان الانكليز كانوا يخشون ماقد يحدث فى تلك المناطق نتيجة لعودة موحدى نجد أخيرا الى الحسا وساحلها . وفى النهاية حالت الأحداث الهامة التى وقعت فى مناطق بعيدة بين عبد العزيز وبين التقدم فى شرق الجزيرة العربية كما كانت الحال فى عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م . وكان نشوب الحرب العالمية فى عام ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م بوجه خاص وما ترتب عليها من آثار فى شمال الجزيرة وغربها وفى الاقليم الواقع عند رأس الخليج الفارسى أمرا يدعو عبد العزيز الى اليقظة والانتباه .

لم نجد بعد أى خبر عن مباحثات أخرى بين عبد العزيز والانكليز فيما يتعلق بساحل الصلح البحرى وعمان حتى أوائل عام ١٣٣٤ هـ الموافقة لأواخر ١٩١٥ م • وقيل ان عبد العزيز عقد اتفاقا مع الحكومة العثمانية فى الصبيحية فى ٤ رجب عام ١٣٣٢ هـ الموافق ١٥ مايو ١٩١٤ لقبت تلك الحكومة فيه عبد العزيز واليا وقومندانا لنجد الذى اعتبر ولاية عثمانية ، ومهما يكن من أمر هذا الاتفاق فان عبد العزيز قد كشف عن استعداده عقيب نشوب الحرب العالمية فى عام ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م للتعاون مع الانكليز ضد الدولة العثمانية ووافق على استقبال الكابتن شيكسبير W.H.I. Shakespear بصفته ممثلا بريطانيا قادما الى الرياض فى بعثة خاصة •

فى شهر صفر عام ١٣٣٢ هـ الموافق ليناير ١٩١٥ م كتب شيكسبير كتابا الى كوكس وكد فيه عطف عبد العزيز على قضية بريطانيا ، وذكر أن الأمير عاد يطلب اليه عقد معاهدة خاصة مع بريطانيا ، ذلك لأن « حالته غير المعينة كانت تثير حيرته ، وأنه قد يجد نفسه مكرها — اذا لم تعقد معاهدة من هذا القبيل — على اصطناع موقف يميل فى الظاهر الى صالح تركيا » • وفى الشهر التالى لقى شيكسبير حتفه فى معركة جراب التى دارت بين قوات سعودية وقوات رشيدية • وظل المنصب الذى كان يشغله فى عاصمة نجد شاغرا بعض الوقت •

فى أوائل عام ١٣٣٣ هـ الموافقة لأواخر ١٩١٥ م زار اللورد هاردنق Hardinge ، نائب الملك فى الهند ، الخليج الفارسى • وقد حاول الشيخ مبارك آل صباح ، حاكم الكويت وأستاذ عبد العزيز القديم ، أن يقنع أمير نجد بالقدوم للسلام على نائب الملك فى خلال فترة اقامته بالكويت فى شهر ربيع الأول الموافق لفبراير ، غير أن عبد العزيز أبى أن يفعل هذا •

لم تعقد المعاهدة التى كان عبـد العزيز يلح فى عقدها مع الانكليز الا فى ١٨ صفر عام ١٣٣٤ هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ م اذ اجتمـع هو وكوكس فى دارين بالقـرب من القطيف لتوقيع الوثيقـة . وقد اعترف الانكليز فيها بأن نجدا والحسا والقطيف والجبيل « وتوابعها والتى يبحث فيها وتعين أقطارها فيما بعد ومراسيها على خليج فارس هى بلاد ابن سعود » . وتعهد هو من جانبه « كما تعهد آباؤه من قبل بأن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التى هى تحت حمـاية الحكومة البريطانية ولها صـلات عهدية مع الحكومة المذكورة وأن لا يتدخل فى شئونها . وتخوم الأقطار الخاصة بهؤلاء ستعين فى ما بعد » .

فظلت هذه المعاهدة سارية المفعول حتى عام ١٣٤٦ هـ الموافق ١٩٢٧ م عندما استبدلت بمعاهدة جدة التى تعهد فيها الملك عبد العزيز آل سعود « بالمحافظة على علاقات حسن الجوار مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العمانى الذين لهم معاهدة خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية » .

الإمامة والسلطنة

١٣٣٣ — ١٣٣٩ هـ ١٩١٥ — ١٩٢٠ م

زار اللورد هاردنق ، نائب الملك فى الهند ، مدينة مسقط فى خلال شهرى ربيع الأول وربيع الثانى عام ١٣٣٣ هـ الموافقين لفبراير ١٩١٥ م ونصح السلطان بمسالمة شعب الداخل لأن الانكليز لن يستطيعوا أن يظلوه بحمايتهم الى أجل غير محدود . وقد بسط الوكيل السياسى فى مسقط العقبات التى تقف فى سبيل الوصول الى اتفاق يرضاه السلطان ، وهى :

١ — ان العصاة قابضون على مفتاح الموقف ، فانهم يحتلون وادى سمايل وحصنه اللذين كانا لا غنى عنهما لازدهار التجارة فى مسقط .

٢ — ان الثورة قد اتسمت بطابع دينى وأن الامام يدعو الى الجهاد . وأكثر من هذا فان كثيرين من الثوار لقوا حتفهم على يد قوات الانكليز فى الهجوم الفاشل الذى شنوه فى شهر يناير ، وفضلا عن هذا فان شعور السخط قد بلغ مبلغا أصبح من العسير ازالته .

٣ — ان العرض الخاص بمنح اعانات للقبائل ليس خليقا أن يكون وسيلة مغرية لاقناعها ، ذلك لأن الامام قد يحرم من قبول الاعانات بوازع دينى ، وأن الزعيمين الآخرين ينعمان بدخل كبير من مركزيهما الحاليين ومن أراضى الدولة التى قد قبضا عليها فى الداخل .

٤ — ان خفض عدد رجال الحامية الى العدد العادى

سيترك السلطان دون مساعدة يعتمد عليها ، ذلك لأن السفن البريطانية فى زمن الحرب يغلب أن تكون على بعد غير يسير من مسقط بخلاف ما تكون عليه الحال فى زمن السلم •

فى الفترة الواقعة بين أواخر شهر جمادى الأولى وأوائل شهر شعبان عام ١٣٣٣ هـ أى بين أبريل ويونيه ١٩١٥ م ظلت الرسائل والمباحثات متصلة بين زعماء الامامة وممثليهم من ناحية وبين الوكيل السياسى البريطانى ، بوصفه وسيطا ، من ناحية أخرى • وقد تمخضت هذه المباحثات عن الأسباب الجوهرية للعداوة التى يحس بها أتباع الامامة حيال السلطان وهى :

١ — ان قمع تجارة الرقيق يعد أمرا غير مشروع ، لأن هذه التجارة تسمح بها أحكام الاسلام •

٢ — ان تجارة الأسلحة والذخيرة ينبغى ألا يسمح بالتدخل فيها •

٣ — ان السلطان كان فاشلا فى تطبيق شريعة الاسلام فيما يختص بكل القضايا المدنية والجنائية •

٤ — كان السلطان يسمح باستيراد التبغ والخمور ، وهذا مما تحرمه أحكام الاسلام •

٥ — كان السلطان يعتمد على تأييد جنود الانكليز ، مع أن الواجب كان يقضى باقصائهم •

٦ — كان السلطان يفرض حصارا على الداخل بأن يقطع عنه تيار الواردات المألوف •

٧ — ادعى الانكليز سيطرتهم على البحر مع أنه ينبغى أن يكون مشاعا للجميع •

والنقطة الأخيرة ، وقد تقدم بها قاضى الامام نفسه ، تعد مهمة بصفة خاصة ، لأن الامامة فى معزلها وراء الجبال قلما أبدت أى اهتمام بالمشاكل المتعلقة بالبحر .

وقد بعث الامام بكتاب الى الوكيل السياسى وكد فيه انه لن يستطيع أن يجرى أى اجراء يهدف الى عقد صلح دون استشارة نواب شعبه الذى يقطن أفراده المنطقة الممتدة من الشرقية الى نزوى كلها .

وفى شهر شوال عام ١٣٣٤ هـ الموافق لأغسطس ١٩١٥ م تلقى الوكيل السياسى كتابا بتوقيع الامام وعيسى بن صالح وحمير بن ناصر وقاضى الامام ، وقد طلبو اليـه فيه أن يجتمع بعيسى بوصـفه ممثلا للامام على مقربة من السيب على الساحل . واستصحب عيسى قاضى الامام الى هذا الاجتماع الذى تم فى شهر محرم عام ١٣٣٤هـ الموافق لسبتمبر ١٩١٥م. واذا تقدمت المباحثات ، أحس الوكيل السياسى أنه بات ممكنا الوصول الى حل وسط . وكانت النقطة الرئيسية مثار الخلاف اصرار السلطان على أن تجلو قوات الامامة لمصلحته عن الاستحكامات القائمة عند سمايل . ويبدو أن عيسى كان يوشك أن يقبل هذا ، لولا أن تدخل القاضى موكدا أن الاستحكامات المذكورة لن تخلى ما دام الامام حيا .

عاد عيسى الى الشرقية بعد أن انفض اجتماعه مع الوكيل السياسى ، وكان المتوقع أن يشن هو والامام هجوما على ميناء صور . ولم تكن هناك فى الشرقية غير قبيلتين لم تتحالفا معهما ، وهاتان القبيلتان هما بنى بو حسن والجنبة . ومع ذلك فانه يبدو أنه لم يقع أى هجوم بالقوة على صور .

فى شهر رمضان عام ١٣٣٤ هـ الموافق ليوليو ١٩١٦ م استولى الامام على الرستاق من أحمد بن ابراهيم وبذلك ضمن لنفسه قاعدة توطد سلطته على مرتفعات الجبل المطلة على الساحل الذى يحتله السلطان . ويقال

ان ثمة خلافا فى الرأى شجر بين الامام وعيسى بن صالح قبل فتح الرستاق ، ذلك لأن عيسى أيد فكرة ابقـاء أحمد بن ابراهيم متوليا لشئون تلك المنطقة .

فى خـلال الأعوام الأربعة التى تلت هذا الحادث كانت هنـاك مفاوضات أخرى تجرى بين الحين والآخر ؛ عن طريق وساطة الانكليز ، غير أنهـا لم تصب نجاحا . وكان السلطان يطالب باسترداد الأشـياء العائدة له التى قد صودرت فى الداخل ، غير أن زعماء الامامة لم يكونوا على استعداد للتسليم بهذه المطالبة .

عقد الإمامة للشيخ الخليلى

١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م

فى عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م لقى الامام سالم بن راشد الخروصى حتفه على يد رجل من قبيلة آل وهيبة لا لسبب ، على ما يقال : سوى الحقد على الامام لأنه سجنه يوما ما .

بادرت الجماعة الاباضية الى تعيين خليفة للامام الذى راح ضحية للرصاصة التى أطلقها عليه القاتل . ووقع اختيار الناخبين على الشيخ محمد ابن عبد الله الخليلى حفيد الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى ، الساعد الأيمن للامام عزان بن قيس فى القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للقرن التاسع عشر الميلادى . وقيل ان الامام الجديد على وفاق تام مع عيسى ابن صالح ، أقوى زعماء الاباضيين فى الداخل وأوسعهم نفوذا .

الاتفاق بين الإمامة والسلطنة

١٣٣٩ هـ ١٩٢٠ م

وصلت الامامة والسلطنة أخيرا فى عام ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م الى اتفـاق لم نقف على نصوصه بوجه الدقة • ويقول ايتشسن Aitchison :

ان فرض ضريبة جزائية فى سنة ١٣٣٨ هـ الموافقة ١٩٢٠ م على الصادرات من الداخل حمل أهل عمان على مصالحة حكومة السلطان بفضل وساطة الوكيل السياسى •

أما ولفـرد ثسيجر Wilfred Thesiger ، الرحالة البريطانى الذى قضى وقتا طويلا فى الطواف بعمان وما جاورها فى الأعوام الأخيرة ، فيقول :

انـه فى عام ١٣٣٩ هـ المـوافق ١٩٢٠ م وقعت معاهدة بين السلطان والعمانيين ، وقد وافق السلطان بمقتضاها على ألا يتدخل فى الشئون الداخلية لعمان •

أما الكابتن اكلز G. J. Eccles ، وكان قد تولى قيادة قوات السلطان فى بيت الفلج وكان خبيرا فى شئون السلطنة ، فأشار مرتين فى سنة ١٣٤٥ هـ الموافقة ١٩٢٦ م الى الاتفاق وقال :

ان ثمة معاهدة وقعت عن طريق وساطة الوكيل السياسى ، ولم يقـع عدوان جديد منـذ توقيعهـا •

•••• لقد وقعت معاهدة بين مسقط والشيخ عيسى تعد تسليما ضمنيا باستقلاله •

أما برترام تـوماس Bertram Thomas؛ وهـو رجل انكلـيزى كان وزيرا ومستشارا ماليا لسلطان مسقط من عام ١٣٤٣ الى عام ١٣٤٩هـ على وجه التقريب أى من عام ١٩٢٥ الى ١٩٣٠ م ؛ فكان أكثر تحديدا فى ما كتب وقال :

> أمكن الوصول الى تسوية تقوم على أساس الحالة الراهنة وبمقتضاها ظل السلطان سلطانا من الوجه القانونى على مسـقط وعمان . ونصت التسوية على أن تكون لقبائل الداخل حكومة من بينهم . تعتمد على أساس الأمر الواقع : لتدبير شئونهم المحلية البحتة .

وهذا القول يحتمل تفسيره بأكثر من تفسير واحد . فقد يعنى قائله أن السلطان ظل سلطانا على مسقط وعمان لا لسبب سوى أنه كان يدعى هذا اللقب لنفسه من زمن بعيد وأن الحكومة البريطانية كانت قد اعترفت بلقبه هذا منذ أمد طويل ، أو قد يعنى صاحب القول أن ممثلى الامامة أقروا قانونية هذا اللقب ، ولكن المبادىء التى تقوم على أساسها الامامة واصرار المصادر الشفوية فى عمان على أن السلطان لم يعترف به هناك قط سيدا مطاعا ، كل هذا يلقى شكا على هذا التفسير الأخير .

وفى أوائل عام ١٣٣٨ هـ الموافقة لأواخر سنة ١٩٢٠ م ذهب القنصل الفـرنسى ڤادالا R. Vadala الى مسقط ليغلق القنصلية الفرنسية هناك ، فكتب معقبا على اتفاق ١٩٢٠ ما يلى :

> كانت الحرب قد ظلت ناشـبة سبع سنوات بين سلطان مسقط وداخل عمان ، ولم تنته الا فى ١١ محرم عام ١٣٣٩ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠ م يوم وقعت وثيقة الصلح فى السيب بين السلطان تيمور وعيسى

ابن صالح الذى كان يمثل جميع القبائل المحاربة ، وكان ونقت القنصل البريطانى[1] هو الوسيط فى عقـده ، وبمقتضاه حق لأهل مسقط وعمان أن يتاجروا ويسافروا بحرية ، ولكن فرضت ضريبة خمسة فى المائة على جميع سلع الداخل ساعة وصولها الى الساحل ، وبفضل هذا الصلح ، الذى كان ينتظر أن يعقبه ميثاق سرى يحظر كل طلب للتدخل الأجنبى ، صارت عمان اليوم هادئة وغدا فى وسع التجارة أن يتسع نطاقها .

ولم يعثر على ذكر آخر للميثاق السرى الذى أشار اليه ڤادالا .

(١) كان ونقت R.B.L. Wingate يومئذ الوكيل السياسى والقنصل البريطانى فى مسقط .

الانكليز والسلطنة

١٣٤١ – ١٣٤٤ هـ ١٩٢٣ – ١٩٢٥ م

ان التسوية التى وقعت مع الامامة فى سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢٠ م لم تحل مشاكل السلطان جميعا اذ أخذ عرشه بعد تلك المعاهدة ببضعة أعوام يهتز من تحته ، حتى اضطر الانكليز الى العمل على الحيلولة دون انهياره. ويقول برترام توماس «لقد جاءت مساعدة بريطانيا فى شكل قرض قدمته حكومة الهند لتصفية ديون الدولة وللعمل على تنظيم فيلق للدولة يتولى قيادته ضابط بريطانى . وقد أصلحت المحاكم وأنشىء مجلس للدولة يتولى الحكم باسم السلطان فى حالة غيابه . ونصح السلطان بأن يستعين بخدمات وزير بريطانى ، كاجراء موقت» .

كتب السلطان تيمور فى شهر جمادى الأولى عام ١٣٤١ هـ الموافق ليناير ١٩٢٣ م كتابا الى القنصل البريطانى فى مسقط جاء فيه :

> ردا على كتابكم رقم ١٧٥١ المؤرخ ٢٦ ربيع الثانى عام ١٣٤١ هـ الموافق ١٦ ديسمبر ١٩٢٢ م نحيط جنابكم علما بأننا نوافق على ألا نستغل البترول الذى قد يعثر عليه فى أية بقعة تدخل فى نطاق أراضينا وأننا لن نمنح أحدا اذنا باستغلاله دون استشارة الوكيل السياسى فى مسقط ودون موافقة حكومة الهند الساميـة . وأن ما وصل الى مسامعنا عن وجود الزيت المعدنى فى أراضينا بمصيرة لم تتحقق صحته بعد . وقد بدأنا التحرى عن وجود هذا المعدن وبعد أن نقف على حقيقته سنبحث

مع جنابكم فى أمر استغلاله واتخاذ التدابير اللازمة وتنظيم العمل ووضع الشروط اللازمة • وسيكون العمل بطبيعة الحال احتكارا • ونحن نثق فى المساعدة الكاملة التى ستمدنا بها حكومة الهند السامية فى هذا الأمر الخطير الشأن ، كما سبق لها أن عاونتنا على الدوام ؛ مما استوجب شكرنا [1] •

فى عام ١٣٤٣ أو ١٣٤٤ هـ أى فى ١٩٢٥ م منح السلطان تيمور شركة دارسى D'Arcy امتيازا للتنقيب عن البترول والغاز الطبيعى وغيرهما من المنتجات ولكن الامتياز انتهى بعد مرور ثلاثة أعوام •

فى عام ١٣٥٦ هـ الموافق ١٩٣٧ م منح السلطان سعيد بن تيمور ، الذى خلف أباه عام ١٣٥٠ هـ الموافق ١٩٣٢ م ، امتيازا جديدا لانتاج البترول ونقله ، وتنتفع بهذا الامتياز شركة استثمار البترول (عمان وظفار) المحدودة ، وهى تابعة لشركة نفط العراق •

---

(١) لقد أوردنا هذا النص من الترجمة الانكليزية الرسمية لكتاب السلطان •

زحف قوات الإمامة صوب البريمى

١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م

أدرك زعماء الامامة فى عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م أن نفوذ عبد العزيز آل سعود آخذ فى الازدياد ولهذا شرعوا فى ارسال حملة لاخضاع البريمى والظاهرة كلها لهم • وكان الجيش يضم رجالا من الغافرية والهناوية معا ، وكان يرافق الامام عيسى بن صالح وسليمان بن حمير • وكان أعظم عمل حققته الحملة هو فتح مدينة عبرى ، وقد عين لها الامام واليا • وتعد هذه المدينة منذ ذلك الوقت الحد الغربى لأراضى الامامة • وبعد أن بلغت الحملة هذه المدينة ساءت الأمور اذ دب الخلاف بين الصفوف ، وأصيب عيسى بداء الاستسقاء • وكان من نتيجة هذه المتاعب أن نبذت الفكرة وتركت منطقة البريمى وغيرها من المدن فى الظاهرة لتستمتع باستقلالها • وقيل ان الامام آلمه عجزه عن الظفر بالنصر الذى أتيح لسلفه عزان بن قيس ، فآثر أن يستقيل لولا أن مستشاريه نصحوه بالعدول عن هذه الفكرة •

وقيل كذلك ان رجال قبيلة نعيم فى البريمى ، وقد علموا أن قوات الامامة فى طريقها الى موطنهم ، أوفدوا رسولا الى عبد الله بن جلوى ، أمير الحسا من قبل عبد العزيز آل سعود ، ليطلب اليه مد القبيلة بالرجال والمال والأسلحة • ولم نعرف ماذا كان رد الأمير على هذا الطلب •

الإمامة منذ ١٣٤٤ هـ ١٩٢٥ م

منذ أن وضعت الامامة يدها على مدينة عبرى وعجزت عن احتلال البريمى فى عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م ، كانت الحياة فى بلاد عمان تسير هادئة بوجه الاجمال لا تعكرها أحداث كثيرة ذات شأن . ولما كانت البلاد تعيش فى عزلة ، فقد ظل العالم الخارجي يجهل أمورها جهلا يكاد يكون تاما .

تعرضت الشرقية وربما غيرها من المناطق لسنوات من الجدب الحار . وكان من نتيجة هذا أن تعرضت حيوية البلاد للخطر . وفضلا عن هذا فان وفاة الزعيم الشيخ عيسى بن صالح فى عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م قد تركت الامام وليس له من يعتمد عليه فى الشرق سوى نجل عيسى وهو شاب قليل الخبرة .

ان حالة الامام من أخطر المسائل التى تواجه الامامة فى الآونة الحاضرة ، وقد تقدمت به السن واعتلت صحته بوجه عام . ومع أنه ما فتىء ينفذ أعماله فى نشاط ، فان ثمة يوما سيتحتم فيه على الاباضيين بعمان أن يختاروا خليفة له . وستكشف الأيام عما اذا كان هذا التبدل يتم فى سلام وانسجام وبدون تدخل من الخارج أم لا .

الإمام
محمد بن عبد الله الخليلي

انتخب محمد بن عبد الله الخليلى اماما للدولة الاباضية فى عمان عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م ، فهو لايزال فى منصبه هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة ؛ ولا يعرف عمره على وجه التدقيق ولكنه على الأرجح فى الخامسة والستين أو نحوها • وقد أصيب منذ زمن طويل بالملاريا ولكنه يأبى أن يتناول العلاج الطبى الحديث ، بل يقال انه يصف لنفسه العلاج ببعض الأعشاب • وهو الى هذا يعانى ألما فى عينيه وبصره ضعيف • وقد روى عن ثقة أنه مرض مرضا شديدا فى أواسط عام ١٣٦٩ هـ الموافقة للنصف الأول من ١٩٥٠ م ولكنه أبل ابلالا حسنا وهو اليوم معاف •

يستند الامام فى حكمه على الأكثر الى هيبة منصبه الدينى ، ولا يعتمد على جيش كبير حيث أنه يحتفظ على ما يقال بقوة عسكرية يتفاوت عدد رجالها بين ٤٠٠ و ٥٠٠ وذلك من أجل أغراض الدفاع العادية ، بيد أن أقوى الوسائل لحماية دولته هو أن ولاته وأعوانه على أهبة ليهبوا مع رجالهم الى نصرته فى أقصر زمن •

الامام مرجع أكثر القرارات الخطيرة فى سياسة الدولة ، وهو لا يتخذها الا بعد مشاورة الأعيان من الجماعة الاباضية • ويختار الامام نفسه المرشحين للمناصب أو يقدم آخرون التوصية بهم ، ولكن كل تعيين يتم باسمه • أما الزكاة ، وهى المصدر الأول لدخل الحكومة ، فيجمع بعضها الامام بنفسه ، ويوكل أركان الدولة وولاتها بجمع بعضها •

وفى طليعة هؤلاء الأركان تجد سليمان بن حمير النبهانى رئيس قبيلة بنى ريام وأمير الجبل الأخضر ، ثم صالح بن عيسى رئيس قبيلة الحرث وأمير الشرقية • وعلاوة على هذين الأميرين تجد الولاة والقضاة

المعينين للمدن الرئيسية فى الامامة ورؤساء القبائل المثبتين فى مراكزهم ، فهؤلاء مع عمال الزكاة وغيرهم من صغار الموظفين يؤلفون نظام الادارة فى الدولة وهو مجرد من الأداة الضخمة المعقدة القـائمة فى حكومات أخرى كثيرة ٠

يجلس الامام بحكم كونه زعيما دينيا للجماعة مجلس القاضى فى كثير من القضايا التى يحكم فيها وفقا للشريعة ٠ وتجد بين القضاة الذين ينظرون أيضا فى القضايا فى طول الامامة وعرضها قاضى نزوى منصور الفارسى الذى ينزل عند الامام منزلة خاصة لأنه مقرب منه ولأنه مشهور بالعلم والكفاية ، فهو يعمل عمل وزير غير رسمى للامام ٠

والحكومة متصفة ببساطة نظام الأسرة ٠ فاذا أراد الامام محمد أن يعالج شئون الدولة جلس على أرض بسطت عليها سجادة لأن الجلوس على عرش أو على كرسى يعد شيئا غير لائق ٠ فاذا وصلت رسالة مكتوبة كتب الامام رده عليها على الجانب الأبيض من الورقة نفسها ، فان لم يكن ذلك الجانب من ورقةالرسالة كافيا للرد ، فصل وحفظ لينتفع به فى أعمال صغيرة كمثل تسجيل مبلغ من المال يمنح لطالب ذى حاجة ، وبعد كتابة رد الامام بيده أو بيد قاضى نزوى يثنى الامام الرسالة الأصلية ويضعها فى عمامته ٠ والامام يشرف بنفسه على حفظ حسابات الدولة فيدعو أحد أتباعه ليجيئه بأحد دفاتر الحسابات كلما اقتضت الحاجة ٠ وليس فى الامامة نقد خاص بها ولكن النقد المتداول لا يزال هو الريال الفرنسى الفضى الذى كان فى زمن ما شائعا فى الجزيرة العربية كلهـا وأرجاء أخرى فى الشرق الأدنى ٠

يعقد الامام كل يوم مجلسا عاما فى حصن نزوى يحضره من شاء من رعاياه لعرض المسائل عليه ، وهذا يخالف ما جرى عليه السلطان الذى

يعيش فى شبه عزلة فى مسقط أو فى مدينة سلالة البعيدة بظفار والذى يبقى رعاياه على بعد منه بوجه عام • يقابل هذا أن الامام شديد الامتناع عن مقابلة الأجانب ، وأما السلطان فمقابلته ميسورة لهم • وليس بين الأجانب من حظى بمقابلة الامام سوى المرسلين الأمريكيين من مسقط ومطرح وهم الدكتور پول هاريسون Paul Harrison والقس درك دايكسترا Dirk Dykstra والدكتور ولز تومز Wells Thoms وقد كان جوازهم اليه ما نالوه من حسن الصيت نتيجة لعملهم الطبى فى الداخل • ومع أن هؤلاء الزوار نالوا من الترحيب ما يتفق مع حسن الضيافة العربية الا أن الامام كان فى معاملته اياهم راغبا عن قطع عهد لهم أو معاونتهم • ولما أراد ثسيجر الرحالة البريطانى الذى راد أكثر الأرجاء النائية فى جنوب الجزيرة العربية أن يذهب فى أواسط عام ١٣٦٩ هـ الموافقة لأوائل سنة ١٩٥٠ م الى الجبل الأخضر أبى الامام عليه ذلك وأوصد الباب فى وجهه •

والامام متطرف فى عزلته ولا يرغب فى أن ينشىء علاقات مع الدول الأجنبية ، وليس ثمة ريب فى أنه يرى أنه خير له ولقومه أن يقللوا ما استطاعوا من الاتصال بالعالم الخارجى • ومع ذلك فهو لا يتدخل فيما يجرى بين عمان من ناحية وبين بمباى وزنجبار من ناحية أخرى من تجارة ورحلات فى حدود ضيقة •

يقول بعضهم ان عيسى بن صالح كان فى يومه رجلا أعظم سلطانا من الامام وأنه وقد مات عيسى فسليمان بن حمير اليوم هو الرجل المتفوق فى الامامة • ولكن هذه الأقوال يجب أن تقابل بحذر شديد • ومن العسير طبعا أن يزن الانسان شيئا غير محسوس كالهيبة الدينية بالمقابلة مع القدرة الحربية •ولكن طبيعة الدولة الاباضية نفسها تقتضى أن يعترف للامام بأنه صاحب السلطة العليا ، ويعزز من منصب الامام أن أمير الجبل الأخضر وأمير الشرقية كليهما زعيما جماعات بينما الامام فى المبدأ على

الأقل هو فوق جميع الجماعات • وفى تأييد هذا التفسير يقول ثسيجر ان سليمان بن حمير غامر فى سنة ١٣٦٩ هـ الموافقة ١٩٥٠ م فى عمل يخالف رغبة الامام وقابل ثسيجر فى موقع ناء فى أراضى الامامة ، ولكنه امتنع فى الوقت نفسه عن أن يتحدى الامام تحديا صريحا بالسماح لثسيجر فى السفر الى الجبل الأخضر •

يقيم الامام فى نزوى عاصمة الامامة وهى واقعة على سهل قرب سفح الجبل الأخضر ، ويقدر عدد سكانها بنحو عشرة آلاف نسمة وقد تكون أكبر المدن فى الداخل ، وهى ككثير من مدن عمان قسمان ، العلاية والسفالة ، والفاصل بينهما هو مجرى وادى كلبوه • يسكن العلاية أبناء قبيلة بنى ريام ، وشيخ هذه القبيلة هو أمير الجبل الأخضر ، أما سكان السفالة فأكثرهم من بنى هنا ، ثم هناك عدد من الناس من آل بوسعيد قبيلة سلاطين مسقط • والدور فى هذه المدينة مبنية من الحجر وكثير منها ذات طابقين وبعضها ذات ثلاث طوابق وهى تطل على شوارع ضيقة • ومع أن المدينة فى مجملها ليس لها سور يحيط بها الا أن لبعض أحيائها أسوارا • ودار الامامة واقعة فى الحصن فى العلاية ، وهو يعد من أمنع الحصون من الطراز القديم فى شرق الجزيرة العربية كلها • وأما خزانة الامامة ففى دار أخرى فى نزوى •

أنعم الله على نزوى بماء عذب غزير وتحوى منطقتها كثيرا من النخيل وحقول القطن والقمح وقصب السكر • وموقع العاصمة بالقرب من الطرف الجنوبى للمعبر الجبلى الرئيسى يضفى عليها مزايا كثيرة من الناحيتين الاستراتيجية والتجارية ، وفضلا عن هذا كله فان تاريخها الدينى العريق يعطيها منزلة خاصة فى نفوس أهل عمان •

فى سنة ١٣٦٨ هـ الموافقة ١٩٤٩ م ألم ولفرد ثسيجر بحواشى أرض

الامامة من الجنوب ، فكتب فى سنة ١٣٧٠ هـ الموافقة ١٩٥٠ م مستندا الى ما رآه وسمعه فى تلك الرحلة وفى رحلته الثانية عندما أخفق فى تحقيق الوصول الى الجبل الأخضر ، فقال :

أقبلنا يومئذ على أرض يدير شئونها الامام محمد ابن عبد الله الذى يعترف به حاكما لعمان الوسطى جميع القبائل الحضرية من غافرية وهناوية بين عبرى وبلاد بنى بوحسن فى جعلان وكذلك قبائل البـدو وهى الدروع والجنبة الغربيون وآل وهيبة والحراسيس . وقد نجح الامام موقتا على الأقل فى التوفيق بين الغافرية والهناوية ؛ وتجد ممثليه فى كل طائفة من القرى حيث يقيمون العدل . ويجبون الضرائب . ونفوذ الامام بين البدو ضعيف بطبيعة الحال : فلا يفرض عليهم ضرائب ، والواقع أن ابن سعود هو الحاكم الوحيد فى هـذه الأرجاء من الجزيرة العربية الذى يجبى الزكاة من القبائل الرحل[1] . على أن البدو يعترفون بالامام سيدا لهم وكثيرا ما تسمع بينهم عبارة « أطال الله عمر الامام » وهم يعنونها باخلاص كلما قالوها . وذلك لأن الامام قد نشر الأمن والعدل بين ظهرانيهم بما وفق اليه من حل مسائلهم وفض الخلافات بينهم . فهنا يستطيع الرجل أن يسير غير مسلح ، وأن يترك ابله بغير من يحرسها

---

(١) يغلب أن ثسيجر استعمل هنا عبارة « هذه الارجاء من الجزيرة العربية » فى أعم معانيها ، لأن العمال التابعين للملك عبد العزيز آل سعود لم يجبوا الزكاة فى العهد الحديث من الأراضى الواقعة الآن تحت سيطرة الامام .

دون أن يخشى من يعتدى عليها بالنهب • أما نحن وقد تعودنا اضطراب الأمن المستعصى فى الظاهرة فكنا قد احتفظنا ببنادقنا على منال منا حتى قال لنا بعض آل وهيبة وهم يضحكون : اننا الآن فى أرض السلام • على أن الامام معاد للمسيحيين وهو شعور تشاطره اياه القبائل الحضرية فى هذه الأرجاء ، فهى كجميع سكان القرى أشد تعصبا من البدو •

أما استتباب السلام والأمن فى أرض الامامة فيذكر المعنيين بشئون الجزيرة العربية بما هى عليه الحال فى المملكة العربية السعودية وما يخالفها من حال فى بعض دويلات الجزيرة العربية حيث لا تجد حاكما قويا يحوز قبولا دينيا عريقا يستمد منه سلطانا لحكمه •

على أن هناك غيمة تلقى ظلها القاتم على هذه الصورة الزاهية : ماذا يكون المصير متى ذهب الامام الحالى الى لقاء ربه ؟ وليس ثمة ريب فى أن التوتر الناشىء عن هذا السؤال منتشر انتشارا غير يسير فى أراضى الامامة • ويلوح أن من المرشحين للانتخاب لهذا المنصب الأعلى فى الدولة ابنا من أبناء الامام السابق سالم بن راشد الخروصى ومحمد ابن عبد الله السالمى وهو نجل المؤرخ الأعمى ، ولكن يخشى أن تفضى الأزمة الى انفصام التحالف بين الفئتين ، الغافرية والهناوية ، ويخشى أيضا أن يقع تدخل من خارج الامامة باسم جماعات ذات مصلحة ، فيمتنع انتقال السلطة من يد الى يد انتقالا منتظما •

أمير الجبل الأخضر
سليمان بن حمير النبهانى

الشيخ سليمان بن حمير النبهانى شيخ قبيلة بنى ريام وأمير الجبل الأخضر هو نجل حمير بن ناصر الزعيم الغافرى الذى كان له شأن عظيم فى انشاء الامامة الجديدة فى سنة ١٣٣١ هـ الموافقة ١٩١٣ م ، ولا يعرف على وجه التدقيق متى خلف سليمان والده وتقلد سلطته ولكن يبدو أنه لا يزال صاحب السلطة منذ خمس وعشرين سنة أو أكثر .

أطلق سليمان على نفسه أحيانا فى وثائق رسمية لقب ملك المملكة النبهانية ؛ بيد أن لقب ملك أطلق فى الزمن الماضى فى عمان على حكام أراض محدودة فيحسن أن يعد هذا اللقب معادلا للقب أمير لا لقب ملك بمعناه الشائع . وقد يستنتج من استعمال هذا اللقب الذى ليس له شيوع كبير بين عامة الشعب فى عمان فى الوقت الحاضر ، ان سليمان قد رشح نفسه خلفا مباشرا للأسرة النبهانية التى حكم أعضاؤها أجزاء من الداخل مدة خمسة قرون الى أوائل القرن الحادى عشر الهجرى الموافق السابع عشر الميلادى . ولكن الملوك النبهانيين كانوا غير محببين الى الاباضيين المحافظين ؛ وقد ذاعت لهم شهرة فى أعمال العسف والاستبداد حتى لترى أن كتب التاريخ العربية لعمان لا توسع لحكمهم سوى مساحة قليلة ؛ أما اليوم فقد اشتهر النباهنة بأنهم بطن من بطون قبيلة بنى ريام .

حوالى عام ١٠٣٣ هـ الموافق ١٦٢٤ م سقطت أسرة النباهنة الى زمن على الأقل ؛ يوم مات عمير بن حمير الذى لقب بلقب ملك سمايل . ولا يعرف هل كان سليمان خلفا مباشرا لعمير ولكن قد يكون لاسم

حمير الذى كان اسم والديهما شأن فى هذا لأن الاسم ليس اسما شائعا فى الجزيرة العربية الحديثة •

فى عام ١١٣٤ أو ١١٣٥ هـ أى فى ١٧٢٢ م كان حمير بن منير بن سليمان الريامى حاكما لمسقط فى ظل أسرة اليعاربة : فاسما حمير وسليمان يشيران الى أن هذا الرجل كان فى أغلب الرأى سلفا لأمير الجبل الأخضر الحالى •

وقد عادت أسرة النباهنة الى منزلة عالية فى شئون عمان فى عهد سيف ابن سليمان وهو والد جد الأمير • وقد تقدم قبلا أن سيفا كان أحد شيوخ الغافرية الذين تخلوا عن عزان بن قيس عقيب قيام الامامة العزانية • وبعد أن اشترك مع تركى بن سعيد فى الحركة التى غرضها اسقاط الامامة انحاز سيف الى جانب الامام وأسدى اليه معونة فى الاستيلاء على نزوى : ولكن لم يطل عليه المطال حتى انقلب ثانيا معارضا للامامة وشارك فى المناورات التى أفضت الى سقوط عزان •

فى عام ١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦ م ذهب مايلز S. B. Miles الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط فى زيارة الى بلاد بنى ريام فوجد ناصر بن سيف شيخا للقبيلة • وقد روى مايلز أن ناصرا مات بعد سنوات قلائل وخلفه ابنه الأكبر محمد • « وفى عام ١٣٠٣ أو ١٣٠٤ هـ أى فى ١٨٨٦م اغتال سليمان ابنى أخيه محمدا وأخا له واغتصب الحكم الذى احتفظ به الى عام ١٣١٦ أو ١٣١٧ هـ أى الى ١٨٩٩ م » حين تمكن الابن الثالث لناصر من الأخذ بالثأر لأخويه باعدام عمه سليمان ، وهذا الابن الثالث هو فى الأغلب حمير بن ناصر •

وقد وصف مايلز مقام شيخ بنى ريام فى الجزء الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى الموافق لأواخر القرن التاسع عشر الميلادى بقوله :

> ليس لشيوخ قبائل عمان بوجه عام سوى سلطة يسيرة على غيرهم من أبناء القبائل فى زمن السلم ولكن تميمة بنى ريام قد يعد خارجا على هذا الحكم فهو حقا ؛ لهذا ولأسباب أخرى ؛ شيخ من أعظم الشيوخ فى البلاد. ويندر أن يكون هذا الشيخ على علاقات ودية مع سلطان مسقط وهو يتحدى السلطان ويتخذ لنفسه نتاج الأراضى الخاصة ببيت المال التى تعود حقا للحاكم .

احتفظ حمير بن ناصر برئاسته لبنى ريام من عام ١٣١٦ أو ١٣١٧ هـ أى من ١٨٩٩ م الى يوم وفاته عقيب عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م ، وقد كان حمير رئيس القبيلة يوم مر كوكس الوكيل السياسى يومئذ فى مسقط فى منطقة الجبال عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م فطلب حمير من كوكس بندقية من صنع لى متفورد و نحو ٥٠٠ ريال ولكن كوكس أعطاه فى النهاية البندقية مع مائة ريال من النقد فقط . وقد ظفر حمير بعلو الهيبة التى تلازم مركزه فازداد الاحترام له من حيث هو حاكم قوى جرىء ؛ وجاءت آية أعماله عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م ، حين تقدم جماعة الغافرية المتحالفة مع الهناوية وعلمـاء الاباضيين فى الداخل لانهـاض امامة عمان .

وقد واصل سليمان بن حمير السير على سياسة والده فى حفظ وحدة الداخل وتعزيز قوته ؛ فقد كان منذ زمن طويل أحد الأركان الدنيوية لسلطة الامام الدينية ، ولا يزال منذ وفاة عيسى بن صالح فى عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م أقوى أركان الامامة وأعظمهم نفوذا ، حتى ذهب الذين لا يعرفون النظام الخاص بالامامة الى حد وصفه بأنه أعظم سلطانا من الامام نفسه .

أمير الجبل الأخضر رجل فى حدود الخمسين من العمر ذو سمت ومهـابة يقترنان بلحية طويلة سوداء ؛ فاذا الذى يقـابله يشعر بأنه

رجل • ويقول ثسيجر « انه رجل يقع فى نفسك موقع القوة وان لم يكن شخصية يسهل عليك أن تألفها » • ويبدو أنه أبعد شيوخ الداخل نظرا وأدناهم الى انشاء صلات مع العالم الخارجى ؛ ومن صفاته العجيبة رحابة عقله واستعداده للسير مع موكب الزمان ، وقد روى أحد المرسلين الأمريكيين الذى رآه فى بركة الموز فى عام ١٣٥٩ هـ الموافق ١٩٤٠ م انه « معنى بالحصول على راديو ، ولكنه لا يريد سيارات أو طائرات فى البلاد » ، ثم قيل نحو ست سنوات بعد ذلك انه « يرجو أن يشترى سيارة نقل وأن يمد طريقا من السيب على الساحل الى بركة الموز » • وقد زار مسقط عام ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩٤٥ م ويبدو أنها كانت زيارته الأولى لها ، ويقال انه لم ير قبل هذه الزيارة لا بحرا ولا سفينة ولا سيارة ولا ضوءا كهربائيا ولم يسمع لا راديو ولا آلة حاكية • وفى أوساط عام ١٣٦٨ هـ الموافقة لأوائل عام ١٩٤٩ م مكث سليمان قرابة شهرين فى مسقط ، وقبيل سفره أهدى السلطان اليه سيارة جيب أمريكية ولكنه لم يوفق ، على ما قيل ، فى السير بهذه السيارة عبر الجبل الى تنوف : وكان لم يزل يومئذ يتحدث عن مد طريق للسيارات يصل بين أراضيه والساحل ، وقد روى أنه أخذ يفكر بعد ذلك فى امكان انشاء مطار فى أراضيه •وقد رحل أيضا رحلة الى الهند ساعدت على توسيع آفاقه ، وفى موسم عام ١٣٧٠هـ الموافق ١٩٥١ م أدى فريضة الحج•

كتب ثسيجر بعد مقابلته لسليمان فى شهر جمادى الأولى عام ١٣٦٩ هـ الموافق لفبراير ١٩٥٠ م فقال :

> انه مجرد من التعصب الضيق الذى يتصف به معظم سكان المدن فى عمان ، ويعنى بمخترعات الغرب ، وهو مستعد للانتفاع بها ، فهذا وما يبدو عليه من طموح يجعله موضع شبهة عند الامام • وقد غضب لأن

الامام حال بينى وبين السفر الى بركة الموز تلبية لدعوته .
فمقابلته لى فى المعمور كانت تحـديا للامام وتأييدا
لاستقلاله . ولكنه كان من الواضح أنه راغب عن ذهابى
معه الى الجبل الأخضر لأن فى ذلك خطر قيام خلاف
خطير مع الامام ، ومع أنى شعرت بمرارة الخيبة فى
تنفيذ خططى ، فقد سرنى أن ألقاه لأنه اذا استثنينا
الامام فهو أعظم رجل فى عمان •

ومع أن سليمان قد أبدى ما يدل على رغبته فى توثيق صلته وصلة شعبه بالعالم الذى وراء الجبال ؛ فليس ثمة دليل على أنه صار مستعدا أن يعقد مع السلطان أو مع الانكليز اتفاقا يميل به الى فصم علاقته ببقية الامامة ، ولعله لا يتردد فى معاملة حكومات بعض الدول الأجنبية الأخرى أو أبنائها •

يحتفظ سليمان بن حمير من أجل أغراض الدفاع بقوة مسلحة ليست كبيرة ولكن لعلها أقوى قوة فى الداخل • ومن عناصر قوته الأخرى امتناع الأجزاء الجبلية من أراضيه على الرواد ، فاذا وقعت أزمة فيغلب أن يكون فى قدرة صالح بن عيسى أمير الشرقية أن يعبىء جيشا أكبر من جيش سليمان ولكن أرض صالح أميل الى أن تكون سهلا فهى تفتقر الى مزايا الدفاع الطبيعى التى تستمتع بها جبال سليمان •

تقع مدينة تنوف عاصمة سليمان بن حمير قرب الجبال على مسافة قصيرة الى الشمال من مقر الامامة فى نزوى • وهى ليست ببلدة كبيرة ويقال ان موقعها لا يصلح لتوسعها حتى تصير مدينة أكبر • وأكبر بلدة بعـد تنوف فى أرض سـليمان هى بركة الموز ، أما قبيـلة بنى ريام فيسكن بعض أنفارها أيضا العلاية فى نزوى وعددا من القرى فى الجبال•

أمير الشرقية
صالح بن عيسى الحارثى

الشيخ صالح بن عيسى الحارثى شيخ قبيلة الحرث وأمير الشرقية هو أصغر الزعماء الثلاثة الذين يسيطرون على شئون امامة عمان وأقلهم خبرة فى مسائل الحكم ، بيد أنه اذا أحسن التصرف بحكمة وشجاعة كان السلطان والنفوذ فى متناول يديه لأنه أعظم زعيم للهناوية فى الداخل ولأنه يستطيع أن يظفر بتأييد أقوى قبائل الشرق فى السلم والحرب .

هذا الشاب فى نحو الثلاثين من عمره ، وهو سليل زعماء أشداء تعاقبوا من قبله على الزمن ؛ فأحد أبناء هذه الأسرة عيسى بن صالح كان قائدا لقوة من الشرقية خلال حكم السلطان سعيد بن سلطان بمسقط فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ، ولا يعلم على وجه التدقيق متى أصبح صالح بن على جد الأمير صالح الحالى رئيسا لقبيلة الحرث ، ولكن يروى أنه كان فى عام ١٢٧٢ هـ الموافق ١٨٥٥ م يشارك أخاه ناصرا فى السلطة على هذه القبيلة ؛ وقد ظل صالح بن على أربعين سنة بعد ذلك وهو أعظم رجل فى الشرق ؛ وكان لتأييده أثر فى انشاء امامة عزان بن قيس ، وبعد سقوطها أقام صالح الدليل غير مرة على أنه أكثر من ند لسلطان مسقط .

كان عبد الله أكبر أبناء والده صالح وكان شابا يرجى له مستقبل باهر ولكنه توفى فى عام ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٥ م عقيب أن غزا مسقط وقبيل وفاة والده ، وفى عام ١٣١٤ هـ الموافق ١٨٩٦ م خلف صالحا ابنه عيسى الذى امتد حكمه خمسين سنة أو نحوها ، فكان فيما يلوح أطول

من حكم أبيه . وعيسى بن صالح هو أحد كبار بناة الامامة الجديدة ، وأحد القواد الذين كانوا فى طليعة الهجوم على مسقط عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٥ م كما كان أحد قواد الحملة التى وجهت الى البريمى فى عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م .

فى نحو عام ١٣٥٧هـ الموافق ١٩٣٨م ذهب عيسى بن صالح فى زيارة الى مسقط . فأدب له السلطان مأدبة فاخرة حضرها الدكتور پول هاريسون المرسل الطبى الأمريكى . وبعد المأدبة سار الدكتور هاريسون الى بيته مع قاضى مطرح فكان القاضى يتمتم قائلا عن عيسى « هذا الرجل عدو ، انه عدو فى صميم قلبه » .

وقد زار الدكتور هاريسون مع زوجته الشيخ عيسى فى عاصمته القابل حوالى عام ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ م فشاهد كثيرا مما دله على عدالته ودقة حكمه فى الشرق ، ولم يتردد هاريسون فى وصفه بأنه « أعظم أمراء عمان المستقلين وأعظم حاكم عرفته قبائل عمان منذ عشرات من السنين .... وهو مسن الآن ولكنه منتصب القامة نحيل البدن ذو أنف ضخم وهيئة الصقر ... وعليه مهابة وحديثه هادىء » . وفى خلال هذه الزيارة أتيح لهاريسون أن يقدر ما لعيسى من الهيبة بين العرب وأن يلاحظ الخلافات الدينية التى تفصل الاباضيين عن أهل السنة فقال :

> كان مجلسه حافلا بالزوار العرب من صور وكانوا قد جاءوا بخلاف الى الشيخ الطيب ليحكم فيه وكان يبدو أن تقديرهم الشخصى له عال جدا ، ولكنهم كانوا لا يذهبون معه الى الصلاة فى المسجد ولا أظن أن الدعوة وجهت اليهم ليفعلوا .

وقد خلف عيسى عند وفاته فى عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م ابنه الأكبر محمد . وكان رجلا مطبوعا بطابع مختلف ؛ اذ كان رجلا لم يفطر على الزعامة ، عليل الصحة ، وقد نال فى حكمه الذى دام سنتين شهرة ذميمة بأنه مستبد صغير . وكان محمد ميالا الى أن يكون على مودة مع سلطان مسقط . وأما السلطان فقد بذل كل ما فى وسعه ليستميل الأمير اليه . فلما مرض محمد فى عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م . دبر له السلطان أمر سفره الى الهند من أجل العلاج ، وقد كان لا يزال عليلا وجسمه تغطيه القروح حين جاء أجله فى عام ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٨ م فى عاصمته القابل حيث دعى لمعالجته قبيل وفاته المرسل الأمريكى الطبى الدكتور ولز تومز .

مهدت وفاة محمد بن عيسى طريق الحكم لأخيه الأصغر صالح الذى كان يحوز ثقة الامام وتأييده ، ولم يبد صالح حتى الآن من المودة لقضية السلطان ما كان يبديه أخوه محمد . وصالح لا يجهل جهلا تاما ما فى العالم خارج عمان ، فقد زار البحرين والهند من أجل العلاج فى السنوات الأخيرة ، وأما الشعب فى الداخل فلا يزال على ما يلوح ممتنعا عن الحكم حكما نهائيا على صفة صالح وسيادته ، ولكن لا ينتظر أن يسمو صالح قط الى مستوى والده .

ولا يستبعد أن يقوم يوما ما رجل من أقرباء صالح فيتحدى حقه فى الحكم . فأخوه ابراهيم وهو لا يزال فى العقد الثالث من العمر معدود عند بعض رجال الشرقية رجلا أصلح منه للمنصب ، وليس بين الأمير وابن أخيه حمد بن محمد ، على ما يقال ، مودة خالصة .

يتخذ صالح مقرا لحكمه حصنه فى مدينة القابل ، وهذا الاسم يجب أن لا يختلط باسم مثله يطلق على بلدة فى الظاهرة تقع قرب الطرف الجنوبى

لجبل حفيت . وحوالى عام ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ م يوم كان هاريسون فى قابل الشرقية ، كانت البلاد فى سبيل ابلالها من آثار الجفاف المدمر ، وقد وجد هاريسون يومئذ كثيرا من بساتين النخيل المزدهرة « والحقول الخضراء للبرسيم والشعير والقمح » .وقد عاد الجفاف منذتلك الزيارة ففى عام ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٤٩م زار ثسيجر بلدة القابل فوجدها مهجورة على الأكثر ومثلها قرى متعددة فى تلك المنطقة ، وكانت الأفلاج المحفورة تحت الأرض واللازمة لرى البساتين والحقول قد أخذت تجف ، وعلاوة على تأثير الجفاف تجد الشعب هناك عرضة لمشاكل كبار الملاك المتغيبين الذين لا يباشرون شئون أملاكهم بأنفسهم ، فعدد من هؤلاء وبخاصة أبناء قبيلة الحرث يعيشون فى زنجبار وغيرها . وهم يصرون فى الغالب على أن تنقل ثمار مزارعهم مسافة طويلة الى مطرح لتباع فيها ، لأنهم ان لم يفعلوا فقد لا يظفرون بالجانب الأكبر من ثمن ما يباع . وقد يضطر فلاحو الشرقية أحيانا الى الاكتفاء بغذاء من السمك المملح يؤتى به من مطرح أو صور بدلا من المحصولات المغذية التى تخرجها أعمالهم . وكثرة البعوض تجعل الملاريا مرضا شائعا ، فهذه الأرض وهى غير مجردة من موارد الطبيعة وموارد الناس تحتاج الى حاكم حكيم بارع ليرشدها ويأخذ بيدها الى حياة أفضل .

قبائل الأمامة

هناك حقيقة واضحة تدل دلالة بينة على تفتت الكيان الاجتماعى فى عمان ،و هى أن عدد القبائل التى تدين بالولاء الكامل أو بعض الولاء للامامة لا يقل كثيرا عن مائة قبيلة . ففى منطقة الحسا الواسعة ، حيث لا نجد الجبال الوعرة والأودية السحيقة المألوفة فى عمان ؛ وحيث تقل عوامل التفرقة التى تشتت حياة الأهلين ، لا يكاد عدد القبائل يتجاوز عشرا . وبين قبائل عمان كثير من القبائل الصغيرة التى لايعتد بهابحيث نستطيع اغفالها فى هذا البحث ، وستحصر العنـاية فى ثمانى عشرة قبيلة مشهورة لها صلة بالامامة :

الجنبة	بنى ريام
الحبوس	آل بو سعيد
الحجريين	بنى شكيل
الحراسيس	العبريين
الحـرث	العوامر
بنى بو حسن	المحاريق
بنى خروص	بنى هنـا
الدروع	آل وهيبـة
بنى رواحة	اليعاقيب

ولابد من القول بأن هذه القائمة لا تتضمن جميع القبائل الرئيسية

المتصلة بالامامة • وفى أودية الحجر بوجه خاص قبائل ذات شأن كان يمكن اضافتها لو وسعنا نطاق البحث •

ان تعقد الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية فى الامامة يسهل ادراكه على حقيقته اذا ما رأيت كيف تندرج هـذه القبائل ، وغيرها من القبائل التى لا نلم بها فى هذا البحث ، فيما لا يقل عن أربع مجموعات متضاربة ، والثلاث الأولى منها طويلة العهد فى التاريخ :

١ — مجموعات طبقا للدين : القبائل الاباضية ، والقبائل السنية •

٢ — مجموعات طبقـا للفئة : القبـائل الغافرية ، والقبائل الهناوية •

٣ — مجموعات طبقـا لمنهـاج المعيشة : القبائل الحضرية ، والقبائل البدوية •

٤ — مجموعات طبقا لمدى ما للامامة من سيطرة : القبائل الخاضعة للامامة خضوعا تاما ، والقبائل الخاضعة لها بعض الخضوع •

يزداد الموقف اضطرابا وتعقدا بسبب المحالفات والعداوات القديمة بين القبـائل وأحيانا بين فخوذ من قبيـلة واحدة ، وهـذه المحالفات والعـداوات قد تؤدى الى تشـابك المجموعات التى سردت قبـلا • فالاباضيون يميلون الى الوقوف فى جانب الاباضيين معارضة للسنيين ، غير أنه قد يحدث أحيانا أن ينقلب بعض الاباضيين على غيرهم من رجال عقيدتهم ، وقد يسعون بعد ذلك الى عقد حلف مع السنيين ليزداد تأييدهم • كذلك يميل الغـافرية الى الوقوف الى جانب الغـافرية ، والهنـاوية مع الهناوية ، ولكن هذا الاتجاه بعيد عن أن يعد قاعدة مقررة • ونجد

فى عمان التيارات القديمة للعداوة بين الرحل والحضر . وهى عداوة تدرج فى أماكن أخرى من الجزيرة العربية وغيرها من البلدان الصحراوية ؛ غير أن هناك قبائل حضرية تتبعها فخوذ أو موالون من الرحل ؛ أو هى تتحالف مع بعض الرحل فى صراعها مع سكان المدن والقرى الآخرين •

وهناك نقطة هامة يجب مراعاتها . ولا سيما عند بحث تبويب أحوال القبائل . وهى أن الحالة تتغير دائما . وان كان يحدث هذا التغير عادة ببطء ودون أن يستوقف النظر ، فيحدث أحيانا أن يتحول الاباضيون الى السنة ؛ أو السنيون الى الاباضية • وقد تحولت غير قبيلة واحدة من فئة الغافرية الى الهناوية ؛ والعكس صحيح ؛ واستسلم أفراد أو جماعات صغيرة من القبائل الرحل الى جاذبية حياة الحضر ؛ وهو نهج لا يكاد ينقطع بيد أن الأمثلة على تحول سكان المدن والقرى الى حياة الرحل فى البيداء قليلة ونادرة • أما درجة ولاء قبيلة معينة لسلطة عليا ، فانها قد تبقى ثابتة مدة طويلة من الزمن أو قد تتغير تغيرا سريعا شيئا ما • وما هو صحيح عن القبائل اليوم ، قد يكون صحيحا غدا ، أو يجوز أنه سيحتاج بتحول الظروف الى تعديل ما •

القبائل الإباضية والقبائل السنية

مع أن امامة عمان هى منشأة اباضية أصلا وفرعا . ومع أن السواد الأعظم من أهلها موالون للاباضية . فان عددا من السنيين يقطنون فى سلام فى أراضى الامامة ويعترفون بسيطرة الامام عليهم • ويوجد هؤلاء بوجه خاص فى المناطق الواقعة على الحدود وكذلك بين البدو . والبدو الرحل فى جزيرة العرب . باستثناء حالات قليلة مشهورة . درجوا منذ القديم على الميل الى مذهب السنة فى الاسلام . أو هم فعلوا ذلك على الأقل عندما لم يرتدوا الى شعائر الوثنية الراجعة الى أسلافهم القدماء • ومع ذلك . لم يتشبث بالسنة جميع بدو عمان ، لأن عناصر هامة منهم اعتنقت الاباضية •

ينبغى الاشارة كذلك الى أن الامامة الاباضية الحالية لا يدين لها بالولاء والطاعة جميع الاباضيين فى عمان • فثمة قبائل بأسرها من الاباضيين ، وفخوذ من قبائل ، تعيش وراء تخوم الامامة وهى جميعا تأبى لسبب أو لآخر أن تنتمى الى الهيئة المركزية للحكومة التى أقامها الاباضيون ، وأبرز مثل على الاباضيين المنعزلين عن الامامة هم سلاطين مسقط أنفسهم •

قبائل اباضية

الحبوس	آل بو سعيد
الحجريين	بنى شكيل
الحرث	العبريين
بنى بوحسن	العـوامر
بنى خروص	المحـاريق
بنى رواحة	بنى هنـا
بنى ريام	آل وهيبة

قبائل سنية	قبائل مشكوك فى مذهبها
الجنبـة	الدروع
الحراسيس	اليعاقيب

يبدو أن فى بعض قبائل الاباضيين ، كالعبريين مثلا ، يوجـد عدد قليل من السنيين •

والمعلومات متضاربة بشأن الدروع واليعاقيب ، ويحتمل أن يكون فى صفوف كل من القبيلتين عناصر من الاباضيين والسنيين معا •

القبائل الغافرية والقبائل الهناوية

قبائل غافرية	قبائل هناوية
الجنبـة	الحبوس
بنى خروص	الحجريين
الدروع	الحراسيس
بنى ريام	الحرث
بنى شكيل	بنى بو حسن
العبريين	بنى رواحة
المحاريق	آل بو سعيد
اليعاقيب	العـوامر
	بنى هنـا
	آل وهيبة

القبائل الحضرية والقبائل البدوية

قبائل حضرية	قبائل بدوية
الحبوس	الجنبة
الحجريين	الحراسيس
الحرث	الدروع
بنى بو حسن	آل وهيبة
بنى خروص	
بنى رواحة	
بنى ريام	
آل بو سعيد	
بنى شكيل	
العبريين	
العوامر	
المحاريق	
بنى هنا	
اليعاقيب	

فى بعض القبائل الحضرية فخوذ أو موالون من البدو الرحل • أما الجنبة فتوجد عناصر قوية منهم مستقرة فى مناطق خارج أراضى الامامة •

سيطرة الإمامة على القبائل

يباشر الامام وحكومته سيطرة تكاد تكون تامة على معظم القبائل التى تقطن فى أراضى الامامة . وفى طليعة ما يستثنى من ذلك ثلاث قبائل بدوية كبيرة وعدد من القبائل البدوية الصغيرة التى تتنقل على الأطراف الجنوبية والغربية لهذه الأراضى . وقد اشتركت القبائل الخاضعة للسيطرة التامة فى انتخاب الامام وانضمت بملء اختيارها الى الامامة ، فالمنتظر اذن أن تدين للامام بالطاعة الكاملة باعتبـاره زعيمها الروحى والزمنى ما دام سلوكه سليما وما دامت أوامره غير جائزة . أما القبائل التى لا تزال تتمتع ببعض الحرية فهى تعيش مجولة مطوفة فى مناطق نائية الى حد ما وهذا يجعلها بالبديهة بعيدة عن الخضوع لسيطرة السلطة القائمة . وجرى العرف من قديم فى عمان على ألا تفرض الزكاة الا على الثروة الزراعية لسكان المدن والقرى : لا على مواشى البدو الرحل ، وبذلك يكون عنصر السيطرة المضمن فى جباية الضرائب غير منطبق على حالة قبائل البدو الذين يعيشون فى أطراف البلاد . وتعترف هذه القبائل الى حد ما بالسلطة القضائية للامام ، وتعرض كثيرا من منازعاتها عليه أو على ممثليه اما للحكم أو للتحكيم ، غير أن القبائل احتفظت الى جانب الشريعة الاسلامية بنظام حكم « الحوز » وهو نظام عرفى قديم للقبائل ينطبق على حالات كثيرة لا تعرض على قضاة الامام . وصفوة القول أن درجة الولاء الذى تدين به هـذه القبائل البـدوية للامام تميـل الى التغيير والتبديل طبقا لما يمليه الموقف : أكثر مما هو الحال فى القبائل التى اندمجت فى الدولة اندماجا تاما .

تنقسم بعض قبائل شرق الجزيرة العربية الى جماعات تعيش منعزلة

بعضها عن بعض نوعا ما . فاذا ورد فى القائمة التالية أن قبيلة من القبائل خاضعة لسيطرة الامام التامة . فلا يستوجب ذلك أن يصدق هذا القول على جميع رجال القبيلة حيث يكونون ؛ وانما معناه أن رجال هذه القبيلة الذين يعيشون فى داخل أراضى الامامة هم الذين يخضعون للسيطرة التامة لرأس الدولة . ولعل أبرز مثال على ذلك آل بو سعيد ؛ قبيلة سلاطين مسقط . فيختلف أفراد الأسرة السلطانية عن رجال قبيلتهم فى الداخل فى أنهم لا يعدون أنفسهم خاضعين لسيطرة الامامة .

قبائل خاضعة للسيطرة التامة	قبائل خاضعة للسيطرة غير التامة
الحبوس	الجنبة
الحجريين	الحراسيس
الحرث	الدروع
بنى بو حسن	آل وهيبة
بنى خروص	
بنى رواحة	
بنى ريام	
آل بو سعيد	
بنى شكيل	
العبريين	
العـوامر	
المحاريق	
بنى هنـا	
اليعاقيب	

معلومات عن قبائل الإمامة

نورد فى الصفحات التالية معلومات موجزة عن كل من القبائل الثمانى عشرة موضوع البحث. وتوجد لدينا تفاصيل أخرى محفوظة فى مراجعنا .

وقد رتبت القبائل بحسب أحرف الهجاء ، بعد اغفال مقدماتها مثل « ال التعريف » و « آل » و « آل بو » و « بنى » و « بني بو » .

وقد وضعنا صيغة المفرد التى ينادى بها عضو كل قبيلة تحت اسمها .

والأرقام التى أوردتها المصادر المختلفة عن عدد رجال قبائل عمان هى على أحسن الفروض تقديرات عامة غير دقيقة . وبدلا من أن نورد أرقاما قد يتضح عدم صحتها . نرى أن نرتب القبائل من حيث عدد رجالها القادرين على حمل السلاح فى الأبواب الأربعة التالية :

١ — كبيرة : وقد يزيد عدد رجالها القادرين على حمل السلاح على ألفين .

٢ — متوسطة : وقد يتفاوت عدد رجالها القادرين على حمل السلاح بين ألف وألفين .

٣ — صغيرة : وقد يتفاوت عدد رجالها القادرين على حمل السلاح بين خمسمائة وألف .

٤ — صغيرة جدا : يغلب أن يكون عدد رجالها القادرين على حمل السلاح أقل من خمسمائة .

وحيث أنه لا توجد لدينا احصاءات يعول عليها ، فان الأبواب السالفة الذكر ينبغى أن تؤخذ بدورها بتحفظ .

الجنبة

جُنيبى

قبيـــــلة كبـــــيرة

ســـــــــنية

غافـــــــرية

بدوية فى الامامة

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا غير تام

يظهر أن الجنبة كانوا يوما ما أقوى قبائل البدو فى عمان . وعلى الرغم من أن مركز رجال هذه القبيلة فى البادية ليس هو اليوم المركز الذى كانوا يشغلونه فيما مضى . فانهم يوشكون أن يقفوا على قدم المساواة مع الدروع . وهم حلفاء لهم من فئـة الغافرية ؛ ومع آل وهيبة ؛ وهم خصوم لهم من فئة الهناوية • ويرجع السبب الرئيسى فى ضعف الجنبة كقوة من قوى البادية الى تناقص عددهم فيها على أثر استقرار كثير منهم فى ميناء صور وغيره من الموانى الصغيرة الواقعة على الســاحل الشرقى والممتدة جنوبا حتى الجازر • وعلى هذا فقد انشطرت القبيلة فى الواقع الى جماعة غربيـــة ؛ ما فتىء أفرادها بدوا ، وجماعة شرقيـــة ؛ استقرت استقرارا جزئيا وأصبحت منشغلة بأمور الملاحة والحياة الحضرية •

يجول الرحل الغربيون من الجنبة خلال البلاد الواقعة شرقي ديرة الدروع في منطقة الأودية بجوار بلدة أدم • ويعد زعيمهم جاسر بن حمود ، وهو يقيم في بلدة عز ، من أروع شخصيات عمان اليوم • ولم يتخل جاسر عن دعوى فرض سلطانه على المناطق التي يحتلها أعضاء الجماعة الشرقية من القبيلة • ويصف الدكتور ولز تومز المرسل الطبي الأمريكي كيف أن جاسرا أيقظه في منتصف ليلة من الليالي من زمن غير بعيد في صور : وشكا اليه من أن سلطان مسقط حصل على مبلغ من المال من الانكليز والأمريكيين أجرة للمطار المقام على جزيرة مصيرة مع أنه هو ، بصفته مالكا للجزيرة ، لم يحصل على شيء •

لما طاف ولفرد ثسيجر في عمان في عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م وافق جاسر على أن يستقبله لأن ثسيجر كان يحمل كتابا من زايد بن سلطان أخي حاكم أبو ظبي ، وهو رجل واسع النفوذ • وعلى أية حال ، « فقد حار جاسر بسبب وصولي وكان الامام قد سمع بوجودي في تلك البقاع وأمر القبائل أن تسد السبيل أمامي » • ومع ذلك فان جاسرا قد قصد الى الامام في نزوى ، نيابة عن ثسيجر ، وبعد نقاش طويل استصدر من الامام اذنا له بمرافقة ثسيجر عند مغادرته الامامة وعودته الى البريمي •

وصف الدكتور كارتر Carter ، وهو رحالة بريطاني كان يتنقل على طول الساحل الشرقي في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري الموافق للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وصف الجنبة الذين رآهم بأنهم « صغار الأجسام وعلى شيء من الملاحة ، نحاف يبدو عليهم سوء التغذية • وهم دكن اللون وقد أرسلوا شعورهم على طريقة بني بو علي وكانوا يرتدون زيا يشبه زي تلك القبيلة • وكان

الصيادون الذين يعيشون على الساحل أقل سمرة من الباقين ورؤوسهم طويلة مكتنزة وجباههم مرتفعة تجللها فروة من الشعر ... ويقومون جميعا بالقبض على ركاب السفن الغارقة أو المتحطمة وسلب البضائع التى فيها لأنهم يعتقدون أن ما يقع على الشاطىء انما هو ملك للقبيلة التى تملك الشاطىء . ولو عرفت الحقائق فاننى أظن أن الجنبة هم أسوأ الناس خلقا على هذا الساحل » .

كان تحطيم السفن ونهبها عملا مجزيا فى تلك الأيام . وقد تعرضت السفينة الأمريكية پيكوك Peacock للخطر على أيدى الجنبة عند ما جنحت على مقربة من مصيرة فى عام ١٢٥١ هـ الموافق ١٨٣٥ م وكانت تقل أدموند روبرتس الى مسقط لتبادل وثائق المصادقة على المعاهدة الجديدة المعقودة بين الولايات المتحدة والسلطان . فصعد أشخاص من الجنبة على ظهر السفينة ، وكان واحد منهم رجلا جميل الطلعة ، « وله خصلة كثيفة من الشعر الأسود المجعد تصل الى كتفيه : وعينان حادتان من اللون الأسمر الداكن ، وتقاطيع منتظمة وجلد أسود ناعم وأسنان بيضاء ، وفوق هذا فان التماع طلعته خلع على جمال وجهه طابعا نسويا الا أن شاربه المرسل ولحيته السوداء المجعدة أظهرته بمظهر شاب محارب » . وقد أبلغ ممثلو القبيلة الضباط البحريين الأمريكيين أن مصيرة « يحكمها سلطان » : مشيرين بذلك ، كما يتبين من ظروف زيارتهم ، الى زعيمهم هم لا الى سلطان مسقط . ولم تتم الاتصالات التى جرت بين الأمريكيين والجنبة بصفة مرضية ، ذلك لأن الوسيط الوحيد « كان مترجما ضعيفا ، وهو بولنـــدى بائس اسمه ميخائيل ، ولأنه سافر برا ، حسب قوله ، من بولندا الى بمباى ، فقـــد استطاع أن يتكلم الى حد ما العربية والايطالية والهولندية ولكنه كان يجهل الفرنسية والانكليزية » .

وقد ألفى برترام توماس فى العقد الخامس من القرن الهجرى الحالى الموافق للعقــد الثالث من القرن الميلادى شيخ مصيرة الجنيبى معسكرا على البر . وكان « رجــلا نحيلا طويلا وجهه وجه صقر وهيئته شريفة تميزه عن أتباعه من ذوى الشكل القبيح » : وكان حليفا لزعيم بنى بو على ووثيق الصلة به . وكان هذا الزعيم ذا نفوذ كبير فى البدو التابعين للجماعة الشرقية من الجنبة . وأدرك ثسيجر كذلك من جولاته الأخيرة فى عمان أن الجنبة الشرقيين يعترفون بزعيم بنى بو على سيدا أعلى عليهم .

يأتى رجال الجماعة الشرقية : ممن يترددون على منطقة الساحل: بقطعان كبيرة من الابل والمعز فى فصل الشتاء ؛ وبعد انقضائه يرجعون صوب الداخل الى كهوف فى الجبال قبيل هبوب الرياح الموسيمية من الجنوب الغربى . وبعض هؤلاء الناس صيادون مهرة يعرفون ببراعتهم فى اصطياد القرشان .

وقد استقر بعض الجنبة فى صور . وهو ميناء يتقاسمونه مع بعض رجال بنى بو على ؛ ويعملون أكثر ما يعملون فى التجارة والمهن البحرية . ومن بينهم تجار يملكون مخازن كبيرة ويتجرون مع بمباى وزنجبار وموانى البحر الأحمر . وهم متمردون فى عناد وقد ساهموا بنصيب فى الاضطراب الذى دفع الانكليز الى القيام بحملتهم التأديبية على صور فى سنة ١٢٨٢ هـ الموافقة ١٨٦٥ م . ثم ائتمروا بالفرنسيين الذين كانوا يحمون مراكبهم التى تنقل الرقيق على صورة أغضبت الانكليز وسلطان مسقط . ولم يكونوا يقبلون قط الا فرض قدر ضئيل من سيطرة السلطان على صور : بل كانوا يتحللون من هذه السيطرة فى بعض الأوقات .

يقال ان شــعور الكراهية الذى كان مستحكما بين الجنبة وآل وهيبة فيما مضى قد خفت حدته اليــوم ، وقد رأى ثسيجر رجالا من القبيلتين يعيشون معا فى صفاء فى وادى حلفين .

الحكمان

قبلة صغيرة جدا من البدو ينسب اسمها الى بر الحكمان : وهو لسان من الساحل يقع مقابل مصيرة . وقد اختلط بعض افراد هذه القبيلة بالجنبة أو صاروا معهم على اتصال وثيق . ونزح بعضهم الى منطقة نفوذ آل وهيبة أو بنى بو على . ولهذا تفقد القبيلة طابعها الخاص شيئا فشيئا . وكان الحكمان فيما مضى على علاقات ودية مع حاكم أبو ظبى : اذ تعود زعماء هذه القبيلة فى أوائل القرن الميلادى الحالى أن يسافروا فى كل عام مارين بعمان ليتلقوا الهدايا المألوفة من ذلك الحاكم . ويقال ان هذه العلاقات لا تزال باقية على ما هى عليه .

الحُبُوس

حَبْسى

قبيـــــلة كبـــــيرة

إباضـــــــــية

هنـــــــاوية

حضرية (وفيها عدد قليل من البدو الرحل)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

قبيلة الحبوس هى عنصر من العناصر الثلاثة التى تكوّن كتلة من الاباضية الهناوية ؛ والعنصران الآخران هما الحرث والحجريين ، وعلى هذه الكتلة تعتمد الامامة أكثر ما تعتمد فى الشرقية .

تقع ديرة الحبوس غربى ديرتى الحرث والحجريين ، وتتجمع بلاد الحبوس حول واد قائم بذاته . ويسكن بعض رجال القبيلة عمان الوسطى .

بنى ثانى ؛ وقد يبلغ عددهم أكثر من مائة رجل من الرجال القادرين على حمل السلاح ، هم فخذ بدوى من فخوذ الحبوس .

الوُرُود

قبيلة صغيرة جدا ترتبط بالحبوس على الأرجح بوصفها موالية لها .

الحجريين

حجرى

قبيلة كبيرة

إباضية

هناوية

حضرية (ولها عدد من الموالين البدو)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

كان الحجريين ، كما يتضح من اسمهم ، يسكنون فى الأغلب على سفوح جبال الحجر ، غير أنهم انحدروا منذ وقت بعيد الى أرض الشرقية المنخفضة حيث تقع الآن بلادهم على مسافة غير بعيدة من بلاد الحرث فى البطحاء وهى الوادى الرئيسى فى هذه المنطقة .

وللامام وال فى المنترب وهى عاصمة الحجريين .

لما زار ثسيجر البطحاء فى ربيع عام ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٤٩ م ، تبين له أن احدى قرى الحجريين قد طغت عليها الرمال التى سفت على الوادى من الغرب ، بينما تخلى الحجريين عن قرية أخرى بسبب الجدب الذى منيت به الشرقية .

كان هلال بن سعيد ، رئيس القبيلة السابق ، زعيما من أبرز زعماء الشرق فى عصره • وليس هنـاك اليوم أحد تعترف القبيلة به زعيما دون منازع • وقد زار حمد بن محمد ، ابن أخى هلال ، الرياض فى ربيع عام ١٣٧٠ هـ المـوافق ١٩٥١ م ، مطالبا بالزعامة على أن بعض العـرب من الذين يعرفون الشرقية يعدون حمدان بن سالم ، وهو تاجر غنى ساكن فى بدية ، أكثر نفوذا منه ، على حين أن بعض الشيوخ الأخر يتمتعون بتأييد بعض أفراد القبيلة •

وأعظم آية للحجريين فى الأزمنـة الحديثة هى انتصـارهم فى عام ١٢٢٨ هـ الموافق ١٨١٣ م على قوات نجد التى كانت بقيادة مطلق المطيرى وهو الذى أرسى دعائم سلطة الموحدين فى عمان • وقد فقد مطلق حياته فى القتال مع الحجريين ، غير أن ابنه سعدا انتقم فيما بعد انتقاما كاملا من القبيلة • وعنـدما يزور الحجريين البـلاد العربية السعودية اليوم يحرصون على نسيان هذه الحادثة •

آل عَمْرو

قبيلة بدوية صغيرة تتصل بالحجريين باعتبارها جماعة من الموالين • ومن أعضائهـا من هم على اتصال كذلك ببنى بو حسن ويختلفون الى الرمال التى تقع فى ديرة آل وهيبة ، ولما كان آل وهيبـة من الاباضيين والهناوية ؛ فانهم حلفاء قدامى للحجريين •

الحراسيس

حرسوسى

قبيـــــلة صـــــغيرة

ســــــــنية

هنــــــاوية

بدوية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا غير تام

يطوف الحراسيس فى السهول الواقعة شرقى الربع الخالى وجنوبى ديرتى الدروع وآل وهيبة . ولعلهم أبعد القبائل التى تعترف بحكم الامام عن مركز الامامة .

والحراسيس معروفون بوجه خاص بأنهم يتحدثون فيما بينهم بلسان غير عربى . هو لغة سامية قديمة انحدرت من اللغات التى كانت شائعة فى جنوب الجزيرة العربية . وهم يتكلمون العربية كذلك ويستخدمونها فى الاتصال بالقبائل العربية المجاورة .

الحِـرْث

حارث

قبيـــــلة كبـــيرة

إباضــــــــية

هنـــــــــاوية

حضرية (ولها عدد من الموالين البدو)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

تعد قبيلة الحرث أكبر قبائل الهناوية شأنا فى الامامة كلها ؛ ومرد هذا الى قوة القبيلة من ناحيـة والى المركز الذى يشغله زعيمها من ناحية أخرى . وقد مر بنا ما كان لرجال تلك القبيلة من شأن فى الأيام الأخيرة وذلك فى القسم التاريخى من هذا الكتاب وفى القسم المخصص لصالح ابن عيسى .

كانت المنطقة التى يسكنها الحرث فى الشرقية أغنى المناطق فى شرق الجزيرة العربية الى أن أصابها الجفاف . والحرث : ويحف بهم الحجريين من الجنوب والحبوس من الغرب ، يعتبرون قلب القوة العسكرية فى الدولة الاباضية . وما فتئت بلدة القـابل فى الشرقية عاصمة القبيلة ، ولها عدد من القرى بجوارها .

قد وصف مصدر بريطانى رجال هذه القبيلة فقال « على الرغم من أنهم يحتفظون ببعض طبائع البدو فانهم يشتغلون . فى الأغلب : بالزراعة وخاصة بزراعة التمر ، وثمة نفر قليل منهم يعدون تجارا أثرياء ويملكون سفنا تجارية ، أما الذين هاجروا منهم الى زنجبار فقد أصبحوا ذوى مكانة فيها ، ولا يتعامل رجال الحرث مع صور . ولهم ميناءان هما مطرح ومسقط ، وتعد هذه القبيلة ذات نزعة حربية ، »

وثمة بعض القبائل البدرية التى ترتبط بالحرث بصفتها موالية لهم ؛ ويبدو أن رجال هذه القبائل يميلون الى الهجرة فى اتجاه الباطنة : وهذا يؤدي الى أضعاف علاقاتهم بالحرث ،

بني بو حسن

حسني

قبيـــــلة كبــــيرة

إباضـــــــــية

هنـــــاوية

حضرية (ولها عدد من الموالين البدو)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

تشغل قبيلة بنى بو حسن موقعا من أهم المواقع فى الامامة . وذلك فى منطقة جعلان فى الشرق الأقصى . فهذه القبيلة هى القبيلة الوحيدة الموالية للامامة ولاء تاما فى تلك المنطقة . وتقع بلاد بنى بو حسن بين بلاد بنى بو على وميناء صور ، مما يتـعذر معه انشاء قوة موحدة قد تستطيع أن تهدد أمن الامامة من هذه الناحية . فاما تكون تلك القوة مستقلة واما متحالفة مع سلطان مسقط .

وقد كان النزاع القـديم بين بنى بو حسن وبنى بو على ؛ وهم الموحدون فى شرق عمـان ؛ نزاعا من أطول المنـازعات وأعتاها فى هذه الرقعة من الجزيرة العربية . وفى عام ١٣٦٥ هـ الموافق ١٩٤٦ م ذهب الامام الى بلاد بنى بو حسن ليصلح ذات البين بين القبيلتين ؛ واستطاع باستخدام نفوذه على رعايا دولته أن ينجح فى بلوغ هذا الهدف . ومنذ

ذلك الوقت وسلطان مسقط يزعم أنه وضع حدا لهذا النزاع . ولكن يبدو أنه ليس ثمة أساس يسوغ هذا الزعم .

يرتبط عدد من الموالين البدو بقبيلة بني بو حسن . ومنهم قبيلة آل عمرو الصغيرة جدا التي لها بدورها صلات مع الحجريين وآل وهيبة .

بنى خَرُوص

خَروصى

قبيـــــلة كبـــــيرة

إباضـــــــــــية

غافـــــــرية

حضرية (وفيها بعض البـدو)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

تعـد قبيلة بنى خروص جـديرة بالذكر لأنها قدمت لامامة عمان عددا غير قليل من الأئمة . وقد انتخب أول امام من هذه القبيلة فى القرن الثانى الهجرى الموافق للقرن الثامن الميلادى ، وكان آخرهم ، وهو سالم ابن راشد الخروصى ، السلف المباشر للامام الحالى . وفوق هذا فالمستفاد من أنباء عمان أن من المحتمل أن ينتخب أحد أبناء سالم بن راشد اماما بعد وفاة الامام الحالى .

رئيس بنى خروص الآن هو ناصر بن راشد ، أخو الامام الراحل . ويقال ان شخصية ناصر الصعبة المراس كانت سببا من الأسباب التى جعلت الناخبين يتجهون الى أسرة الخليلى بعد مقتل سالم فى عام ١٣٣٨ هـ الموافق ١٩٢٠ م .

بنى خروص قوم جبليون . وثمة واد من الأودية الكبيرة التى تتجه من الحجر صوب البحر يحمل اسمهم . وفيه تتجمع قراهم . ومما يضفى شأنا كبيرا على هؤلاء القوم أن عددا منهم يسكنون بلدتى نخل والرستاق ؛ وهما معقلان من معاقل الامامة على الجانب المطل على البحر من الجبال .

الدروع

دِزعى

قبيـــــلة كبـــــيرة

عقيدتها الدينية غير معروفة على وجه الدقة (١)

غافـــــــرية

بدوية (وفيها عدد قليل من المتحضرين)

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا غير تام

ان قبيلة الدروع هى القبيلة البدوية الرئيسية التى تعيش على طول الطرف الغربى لأراضى الامامة • وان ديرتهـا الشاسعة التى تمتد بين أراضى آل بوشامس فى الشمال وأراضى بدو الجنبة وآل وهيبة فى الشرق لهى منطقة من سهول المراعى والأودية والتلال . وتقع مناطق المدن والقرى العمانية على أحد جانبيها ويقع الربع الخالى على الجانب الآخر • ومع أن الدروع يعيشون بالقرب من الصحراء الكبيرة ومع أنهم قد يفوقون جيرانهم آل وهيبة فى كثرة ترحالهم : فانهم يميلون الى تجنب الرمال المتكاثفة التى تقدم للمغامرة فيها قبائل هى دونهم عددا •

---

(١) المرجح ان القبيلة خليط من الاباضيين والسنيين •

والدروع والجنبة وآل وهيبة هي أقوى القبائل البدوية فى الامامة . والقبيلتـــان الأوليـــان ، وهما غافريتـــان ، على تحالف من قديم الزمن فيما بينهما وعلى عداوة مع آل وهيبة النهاوية . وان كانت الأيام الأخيرة لم تشهد سفك دم أو شهدته نادرا .

وبلدة تنعم الصغيرة التى تقع على مسافة غير بعيدة جنوبى عبرى هى عاصمة قبـــيلة الدروع . ومع أن معظم الدروع بدو ، فان للقبيلة بعض القرى الصغيرة كما يملك بعض رجالها عددا ضخما من النخيل ولا سيما فى عبرى وفى واحـــة السُليف القريبة منها . أما سوق عبرى ، فهى السوق الرئيسية التى يكثر الدروع من اختلافهم اليها .

يتولى الدروع مهنة غير مألوفة عادة عند البدو ، وهى أنهم يستخرجون الملح من مملحات كبيرة تقع عند الطرف الشرقى للربع الخالى ، ثم يبيعونه فى مدن عمان مثل مدينتى عبرى ونزوى . ويقول ثسيجر ان مملحة من المملحات ، وهى قارة الملح ، « وهبها فيصل بن تركى لسلطان بن مطر الدرعى ، ولا تزال هذه المملحة ملكا خاصا لشيخ الدروع ، ولا يستطاع استثمارها الا بموافقته » . ومما يؤسف له أن ثسيجر أخفق فى أن يعين اذا ما كان فيصل بن تركى هذا هو أمير نجد الذى حمل هذا الاسم فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافقـــة لأواسط القرن التاسع عشر الميلادى ، أم هو سلطان مسقط الذى حمل عين الاسم فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى الموافقة لأواخر القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن العشرين [1] .

---

(١) ولكنه يلوح ان ثسيجر يقصد سلطان مسقط المذكور .

وفضلا عن الملح يستخرج الدروع مقادير صغيرة من الكبريت من تل يسمى قارة الكبريت يقع فى نفس المنطقة ؛ ويستخدم الكبريت بوجه خاص فى علاج داء الجرب فى الابل ؛ ومن المحتمل أيضا أنه يستخدم لتعبئة البـنادق البدائية فى الصحارى •

تعد ابل الدروع التى ترعى عند أطراف الربع الخالى من خير الابل بعمان ؛ وهذه بدورها تعد ابلا ممتازة فى شبه الجزيرة العربية كلها • ويباع الكثير من ابل الدروع فى أسواق الداخل •

لا يعرف اذا كانت هناك صلة ما بين الدروع وآل درع وهم من أقرباء آل سعود وقد كانوا يقيمون فى وادى حنيفة فى نجد ، أم أن هناك مجرد تشابه بين الاسمين • والواقع أن آل درع هم الذين أطلقوا على الدرعية اسمها . وكانت الدرعية العاصمة الأولى للموحدين فى الجزيرة العربية ، وبذلك كانت سابقة لمدينة الرياض الحديثة •

اشتهر الدروع بأنهم غزاة شجعان مقاديم ومقاتلون أشداء • ويقال انهم خاضـوا فيما سلف كل فتنة قامت بهـا القبائل فى هذا الجزء من عمان • ويقول ثسيجر « انهم اشتهروا كذلك بالخيانة ••• فيروى البدو الآخرون أنهم كثيرا ما يقتلون زملاء هم فى السفر ثم يزعمون بعد ذلك أنهم ماتوا بلدغة حية » • ويبدو هذا الاتهام مبالغا فيه شيئا ما •

ويقول ثسيجر ان على بن هلال من فخذ المحاميد أصبح أخيرا الرئيس الأعلى للدروع ، وان كان الرئيس السابق محمد بن سعيد تينه ، وهو بدوى ذو شهرة كبيرة ، لا يزال على قيد الحياة • ويتضح مما رآه ثسيجر ببلاد الدروع أن المحاميد لم تعد لهم سيطرة فعالة على القبيلة كلها ، ذلك لأن هناك من يتحدى سلطتهم ولا سيما من فخذ المقاردة الأقوياء • وليس من المعروف هل تدخل ممثلوا حكومة الامام فى هذا الأمر أم لا •

العِفار

قبيلة صغيرة غريبة من السنيين : وتعيش جماعة منها فى بلاد الدروع ، ويبلغ عدد الذكور هنا نحو أربعين لا أكثر . ويوجه بعض العرب اليهم تقريعا حيث يتهمونهم بأكل الرمم . ولكن العرب الذين يعرفونهم معرفة جيدة يقولون ان هذه التهمة ليس لها ما يسوغها . وهم هناوية يعيشون بين الدروع الغافرية ويتمتعون بامتياز مفيد اذ يسمح لهم بالترحال بغير قيد أو شرط مع كل من يصحبهم سواء من الغافرية أو من الهناوية . أما سائر رجال العفار فانهم يوجدون خارج أراضى الأمامة .

آل خُمَيّس

قبيلة صغيرة من البدو تعيش فى بلاد الدروع وتتحالف معهم أو لعلها فى منزلة قبيلة موالية لهم . وهى من الغافرية ، أسوة بالدروع .

بني رواحة

رويحى

قبيلة كبيرة

إباضية

هناوية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

قبيلة بنى رواحة هى القبيلة التى ينتسب اليها الامام الحالى محمد ابن عبد الله الخليلى • ولا يعد الامام ، على أية حال ، رئيسا للقبيلة بالمعنى المألوف لأن مركزه يسمو به فوق الآراء السائدة عن سياسة القبائل •

وهذه هى احدى القبائل الكبيرة عددا فى الداخل وتحتل منطقة من أهم المناطق الاستراتيجية • فالجزء الأعلى من العقبة الرئيسية التى تمتد من عمان الوسطى الى الساحل ، فى قبضة هذه القبيلة وتحمل اسمها ؛ وادى بنى رواحة[1] • ويقيم معظم رجال القبيلة فى قرى الوادى العديدة •

وبنى رواحة بوصفهم حضرا يعملون أكثر ما يعملون فى الزراعة والتجارة والنقل . ويملكون قدرا كبيرا من النخيل وعددا قليلا من الابل • وتتألف ماشيتهم فى الأغلب من البقر والحمير والغنم •

---

(١) يعرف الجزء الأسفل من هذه العقبة باسم وادى سمايل •

فى خلال أواخر القرن الثالث عشر الهجرى وأوائل القرن الرابع عشر الموافقة للنصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى . ناصبت قبيلة بنى رواحة سلطان مسقط العداء وبخاصة فى عهد امامة عزان بن قيس عندما أصبح سعيد بن خلفان الخليلى . وهو من أبناء هذه القبيلة . قوة من قوى الدولة . وقيل ان السلطان . حوالى عام ١٣٢٣ هـ أى فى ١٩٠٥ م . استمال القبيلة الى جانبه بأن دفع لها مبلغا من المال . غير أنه لم يمض الا زمن قصير حتى عادت القبيلة الى معارضتها القديمة له .

وبنى رواحة ما فتئوا : كما كانوا من زمن طويل . أعداء لبنى ريام ، وهم رجال قبيلة سليمان بن حمير أمير الجبل الأخضر : غير أن الخصومة بين القبيلتين أمكن كبح جماحها بعد بعث الامامة فى عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م .

بني ريام

ريامي

قبيلة كبيرة

إباضية

غافرية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

لما كان بنى ريام موالين لزعيمهم أمير الجبل الأخضر ، فانهم يحتلون منزلة لها شأنها الكبير فى الامامة وفى أنحاء جبال عمان كلها . وقد ذكرنا نشاط رجال هذه القبيلة بوصفهم حماة للامامة فى القسم التاريخى من هذا الكتاب وفى القسم المخصص لسليمان بن حمير الرئيس الحالى .

وتنوف عاصمة سليمان ، هى عاصمة قبيلة بنى ريام كذلك . والمناطق الجبلية التى تحتلها هذه القبيلة قريبة من أراضى قبيلة بنى رواحة الهناوية ، وهى المنافسة القديمة لبنى ريام ، على الرغم من أن القبيلتين أصبحتا الآن تحت سيطرة الامامة . ويسكن رجال بنى ريام العلاية فى نزوى ، عاصمة الامامة ؛ ويعيشون كذلك فى جهات أخرى من عمان الوسطى .

يتمتع بنى ريام فى المناطق الواقعة شمال غربى بلادهم وغربيها بنفوذ أقوى من النفوذ الذى يتمتعون به فى المناطق الواقعة جنوب شرقيها ، ذلك لأن الأولى تحكمها الغافرية والثانية تحكمها الهناوية .

وفى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى الموافقة على وجه التقريب لمستهل القرن العشرين الميلادى وصف مصدر بريطانى بنى ريام بأنهم « قبيلة غريبـة الأطوار بعض الشيء . وهم جميعـا أغنيـاء الى حد ما مسالمون . أما الذين يعيشون فى الجبـال فمكروهون لأنهم مشاكسون كسالى فجرة بخلاء . وقد يكون مرد الحملة عليهم فى بعض الأحيان الى تجاهلهم المبادىء الاسلامية ؛ فهم يشربون نبيذا يصنعونه بأنفسهم من كروم يغرسونها فى موطنهم . وقد وصفوا بأنهم عجاف يشيخون قبل الأوان ؛ وتنقصهم الحيوية والقوة اللتان يستمتع بهما عادة سكان الجبال ، والنساء فى هذه القبيلة سافرات ولهن فى بعض الأحايين وجوه صافية البشرة متوردتها . »

قد يكون هذا الوصف فى حاجة الى مراجعة دقيقة ، فالقبيلة تميل الى الروح الحربية أكثر مما هو واضح هنا . ويبدو أن الأقوال المتعلقة بضعف رجالها وتكاسلهم ليست كلها صحيحة .

آل بوسعيد

سعيدى أو بوسعيدى

قبيلة متوسطة (فى الامامة)

إباضـــــــــية

هنـــــــاوية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

آل بو سعيد قبيلة هاجرت من اليمن الى عمان فى العصور القديمة . وربما بقيت القبيلة بجملتها تعيش الى يومنا هذا مغمورة خاملة الذكر وراء الجبال لولا أن أحد رجالها ، وقد ولد فى أدم منذ نحو قرنين ونصف قرن ، أصبح لحسن حظه وبحكم ما يستمتع به من مزايا مؤسسا للأسرة الجديدة من سلاطين مسقط . أما اليوم فانها أكثر قبائل عمان شهرة فى البلاد الأجنبية ، غير أن هذه الشهرة لا تشمل أولئك الرجال الذين لم يعبروا الجبال اطلاقا .

مافتئت أدم ، وهى مسقط رأس أحمد بن سعيد جد أسرة السلاطين ، مركزا من مراكز القبيلة الرئيسية فى عمان الوسطى . ويتقاسم آل بو سعيد ملكية البلدة مع قبيلة المحاريق ، وليس بينهما حب مفقود .

وللمحاريق عادة ؛ وهم مسيطرون على حصن أدم . اليد العليا فى المنافسة •

يسكن بعض رجال آل بو سعيد نزوى . عاصمة الامامة . فى حين أن غيرهم قد انتقل الى بعض أودية الحجر • وليس ثمة الا جماعة صغيرة من القبيلة قصدت الى مسقط والبـاطنة •

واذا استثنينا صلة الدم . فان العلاقات التى تربط سلاطين مسقط ورجال قبيلتهم فى الداخل انفصمت انفصاما تاما • وثمة حقيقة تقابل بنوع من التهكم مؤداها أن السلاطين رغم أنهم قد انحدروا من سلالة هناوية يرون حتما عليهم أن يعتـمدوا أول ما يعتمدون على تأييد الغـافرية للاحتفـاظ بحكمهم ، وأنهم على الرغم من أنهم من سلالة اباضية ؛ فان الامامة الاباضية هى التى أثارت روح التحدى الخطير لسلطتهم •

بنى شكيل

شكيلى

قبيـــــلة متوســـــطة

إباضــــــــــية

غافـــــرية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

قبيلة بنى شكيل ظلت زمنا طويلا ركنا من أركان سلطة الامامة فى عمان الوسطى ، المركز الجغرافى والدينى للأراضى الاباضية • وسيفم هى عاصمة بنى شكيل ، وثمة عدد من القرى الأخرى فى عمان الوسطى يسكنها كلها أو بعضها ، رجال هذه القبيلة •

العَبْرِيّين

عَبْرِى

قبيلة متوســـــطة

إباضية (و بعض أفرادها سنيون)

غافـــــرية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

ان قبيلة العبريين هى من القبائل ذات النفوذ فى منطقة الحدود عند الطرف الغربى للامامة . وفى هذه المنطقة يشترك العبريين مع البلوش المستقلين فى الظاهرة فى ملكية بلدة العراقى فى أعلى الوادى من عبرى .

ومع أنه قد يبدو أن اسم العبريين مرتبط باسم مدينة عبرى الهامة الواقعة على الحدود ، ومع أن القبيلة تقيم على مسافة غير بعيدة عن هذه المدينة ، فليس ثمة رابطة وثيقة فى الوقت الحاضر بين القبيلة والمدينة . والغريب أن كلمة « عبرى » لها معنى « يهودى » بالعربية ، ولكن هذه بلاريب مصادفة مجردة لأنه ليس هناك ما يشير الى أن القبيلة قد تكون من أصل يهودى .

ومع أن معظم رجال القبيلة من الاباضيين ، فان بعضهم على ما يقال من أهل السنة • وقد يكون هذا صحيحا بسبب موقع القبيلة فى الرقعة التى يقـل فيها الاباضيون الأقوياء بعمـان الوسطى رويدا رويدا أمام السنيين بالظاهرة •

العوامر

عامري

جماعة متوسطة (فى الامامة)

إباضـــــــــية

هنـــــــاوية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

تنقسم قبيلة العوامر الى ثلاث جماعات . هى الى حد كبير معزولة بعضها عن بعض : (١) الجماعة الجنوبية التى تقيم جنوبى الربع الخالى ، (٢) والجماعة الوسطى وقوامها بدو يعيشون فى ديرة آل بوشامس غربى الظاهرة ويعـــدون أنفسهم رعايا لآل ســـعود ، (٣) والجماعة الشرقية وهى حضرية تعيش فى عمان الوسطى وفى الشرقية وفى الباطنة . ولن يتناول هذا البحث سوى رجال الجماعة الثالثة الذين يعيشون فى عمان الوسطى وفى الشرقية . أما الذين يقطنون فى الباطنة فيبدو أنهم موالون لسلطان مسقط .

والعوامر فى عمان الوسطى الذين تقع قراهم على مسافة غير بعيـــدة من نزوى والعوامر فى الشرقية ، هم بلا ريب طلائع مهاجرين من الجنوب جاءوا الى ديرتهم الحالية منـــذ عهد بعيد حتى لقد اندمجوا فيها الآن

اندماجا تاما ، وانفصلوا الى حد كبير عن الجماعتين الأخريين لقبيلتهم • وقد تخلت هذه الطلائع عن أساليبها البدوية ، واعتنقت الاباضية ، وغدت ولا فرق بينها وبين جيرانها فى معظم الاحوال •

ولم يهتد الى دليل يدل على أن صلات جماعة العــوامر الوسطى بالمملكة العربية السعودية كان لهــا تأثير ما فى أفراد الجماعة الشرقية ، وذلك لأن بقــاء الجماعة الوسطى بدوية سنية أدى الى عــدم تشجيع الاتصال الوثيق مع أقربائهم النائين فى عمان •

المحاريق

محروقى

قبيلة متوسطة

إباضية

غافرية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

عاصمة المحاريق هى بلدة أدم ، يشاركهم فيها عدد من آل بو سعيد وهى القبيلة التى أنجبت سلاطين مسقط . وكانت ثمة عداوة شديدة بين العنصرين فى البلدة فيما مضى ، وبما أن المحاريق يملكون الحصن فقد دانت لهم عادة السلطة العليا .

تقع أدم فى أقصى الجنوب من قرى عمان الوسطى ، وهى بهذا أقرب الى الصحراء ، ولذلك كثر تردد البدو الذين يعيشون على طول الحدود الجنوبية للامامة عليها . ومع أن البلدة تقع على بعد شاسع من البحر فانها تتصل بالساحل بطريق للقوافل تستخدم فى مرور كثير من السلع . وعند ما زار مايلز الساحل قبالة مصيرة فى عام ١٣٠١ هـ الموافق ١٨٨٣ م وجد هناك مقادير كبيرة من التمر جلبت من أدم لتصديرها عن طريق

ميناء محوت الصغير الى مسقط وزنجبار • ويحتمل أن تكون تجارة التمر هذه مستمرة حتى اليوم •

ويعيش بعض رجال المحاريق فى بلدة بهلا القديمة بعمان الوسطى وفى سناو بالشرقية •

بنى هِنا

هِناوى

قبيـــلة كبـــيرة (؟)

إباضـــــية

هنــــاوية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى الموافقة لأوائل القرن الثامن عشر الميلادى أصبح خلف القصيّر ، رئيس قبيلة بنى هنا ، زعيما لليمنية فى عمان فى نضالهم الطويل مع النزارية . واليمنية هى القبائل التى تزعم أنها من نسل عرب الجنوب ، والنزارية هى القبـائل التى تزعم أنها من نسل عرب الشمال . وبمرور الوقت حل اسم الهناوية ، المشتق من اسم قبيلة خلف ، محل اسم اليمنية ، وحل اسم الغافرية ، المشتق من اسم قبيلة بنى غافر[1] ، محـل اسم النزارية ، مع أن زعامة الفئتين انتقلت الى أيد أخرى . ومن المستحسن أن يميز دائما بين عبارة بنى هنا وعبارة هناوية بمعـناهما الخاص الذى يشير الى القبيلة وأفرادها وبين نفس

---

(١) ان قبيلة بنى غافر التى تعرف أيضا باسم الميايحة هى اليـوم احدى القبائل المستقلة فى الظاهرة . راجع ص ١٩١ .

العبارتين بمعناهما العام الذى يشير الى الفئة كلها وأفرادها ٠ ولما كانت المحافظة على هذا التمييز شيئا عسيرا ، فقد كانت النتيجة اضطرابا لا مفر منه ٠ وقد يعن لسائل أن يسأل مثلا هل صحيح أن قبيلة بنى هنا كبيرة جدا كما تقول بعض المصادر ؟ والحقيقة ان أقوالهم قد تكون متأثرة باخفاقهم فى التمييز تمييزا جليا بين القبيلة والفئة ٠ والقبيلة فى الوقت الحالى ليس لها حق مطلق فى أية مدينة أو قرية كبيرة ، وان كانت تسكن جزءا من نزوى عاصمة الامامة ، ومعظم قوتها مركز فى عمان الوسطى ٠

آل وَهِيبَة

وهيبى

قبيـــــلة كبـــــيرة

إباضـــــــية

هنـــــاوية

بدوية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

قد تعد قبيلة آل وهيبة أكبر قبائل البدو وأقواها فى الامامة ، وفى جميع بقـاع الداخل من عمان كذلك . وأفراد آل وهيبة مع أعدائهم الغافرية القدامى من الدروع والجنبة يعتبرون كل هؤلاء سادة الأراضى الواسعة الواقعة بين مناطق عمان المأهولة والصحارى الرملية الكبيرة فى شرق الجزيرة العربية . ولما كانت قبيلة آل وهيبة أنأى القبائل الثلاث شرقا ؛ فانها تشرف على حدود الامامة من ناحيتى الشرق والجنوب الشرقى .

تمتد ديرة آل وهيبة من وادى حلفين الى البطحاء فى الشرقية ؛ وتصل من ناحية الشمال الشرقى الى جوار جبال الحجر فى اتجاه البحر العربى ، ومن ناحيــة الشرق تضم مساحة فسيحة من الرمال ؛ وهى أكبر مساحة من هذا القبيل توجد فى هذه البقعة من الجزيرة العربية بين الربع الخالى

والبحر • وبمعنى آخر تنحصر هذه الديرة بين المنطقة التي تحتلها الجماعة الغربية من الجنبة وتلك التي تحتلها الجماعة الشرقية • وما فتىء رجال آل وهيبة يفضلون المكوث في ديرتهم معظم الوقت بخلاف غيرهم من رجال بعض القبائل البدوية الأخرى . فآل وهيبة ممن لا يسعون وراء آفاق جديدة . رغم أن حب التجول متأصل في دمائهم •

ولا ينفرد شيخ من شيوخ آل وهيبة بالسيادة على القبيلة كلها • وأكبر الفخوذ شأنا في القبيلة فخذ الجحاحيف ؛ وهم تحت امرة سعيد ابن راشد . وفخذ آل بو غفيلة . وهم تحت امرة سلطان بن منصور • ويقول الجحاحيف أنفسهم انهم من أصل أجنبي : حيث أنهم ينحدرون من فخذ بدوى من فخوذ آل بو سعيد . ولهذا فلهم صلة قرابة بعيدة مع سلاطين مسقط •

وقد درج رؤساء آل وهيبة على أن يقضوا شطرا من العام في قرى الشرقية . فيقصد شيوخ الجحاحيف الى السديرة . ويقصد شيوخ آل بو غفيلة الى الأفلاج • ويقضى هؤلاء الرؤساء بقية الوقت في الخلاء مع شعبهم •

وللقبيلة سمعة طيبة لما اتصف به رجالها من خلق كريم وخلال أصيلة• ومنذ قرن ألفاهم الدكتور كارتر « أحسن منظرا وأكثر مرحا من الجنبة » • ويقول تسيجر « انهم مشهورون بكرم ضيافتهم ••• وقد وجدتهم بلا ريب شعبا جذابا » •

والابل التي يربيها آل وهيبة مشهورة بسرعتها ومزاياها الحسنة ، والقبيلة غنية كذلك بما تملك من الغنم والحمير • ويختلف رجال آل وهيبة عن جيرانهم من الحجريين والحرث والحبوس اذ لا يملكون الا خيولا قليلة وماشية قليلة ، وقد لا يملكون شيئا منها •

تذكر الكتب العربية الخاصة بتاريخ عمان أن قبيلة آل وهيبة فى خلال أواسط القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى قد وقفت مرات عديدة الى جانب حكام مسقط فى وجه موحدى نجد ؛ وكان من بين أسباب هذا أن بنى بو على . وهم من الغافرية فى جعلان ممن احتضنوا فكرة التوحيد . كانوا أعداء قدامى لآل وهيبة .

فى عام ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨٦٥ م تدخل الموحدون ؛ وقد كانوا يخرجون من قاعدتهم فى البريمى ؛ فى الشئون الداخلية لآل وهيبة ؛ فأيدوا ترشيح أحد الطامعين فى الظفر بزعامة القبيلة . وزحف الموحدون فى تدخلهم صوب الجنوب الشرقى لغزو الشرقية ثم صوب الساحل لنهب مدينة صور .

وعند ما قامت دعائم امامة عزان بن قيس فى عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م قدم آل وهيبة ولاءهم للدولة الجديدة فترة وجيزة من الزمن . وقد أقنع السلطان السابق سالم بن ثوينى معظم رجال القبيلة بالانضمام اليه فى الهجوم الذى دبره على الامامة . ومنذ ذلك الحين ما فتىء الامام عزان يعد آل وهيبة من بين خصومه باستثناء رئيس من رؤساء الجحاحيف ظل مواليا له . واذ بدأت الامامة تنهار ، ازدادت حماسة رجال آل وهيبة فى الحملة عليها لدرجة أنهم لجأوا الى الاستعانة بتأييد منافسيهم الموحدين من بنى بو على .

وفى عام ١٢٩١ هـ الموافق ١٨٧٤ م انضم أحد رؤساء الجحاحيف الى معية السلطان تركى بن سعيد فى مسقط ؛ ولما اكتشف السلطان أن هذا البدوى من الشرق يتآمر عليه مع بعض زعماء الهناوية زج به فى

السجن ، وهــذه آخر مرة ، فيما نعلم ، ارتبط فيها زعيم من زعماء القبيلة بأى سلطان من السلاطين •

وثمة رجل ذو شــهرة من آل وهيبة فى عهد السلطان تركى هو حمد ابن حميد بن خليفين • ويعــد نسله اليوم من الشيوخ الكبار من آل بو غفيلة • وما فتىء عرب عمان يروون روايات ويرددونهــا عن أعمال ابن خليفين • وقد أقام فى قلعة منيعة فى السديرة وجعل من اسمه كنية لكرم الضيافة •

والمقول فى الآونة الحاضرة ان قبيلة آل وهيبة تنعطف بعض الشىء الى سلطان مسقط على الرغم من أنه ليس ثمة دليل على أن القبيلة ترغب فى أن تعيش تحت حكمه أو حكم ولاته •

كانت القبيلة فيما مضى على علاقات ودية مع حكام أبو ظبى وقد اعتاد ممثلوها أن يقصدوا الى أبو ظبى بين الفينة والفينة ليتلقوا الهدايا ، ويقال ان هذه الصلة ما انفكت قائمة •

كذلك لم تكن قليلة الزيارات من هذا القبيل الى الرياض • ويحدثنا تسيجر عن رحلة قام بهــا حمود بن سعيد ، نجل رئيس الجحاحيف ، الى الرياض فى شتاء عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م « ليبيع ابلا وليؤدى السلام على ابن سعود » وكانت بعض الابل تقدم كذلك هدايا للأسرة الحاكمة فى المملكة العربية السعودية • وقد أصيب عدد كبير من أصحاب حمود بالحمى فى طريق عودتهم ومات منهم أحد عشر رجلا •

آل عَمْرو

قد ورد ذكر هذه القبيلة الصغيرة جدا فى البابين الخاصين بالحجريين وبنى بو حسن ، ولها علاقات أيضا مع آل وهيبة فبعض رجالها يهيمون فى الرمال التى تقع فى ديرة آل وهيبة •

الفزارى

تعد هذه القبيلة البدوية الصغيرة موالية لآل وهيبة ، ورجالها فى هذه البقاع اباضيون وهناوية • ويعيش بعض رجال القبيلة الأخر حياة حضرية فى الباطنة . حيث لا يخضعون لسيطرة الامامة • ويقال ان رجال آل وهيبة يرفضون أن يكون ثمة تزاوج بينهم وبين الفزارى • وفى هذا دلالة على أن الفزارى دونهم فى المنزلة الاجتماعية •

الحِكْمان

يبدو أن لبعض رجال هذه القبيلة . وقد تكلمنا عنها فى حديثنا عن الجنبة ، علاقات فى الآونة الحاضرة بآل وهيبة • ويميل رجال الحكمان ، من المرتبطين بآل وهيبة . الى التحول من فئة الغافرية الى الهناوية • ويقال ان رجال آل وهيبة يأبون مصاهرة الحكمان ، وبهذا يهبط هؤلاء الى عين المنزلة الاجتماعية المنخفضة التى هبط اليها الفزارى •

آل بوعيسى

ان الروابط التى تربط هذه القبيلة البدوية الصغيرة بآل وهيبة تشبه تلك التى تربط آل عمرو بآل وهيبة • ويقيم آل بو عيسى فى ذات المنطقة الرملية التى يقيم فيها آل عمرو • ورجال آل بو عيسى هناوية •

اليَعَاقيبُ

يَعْقوبي

قبيلة متوسطة

عقيدتها الدينية غير معروفة على وجه الدقة (١)

غافـــــــرية

حضرية

خاضعة لسيطرة الامامة خضوعا تاما

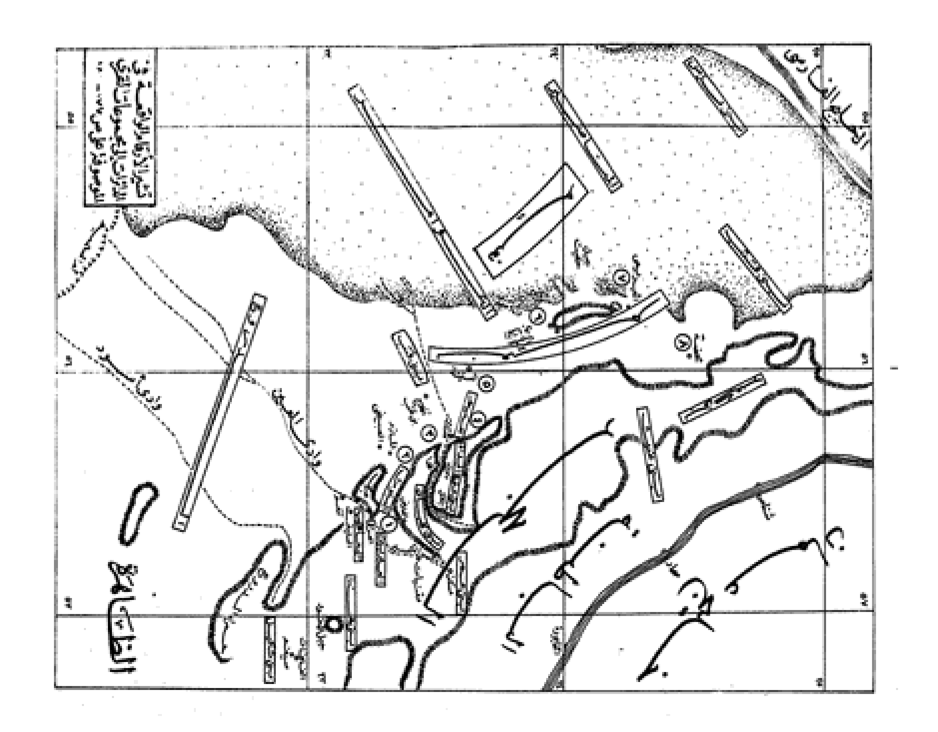
قبيلة اليعاقيب هي العنصر المتحكم في مدينـــة عبرى الواقعة عند الحدود وهي آخر مدينة في الامامة يلقاها المسافر شمالا بغرب في اتجاه البريمى • ويقطن بعض رجال القبيلة كذلك في بعض القرى المجــاورة • ومن بين جيران اليعاقيب العبريين الغافرية وهم من قبــائل الامامة ، والبلوش الهناوية وهم من القبائل المستقلة في الظاهرة •

ومع اختلاف الروايات في عقيدة اليعاقيب الدينية ، فان من المحتمل أن يدين بعضـــهم تحت تأثير الامامة بالاباضية ؛ بينما يؤمن بعضـــهم بالمبادىء الدينية الخاصة بالسنيين المستقلين من أهل الظاهرة •

---

(١) المرجح أن القبيلة خليط من الاباضيين والسنيين •

الظاهرة



أضف إلى السلة

الظاهرة

الى الشمال الغربى من الامامة والجنوب الشرقى من ساحل الصلح البحرى يتألف داخل عمان من الظاهرة أو الأرض المرتفعة وهى تختلف اسما وحقيقة عن الباطنة أو الأرض المنخفضة التى تسير بمحاذاة ساحل خليج عمان شرقى سلسلة جبال الحجر • ففى الشمال تصل الظاهرة الى جوار شبه الجزيرة المعروف باسم روس الجبال وتنحدر حـدودها فى الجنوب الى تلال الحجر المتطرفة ومجارى المياه المنسابة الى بلقع الربع الخالى • وأما الى الغرب من الظاهرة فلن تجد سوى الفلوات الرملية الخاوية . والى الشرق يقوم حاجز جبـال الحجر الطويل الشـديد الانحدار سدا منيعا لهذه المنطقة ، ولا تخترقه سوى مخارم هنا أو هناك فى الجبال تيسر اجتياز المعـابر الوعرة الى الباطنة والموانى التى على البحر الخارجى •

وليس ثمة حدود معترف بها لمنطقة الظاهرة أو للأجزاء التى تتألف منها • حتى اذا نظـرت اليها من الناحية الجغرافية المجردة ، وجدت مشقة فى تعيين حدود للمنطقة • فمثلا ليس فى وسع أحد أن يقول قولا فاصلا فيما اذا كانت تنتهى الظاهرة عند الجنوب الشرقى فى جوار عبرى ، وهى أبعد مراكز الامامة الادارية فى هذه الجهة ؛ أم تمتد وراء عبرى الى جبل الكور والأرض غير المستوية المعـروفة باسم حمراء الدروع ، وكلاهما أى جبل الكور وحمراء الدروع قد يعدان مجتمعين الطرف الغربى لعمان الوسطى ؛ وأيسر لنا من أجل أغراض هذا البحث أن تعد الظاهرة ممتدة الى جوار عبرى ووادى العين وحسب ؛ ووادى العين

هو الامتداد الغربى الجنــوبى للوادى الذى تقع فيه عبرى والقرى التى تتبعها .

ومع أن الظاهرة ليست مزدحمة بالسكان ولم تكشف فيها موارد ثروة طبيعية كبيرة . فانها تستحق أن تعد بين المنــاطق ذات الشأن فى الجزيرة العربية بحكم موقعها الاستراتيجى . فهنا أو فى هذه الجيرة يلتقى نفوذ المملكة العربية السعودية أو يدنو من نفوذ دول ساحل الصلح البحرى وسلطنة مسقط وامامة عمان ، ولكل منها شىء من نفوذ فى البلاد التى تجاور الأرض الخاضعة لسيطرتها خضوعا تاما .

وقد كانت الظاهرة هى الباب الذى دخل منه موحدو نجد ، أسلاف الحكومة العربية السعودية الحاضرة ، الى عمان فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة لطلائع القرن التاسع عشر الميــلادى ، ولم تزل العلاقة قائمة بين الموحدين والظاهرة منذ ذلك التاريخ . أما حكام أبو ظبى فقد كان لهم منذ زمن طويل موطىء قدم فى قرى البريمى الواقعة فى الظاهرة وسوف ترى فيما يلى من المعلومات أن الصلات بين أماكن أخرى على ساحل الصلح البحرى وبين الظاهرة لم تكن منعدمة . فيقال ان سلطان مسقط يدعى لنفسه حقا فى أجزاء كبيرة من الظاهرة ، ان لم يدع لنفسه حقا فى المنطقة كلها . ومن المعروف أنه بذل فى السنوات الأخيرة مساعى لتعزيز ادعاءاته بتوسيع نطاق نفوذه توسيعا فعالا . وفى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة على وجه التقريب للنصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى وضعت امامة عمــان يدها على الظاهرة واحتفظت بها زمنا قصيرا ، وكادت الامامة الجديدة تفعل ذلك مرة أخرى فى عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م .

ويحيط بالظاهرة دول تهتم بشئونها ولكنها ظلت الى حد ما حرة لم تخضع لسيطرة خارجية منذ أن احتلتها قوات الامامة احتلالا عابرا

قبل نحو قرن من الزمان . بيد أن أهل الظاهرة لم يتعلموا الانتفاع بحريتهم تماما . فبدلا من أن يتحدوا لينشئوا حكومة مركزية تحافظ على الأمن وتشجع فنون السلام تمادوا فى ضغائنهم القديمة ونزعاتهم الحديثة حتى صارت المنطقة مقسمة أقساما صغيرة يحكم كل منها سيد صغير أو شيخ من شيوخ القبائل . وقد كتب الرحالة البريطانى ولفرد تسيجر الذى يعرف هذه المنطقة معرفة وثيقة فوصف حالتها الحاضرة وصفا جليا فقال :

فى كل مكان فى عمان الشمالية ترى الشيوخ الذين يغار بعضهم من بعض أو يعادى بعضهم بعضا . وهم يعتمدون فى الاحتفاظ بمنزلتهم على تأييد البدو وهو تأييد متقلب . وهم ينافسون بعضهم بعضا للظفر بتأييد رجال القبائل بالاغداق عليهم من ضيافتهم ومنحهم . وليس بين هؤلاء من هو مستعد للاعتراف بسلطة أعلى من سلطته ؛ وليس بينهم من هو قادر على أن يفرض سلطانه على البدو ؛ بل ليس بينهم من يجرؤ على أن يحاول ذلك خشية أن يفقد تأييدهم متى اشتدت حاجته الى ذلك التأييد . ونتيجة ذلك أن البلاد ملأى بالخارجين على القانون الذين لا يخشون عقابا سوى عقاب ثأر الدم واقتصاص أعدائهم من رجال القبائل... ومن وراء هذه الأحقاد والضغائن نجد النزاع القديم بين القبائل التى من أصل يمنى والقبائل التى من أصل نزارى : وقد ظهر هذان الفريقان اليوم الى حد بعيد فى فئتى الهناوية والغافرية ... هذا النزاع الذى مزق عمان خلال قرون وحال دون قيام حكومة ذات سلطان فى الظاهرة .

قرى الظاهرة

توجد قرى الظاهرة على الأغلب فى مجموعات ، فالحياة غير مأمونة ولا تستطيع قرية منفصلة أن تعيش مطمئنة • وقد تتألف المجموعة من قرى متشابكة على سهل منبسط ، أو على أرض مستوية على مقربة من جبل . أو قد تكون سلسلة من القرى بطول واد متداخل بين ثنايا جبال الحجر • ولجميع العناصر التى تتألف منها مجموعة القرى حاكم واحد فى بعض الحالات ؛ وفى حالات أخرى تكون كل قرية مستقلة بنفسها . وفى حالات نادرة يكون السلطان موزعا فى داخل قرية واحدة أو أكثر من القرى • وبعض مجموعات القرى تسكنها قبيلة واحدة . بينما بعضها تسكنها عناصر من أربع أو خمس من القبائل المختلفة المستقرة فى داخل حدودها • وسنعالج هنا المجموعات الثمانى الرئيسية للقرى فى منطقة الظاهرة[1] •

---

(١) هذه القرى تحمل أرقاما من ١ الى ٨ على خريطة الظاهرة المرفقة بهذا الفصل ، وهى مرتبة وفقا للترتيب التالى •

١ — قرى وادى الكبير

ينحدر وادى الكبير من سلسلة جبال الحجر صوب الجنوب ، ثم جنوبا بغرب حتى يتداخل فى وادى العين الذى يواصل سيره الى الجنوب الغربى حتى يلتقى بالطرف الشمالى لميعاس أم السميم على أطراف الربع الخالى • ويعد هذا الوادى الطويل بصفة عامة الخط الذى يفصل أراضى امامة عمان عن الأراضى المستقلة للظاهرة • وتقع مدينة عبرى ، وهى عاصمة أحد ولاة الامام ، فى وادى الكبير بالقرب من النقطة التى يفترق الوادى فيها عن الجبال • أما القريتان اللتان تقعان دون عبرى ، وهما السليف وتنعم ، فانهما خاضعتان للامام ، على حين أن قبيلة الدروع التى تقطن فى وادى العين خاضعة بعض الخضوع لسيطرته •

وكما أن سلطة الامام لا تتجاوز مدينة عبرى الى الظاهرة ؛ فانها كذلك لا تمتد الى ما وراء عبرى تجاه أعلى وادى الكبير ، وتقع القرى المستقلة للوادى على مرأى من مقر الوالى الاباضى • وأولاها هى قرية العراقى المنقسمة بين البلوش والعبريين الذين يعيشون فى حالة صلح قلق ان لم يكن بينهم نزاع • ولا يعترف البلوش ، وهم من السنيين ؛ بالامام حاكما لهم • أما القسم الذى يعيشون فيه فى القرية فينبغى اعتبـاره مستقلا ، ومن ناحيـة أخرى نرى العـبريين ؛ وبعضهم من الاباضيين ، موالين للامام ولذلك فان القسم الذى يعيشون فيه فى العراقى موطىء القدم الشمالى المتطرف للامامة فى وادى الكبير •

واذا تابعنا من العراقى مجرى الوادى الصاعد ، نصادف أراضى المايحة أو بنى غافر الذين يحتلون قصر العينين المشهور وكذلك قرية

الدريز • ومعقل قوة المبايحة هو الى الجانب الآخر للحجر فى وادى بنى غافر الذى يتدرج هابطا الى خليج عمان • والدريز هى عاصمة تلك العناصر التى تعيش على الناحية المواجهة للظاهرة من الجبال •

والى شمال أرض المبايحة تقع قبيلة بنى كلبان الجبلية الشـــديدة المراس . وأهم قراها هى مقنيات والعارض ومسكن وتقع جميعا فى وادى الكبير أو فى الأودية المجاورة له • ومقنيات هى عاصمة قبيلة بنى كلبان ، فى حين أن بلدة مسكن التى تقع بالقرب من رأس وادى الكبير تعد أقصى ما تبلغه القبيلة فى امتدادها شمالا • وتقع وراء مسكن أراضى قبيلة بنى عمر الاباضية ، وهى قريبة جدا من الباطنة بحيث لا يمكن اعتبارها تابعة للظاهرة •

٢ – قرى البلوش

لقد ذكرنا آنفا أن البلوش يملكون جزءا من قرية العراقى فى وادى الكبير . وهم يملكون كذلك ثلاث قرى تقع فى الظاهرة ، وهى المازم والصبيخى ومشارب . وجميعها تقع بالتقريب شمال غربى عبرى • ويقول ثسيجر فى وصف رحلته عبر هــذه الأراضى فى عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م « ووراء عبرى ندخل أراضى البلوش وبنى قتب الجنوبيين وآ بوشامس . وهى قبائل لا تعترف بحكم الامام • وكان من العسير التكهن بما ستقوم به اذا درت بوصولى • فان كشف الزيت على ساحل الصلح البحرى[١] أثار مطامع القبائل المجاورة وشكوكها . فصــارت شديد الغيرة على حقوقها • أما وهى مشغولة الآن بالدسائس لزيادة مطالبها الاقليمية أو للمحافظة عليها ، فانها ليست فى الوقت الحــالى موافقة الا على سياسة استبعاد جميع الأوربيين من أرضها » • والمازم هى عاصمة البلوش المستقرين فى هذه القرى الثلاث ، غير انها ليست بحال من الأحوال عاصمة جميع البلوش فى عمان وسلطنة مسقط كما سيتضح فى الباب الخاص بالبلوش الذى يرد فيما بعد •

---

(١) لا يدل هذا القول على حقيقة الأمر اذ أن الزيت لم يكن قد اكتشف هناك فى الوقت الذى قام فيه ثسيجر برحلته •

أما ما كان فى فكر ثسيجر فهو بلا شك ازدياد نشاط شركة استثمار البترول وبخاصة فى جوار أبو ظبى ، وكان الأمل فى العثور على الزيت هو مبعث هذا النشاط •

٣ — قرى بني قتب

على بعد يسير الى الشمال الشرقى من المازم تقع القرى التى استقر فيها الحضر من بنى قتب . وهى مجموعة من القرى تعرف فى جملتها باسم أفلاج بنى قتب . وموقعها يتوسط المسافة بين قرى البلوش وقرى آل بو شامس المجتمعة من حول السنينة . ولفظ الأفلاج هو جمع فلج الكلمة المستعملة فى طول عمان وعرضها لوصف قنوات الرى الطويلة التى تحت الأرض . وقد بنيت مسايرة للطريقة المتبعة فى ايران فيجرى فيها الماء المحيى الى الحقول وبساتين النخيل التى تحيط بالقرى على العموم[١] .

وقد ذكر تسيجر أسماء خمس قرى فى أفلاج بنى قتب بعضها محرفة . على أن شهادة العرب الذين يعرفون هذه المنطقة تدل على أنه قد تكون هناك تسع قرى أو عشر بعضها صغيرة جدا . وأكبر القرى هى المعمور[٢]، وهى مقر رؤوس الجماعة الجنوبية من بنى قتب . أما جفيّف وأبو خابى فتليانها حجما على الأرجح .

---

(١) فى عمان عدد من القرى أو مجموعات منها تعرف باسم أفلاج فلان أو فلج فلان أو فليج فلان أو فليجات فلان .

(٢) ينبغى أن لا يختلط اسم هذه القرية باسم قرية المعمور التابعة للدروع حيث التقى تسيجر بسليمان بن حمير . أنظر ص ١١٥ .

٤ – قرى وادى ضنك

وادى ضنك واد من الأودية الضيقة التى تشق الجانب العربى من سلسلة جبال الحجر . وهو واد تسيل فيه المياه منطلقة من بوابة ومنجهة شيئا ما الى جنوبى الغرب نحو رمال الربع الخالى . وعند هذه البوابة تجد بلده ضنك التى أطلق اسمها على الوادى . هنا فى ضنك يقيم رجال من القسمين الكبيرين لقبيلة نعيم وهما آل بو خريبان وآل بو شامس . وميل نعيم الى آل سعود أعظم فى الغالب من ميل أية قبيلة أخرى فى الظاهرة . فالنفوذ السعودى قد يمتد بعض الشىء عبر الظاهرة كلها حتى يبلغ جبال الحجر عند هذه البلدة .

قبل خروج وادى ضنك من الجبال الى السهل تجد قريتى دوت وفدا ، وهما واقعتان فى أعالى الوادى فى سيره صوب الغرب فيكون موقعهما الى الجنوب بعض الشىء من شرقى ضنك . أما قرية دوت فتابعة لقبيلة البداه الصغيرة ؛ وهى قبيلة صارت متحضرة برغم ما يشير اليه اسمها من أنها قبيلة من قبائل البدو . أما قبيلة بنى زيد الصغيرة فتحتفظ بقرية فدا مستقلة بها .

اذا أمعنت ذهابا فى أعلى الوادى قبل أن ينعطف الى الغرب وجدت بلدة ذات شأن هى بلدة ينقل التى لم تزل منذ زمن طويل ملكا لقبيلة بنى على .

٥ ـ السينية والقرى المجاورة لها

فى السهول بين الحجر والربع الخالى تقوم مجموعة مؤلفة من خمس قرى تابعة لآل بو شامس القسم الأكبر من قسمى قبيلة نعيم فى الظاهرة وأقواهما . وتقع هذه القرى فى منتصف الطريق شمالا من أفلاج بنى قتب الى جبل حفيت أو أقل قليلا من النصف . وأكبرها هى السنينة موطن محمد بن سالمين بن رحمة من آل على . وهو أعظم زعماء آل بوشامس نفوذا . ولم يزل ابن رحمة منذ زمن طويل شديد الود لآل سعود حتى لترى رجلا من الانكليز حسن الاطلاع على شئون عمان يصفه ويصف شعبه بأنهم وهابيون . وهو وصف لا يدعيه هؤلاء الناس لأنفسهم فى العادة . وابن رحمة يزور الحين بعد الحين أعضاء آل سعود فى الحسا ونجد . بيد أنه يحتفظ فى الوقت نفسه بعلاقة طيبة مع آل بو فلاح فى أبو ظبى : فبينه وبينهم صلات زواج وقد تزوجت احدى بناته زايدا أحد أخوة حاكم أبو ظبى .

أما قريتا السنينة والهرموزى فهما قريتان قديمتان . وأما الثلاث الأخرى أى الراكى والريحانى والمشروح : فأحدث منهما عهدا . فقرية المشروح مثلا لا تزال قريبة من حياة البدو وليس فيها مبان ذات حجم يذكر ، أما قرية الراكى وهى احدى القرى الجديدة فرئيسها هو حميد ابن عبد الرحمن والد أمير الحمرية على ساحل الصلح البحرى .

٦ - حفيت والقرى المجاورة لها

هناك مجموعة أخرى من القرى تابعة لقبيلة نعيم واقعة عند الطرف الجنوبى لجبل حفيت الطويل ، وتجد فيها كما تجد فى ضنك أبناء القسمين الكبيرين من القبيلة . ورئيس قرية حفيت هو أحمد بن محمد الصلف من آل بو خريبان وهو على صلة وثيقة بصقر بن سلطان من البريمى الذى يعد أكبر رؤساء هذا القسم . أما قرية القابل - ويجب أن لا نخلط بينها وبين القابل فى الشرقية - فخاضعة لمحمد بن سالمين بن رحمة رئيس السنينة وهو أكبر شيوخ آل بو شامس . وثمة بعض القرى الصغيرة تتم بها هذه المجموعة .

٧ — قرى البريمى

تقع واحة البريمى عند الطرف الشمالى لجبل حفيت وتشغل بحكم حجمها وقيمتها الاستراتيجية مركزا خاصا فى الظاهرة ؛ وفضلا عن ذلك فان الالمام بتاريخها فى المائة والخمسين سنة الأخيرة شىء لا غنى عنه لفهم الحالة اليوم • فمن أجل ذلك يحسن أن يخصص للبريمى فصل قائم بنفسه . هو الفصل التالى •

٨ — قرى بنى كعب

اذا سرت شمالا من البريمى . دخلت أرض بنى كعب • وأبناء هذه القبيلة كثيرا ما يختلفون الى أودية الجزء الشمالى من الحجر والأرض غير المنبسطة التى تكثر فيها الآكام المنعزلة الى الغرب من سلسلة الجبال الرئيسية • والقبيلة تملك عددا من القرى الصغيرة أهمها محضة التى تقع متوسطة بين ساحل الصلح البحرى والبريمى والباطنة •

قبائل الظاهرة المستقلة

لم نعن بالتفصيل هنا الا بقبائل الظاهرة المستقلة التى تقطن فى الاراضى التى يمكن أن تعتبر متاخمة لأراضى المملكة العربية السعودية . ولا يسمح المجال لنا بأن نبذل هذه العناية نفسها للقبائل النائية التى تقيم فى الجنوب الغربى للحجر كقبائل البداه وبنى زيد وبنى على وبنى كلبان . وثمة قبائل أخرى كبنى عمر وبنى غيث : أوثق صلة بالباطنة منها بالظاهرة .

وقد سبق أن وصفنا روح الفتنة التى تتميز بها هذه القبائل المستقلة ، غير أن ثمة ناحية من أحوال هذه القبائل لها شأنها الكبير ، ولكن لا يمكن بحثها بالتفصيل لتعذر الحصول على معلومات يعول عليها بشأنها ، تلك هى ما قيل من أن حكام شرق الجزيرة العربية المجاورين يوزعون اعانات كبيرة على هذه القبائل . وقيل ان سلطان مسقط يقدم هبات سخية من هذا النوع . وعلى أية حال فقد اتفقت المصادر على أن استعداد هذه القبائل لقبول الأموال التى تمنح لها ليس معناه الرغبة فى التفريط فى أى قدر من استقلالها .

البلوش

بلوشى

قبيلة متوسطة

سنية (وفى الغالب حنبلية)

هنـــــاوية

حضرية

لقد عبر آلاف من المهاجرين البلوش المياه الضيقة التى تفصل بلادهم عن شرق الجزيرة العربية واستقروا بين العرب • ولما كان البلوش يتميزون بالجد والاجتهاد فقد مكنتهم هذه الميزة من أن يعيشوا بالتوفيق فى دورهم الجديدة ؛ ويعتقد بعض المراقبين أن البلوش سيكونون من بين العناصر ذات الأثر الملحوظ فى تقرير مصير مسقط وعمان • وكثيرا ما يلقاهم المرء فى أراضى السلطان وأراضى الامام ، فى جماعات صغيرة أحيانا وفى طوائف كبيرة أحيانا أخرى • وهم على العموم طائفتان : طائفة قدمت حديثا وطائفة استقرت فى الجزيرة العربية من زمن بعيد • وكثيرا ما يعمل القادمون الجدد كجنود مرتزقة ، وبوجه خاص فى مدن ساحل الصلح البحرى حيث ينخرط بعضهم فى خدمة الحكومة البريطانية • ويتبع البلوش الذين تتحدث عنهم هنا الطائفة الثانية ؛ طائفة المتوطنين القدامى •

وقد أقام البلوش الذين استوطنوا القسم الجنوبى الشرقى من الظاهرة زمنا طويلا فى تلك البقعة فألفوا الأساليب المحلية للحياة حتى

أصبح من المتعذر أن نميزهم عمن يجاورهم من العرب • وهم يقولون انهم من أصل عربى وكان أجدادهم رجالا من قحطان هاجروا من الجزيرة العربية الى بلوشستان منذ قرون • ويرى بعض عرب عمان أن البلوش عرب بينما يعارض بعضهم هذا الرأى •

وبالاضافة الى القرى الأربع التى سبق ذكرها ضمن قرى وادى الكبير وقرى البلوش . أى العراقى والمازم والصبيخى ومشارب ، فان للقبيلة علاقات بالغبّى وهى الآن طلل من الأطلال وكانت يوما من الأيام مدينة ذات شأن فى عمان : وبحسب أقوال العامة كانت الغبى فيما مضى مدينة زاهرة تضم سبعين مسجدا • ولقبيلتى المايحة وبنى شكيل علاقات بالغبى كذلك . ويقال ان عجز القبائل الثلاث عن الاتفاق فيما بينها على حقوقها الخاصة حال دون بعث المدينة •

ومع أن المازم تعد حاضرة هذه المنطقة البلوشية ، فان الرئيس الأكبر راشد بن سعيد من آل اسماعيل يقطن فى العراقى ، التى تعد عاصمة ثانوية نوعا ما . رغم أن البلوش لا يسيطرون على القرية كلها • ويعمل سعيد . الابن الأكبر لراشد ، نائبا عن والده فى قرى البلوش بالظاهرة • ويبدو أن سيطرة هؤلاء الرؤساء لا تمتد الى البلوش المقيمين فى مناطق أخرى من عمان أو فى أراضى سلطان مسقط ، رغم أن راشدا وابنه كليهما يستمتعان بسمعة طيبة •

قد زار سعيد بن راشد الرياض فى أواسط عام ١٣٧٠ هـ الموافقة لأوائل ١٩٥١ م ، ومن المفهوم أنه أبلغ عاهل المملكة العربية السعودية أن والده وشعبه جميعا يميلون الى الحكم السعودى • ولما كان بلوش هذه القرى حنابلة ، باستثناء فريق من الأحناف يسكنون العراقى ، فان فى هذا ما قد يفسر سر ميلهم الى آل سعود • هذا وهؤلاء البلوش كانوا فيما مضى حلفاء مقربين لآل بو فلاح حكام أبو ظبى غير ان العلاقات الودية بينهم قد فترت فى السنوات الأخيرة •

بنى قِتَب

قِتَبى

قبيـــــلة كبـــــيرة

ســـــــنية

غافـــــرية

حضرية وبدوية

تتألف قبيلة بنى قتب من جماعتين رئيسيتين متباعدتين احداهما عن الأخرى من حيث بعد المسافة ومن حيث منهاج الحياة : (١) الجماعة الشمالية وقوامها على الأغلب بدو رحل يتجولون فى الداخل على بعد يسير من ساحل الصلح البحرى . و (٢) الجماعة الجنوبية وهى مستقرة فى القرى المعروفة باسم أفلاج بنى قتب فى الجزء الجنوبى للظاهرة .

والجماعة الشمالية ، وهى تحت زعامة محمد بن على بن هويدين . تشارك واحة ذيد مع قبيلة القواسم من الشارقة ورأس الخيمة . ويقال ان هذه الجماعة كانت فيما مضى خاضعة بعض الخضوع لسيطرة حاكم الشارقة ولكن يبدو الآن أنها مستقلة استقلالا تاما . أما ديرة هـذه الجماعة فانها تمتد جنوبا بغرب صوب أراضى حاكم أبو ظبى والحدود الشمالية للمناطق التى يتنقل فيها المناصير . ولكنها الى الجنوب منعزلة عن منطقة البريمى بالديرة التى يسكنها بنى كعب .

أما الجماعة الجنوبية فيفصلها بنى كعب ونعيم عن الجماعة الشمالية . ورأسها هو محمد بن على بن ربيّع . ويبدو أن قوة القبيلة تكاد تكون موزعة بالتساوى بين الجماعتين .

بنى كَعْبْ

كَعْبى

قبيلة كبيرة

سنية (حنبلية)

غافرية

حضرية (وفيها بعض البدو الرحل)

تعد قبيلة بنى كعب من أكبر القبائل وأقواها فى المنطقة الممتدة شمالا من البريمى الى رأس مسندم عند مدخل الخليج الفارسى • ولما كانت ديرة القبيلة تشرف على الطرق التى تربط ساحل الصلح البحرى بالباطنة فقد رفع هذا من منزلة القبيلة فى شئون هذه البقعة •

اقترب الرحالة البريطانى ولستد Wellsted من أرض بنى كعب فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة للنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى ؛ ووصف رجال هذه القبيلة حينئذ بأنهم وهابيون • ويبدو محتملا أن بعضهم ، ان لم يكن كلهم ؛ كانوا قد اعتنقوا عقيدة موحدى نجد • وعلى أية حال فان القبيلة قد تعاونت مع قواد الموحدين فى عمان فى الفترة التى كانت فيها سلطة نجد قد بدأت تستقر فى البريمى• على أن زعيم بنى كعب فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة للنصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى وقع أسيرا فى أيدى رجال نجد ، ومؤدى الرواية السائدة فى القبيلة هو أن هذا الزعيم قد نقل الى نجد مصفدا بالأغلال واحتجز فيها سبع سنوات • ويقال ان شعور

المرارة الذى تحس به القبيلة حيال شعب نجد اثر هذا الحادث قد ازداد شدة فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى الموافق لأوائل القرن العشرين الميلادى • وقد وجد الضابط البريطانى اكلز هذا الشعور حيا عندما زار القبيلة منذ خمسة وعشرين عاما تقريبا • ومع هذا فان رجال بنى كعب يكنون صداقة لآل سعود فى الآونة الحاضرة أكثر من ذى قبل . فيغلب على الظن أن من ضمن أسباب ذلك عداوة القبيلة القديمة لآل بو فلاح حكام أبو ظبى وتحالفها القديم مع نعيم ؛ وهى قبيلة معروفة بموقفها الودى تجاه الأسرة المالكة فى المملكة العربية السعودية •

زعيم بنى كعب فى الآونة الحاضرة هو عبيد بن جمعة ، ويتخذ مقامه فى محضة ؛ وهى قرية فى أقصى شمال الظاهرة • أما وقد فقدت أسرة الزعيم الأسبق سالم بن ديين الكثير من نفوذها القديم ، فان سلطة ابن جمعة على القبيلة تبدو سلطة لا نزاع فيها •

الميايحة أو بني غافر
ميَّاحي أو غافري

قبيـــــلة كبـــــيرة

إباضـــــــــية

غافـــرية (؟)

حضرية

هذه القبيله هي قبيلة بني غافر الأصلية في عمان التي خلعت اسمها في القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي على فئة الغافرية . ومن ذلك الحين كسبت القبيلة سمعة تسمها بالتلون حتى سمي أفرادها بالمبايحة وهو اسم مشتق من كلمة « ميّح » بمعنى التمايل . وقد استعملنا هذا الاسم هنا لنميز القبيلة عن الفئة الكبيرة . وبعد مضي مدة من الزمن انفصل رجال هذه القبيلة عن الفئة التي نسبت اسمهم اليها ، وانضموا الى الهناوية . وتقول بعض المصادر ان المبايحة عادوا في الآونة الحاضرة الى حظيرة الغافرية غير أن مصادر أخرى تكذب هذا ، ولم نصل نحن من ناحيتنا بعد الى حقيقة الأمر . وثمة شك كذلك فيما يتعلق بعقيدة بعض العناصر في القبيلة ؛ فبعض المصادر تقول ان رجال المبايحة المقيمين في الدريز سنيون في حين أن مصادر أخرى تقول انهم اباضيون كبقية اخوانهم . وثمة شك كذلك يكتنف الوضع السياسي للقبيلة ، فتقول رواية ان بعض طوائف القبيلة متحالفة مع الامام ، وتقول رواية أخرى ان القبيلة كلها مستقلة استقلالا تاما .

موطن المبايحة هو الوادى الذى يحمل الاسم الأصلى للقبيلة ، وادى بنى غافر . وهو يمتد من سفوح الحجر الشرقية الى خليج عمان • ويظهر المبايحة فى الظاهرة . على الأغلب ؛ فى قرية الدريز على مقربة من عبرى • وهم يملكون القصر المجاور المسمى بالعينين •

وزعيم رجال القبيلة المقيمين فى الظاهرة هو على بن سعيد بن ناصر • ولا يعرف على وجه الدقة الى أى مدى يمتد سلطانه فى وادى بنى غافر ذاته • وهو وشعبه على علاقات ودية مع الامام ومع أمير الجبل الأخضر، رغم أنه غير مرتبط معهما بأية محالفة • وفى الوقت نفسه فان الروابط وثيقة بين على بن سعيد وقبيلته وبين أحمد بن ابراهيم وزير الداخلية فى حكومة سلطان مسقط •

نعيم

نعيمى

قبيـــــلة كبـــــيرة

سنية (حنبليـــــة)

غافــــــربة

حضرية (وفيها بعض البدو الرحل)

ان قبيلة نعيم هى من أكبر الهيئات العربية فى منطقة الخليج الفارسى. وهى منقسمة الى جماعتين رئيسيتين تفصل احداهما عن الأخرى مسافة نحو ثلاثمائة ميل . ولم تعد بينهما صلة وثيقة وان كانتا تعترفان بصلة القربى . والجماعتان هما (١) الجماعة الغربية وقوامها على الأغلب بدو مقيمون فى قطر وقد انتقلت عناصر منهم الى المملكة العربية السعودية والبحرين ؛ و (٢) الجماعة الشرقية وهى تقيم فى الظاهرة وهذه هى الجماعة التى نتحدث عنها الآن .

فالجماعة الشرقية لقبيلة نعيم ، اذا أخذناها فى جملتها ، هى على الأرجح أكبر القبائل وأقواها فى الظاهرة . غير أن هذه الجماعة بدورها مشطورة الى قسمين رئيسيين هما آل بو خريبان وآل بو شامس وهذان القسمان لا يتصرفان دائما تصرفا متشابها . ويبدو هذا الانقسام أحيانا من السعة بحيث يتضح هناك ميل الى اعتبار آل بو شامس قبيلة منفصلة؛ وكثيرا ما يقصر استعمال اسم نعيم فى هذه الجهات على آل بو خريبان . ولا ريب فى أن من الأسباب الرئيسية التى أدت الى تباعد القسمين أن

تقاليد القبيلة تعزو الى كل منهما أصلا منفردا ، فيقال ان آل بو خريبان هم النواة الأولى لنعيم التى دخلت فيما بعد فى حلف مع آل بو شامس

وبين المجموعات الثمانى من القـرى الواقعة فى الظـاهرة ، أربع مجموعات تحتلها عناصر مختلفة من نعيم اما احتلالا كاملا أو جزئيا • ولعل أكبر منزلة تتمتع بها القبيلة ، هى فى البريمى ، حيث تستمتع بمزية كونها صاحبة الواحة الأصـلية ، وان كان تفوق القبيلة يتعرض الآن للتحدى من جانب عناصر من بنى ياس • وبلدة ضنك التى تقـع على الطرف الغربى للحجر ، خاضعة الى حد كبير لسيطرة رجال نعيم ، بينما القرى المتجمعة حول السنينة وحول حفيت خاضعة لهم خضوعا تاما •

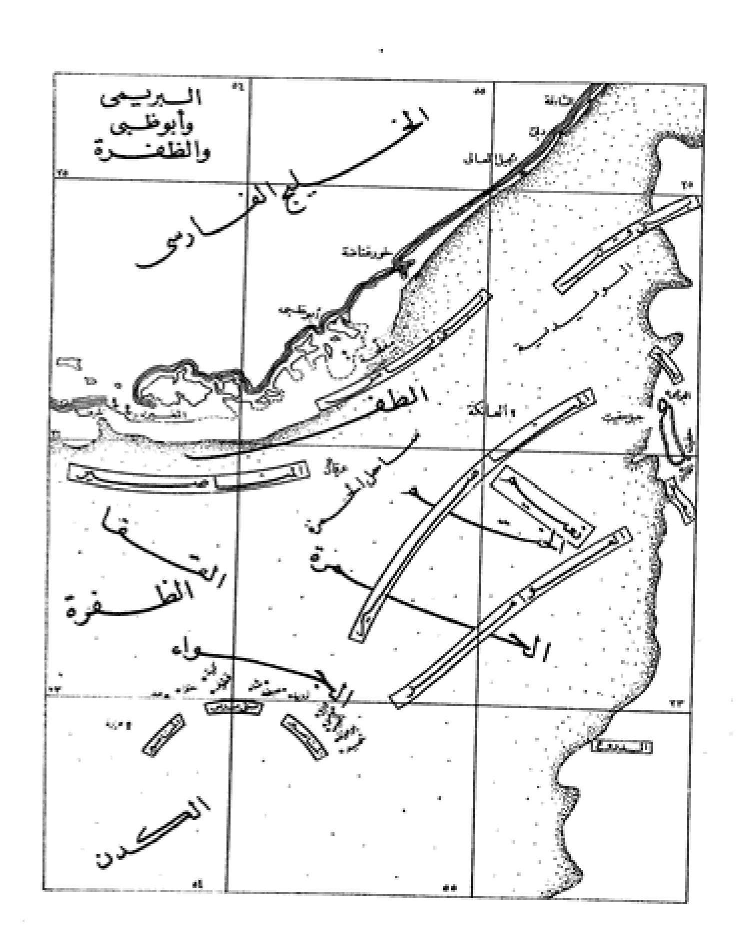
ليس للجماعة الشرقية لنعيم رئيس أعلى واحد بسبب الشقاق بين القسمين الكبيرين ، ويبدو أن أعلى الشيوخ مرتبة فى آل بو خريبان هو محمد بن سالمين بن رحمة من السنينة ، وقد يليه راشد بن حمد بن شامس ، وهو من حماسا فى البريمى • ويقال ان هذين الرجلين اللذين يتحدران من فخذ آل على هما على صـلات طيبة وكثيرا ما يتبادلان المشورة • وهناك عدد من رؤساء آل بوخريبان الآخرين يبدون نشاطا فى الشئون السياسية للقبيلة فى الظاهرة • وبين آل بوشامس يبرز رجل واحد على الجميع ، وهو صقر بن سلطان القرطاسى ، وهو من البريمى •

ولا تقتصر قوة الجماعة الشرقية لقبيلة نعيم على الظاهرة • فان العناصر البدوية من آل بو شامس تجول صوب الغرب فى منطقة الختم التى تعد جـزءا من ديرتها • وعلى ساحل الصـلح البحرى يكثر رجال آل بو خريبان فى امارة عجمان وحاكمها هو راشد بن حميد الذى ينتمى الى هذا القسم ، فى حين أن زعيم الحمرية الواقعة بالقرب من عجمان مع أنها تابعة لامارة الشارقة ، هو هادف بن حميد بن عبد الرحمن من

آل بو شامس . وله صلات باحدى القرى بالقرب من السنينة . وهناك كذلك رجال من نعيم فى مناطق أخرى على ساحل الصلح البحرى أو غير بعيدة منه .

يحتمل ألا يجد المرء قبيلة بين جميع قبائل الظاهرة الأخرى تدين بالاحترام والتقدير المخلص لآل سعود كما هو حال قبيلة نعيم . ومن أسباب ذلك الزمالة فى المذهب الحنبلى . وليس من غير المألوف لزعماء نعيم ومن هم دونهم من رجال القبيلة أن يزوروا البلاد العربية السعودية حيث يضمنون استقبالا وديا وضيافة كريمة . وقد حدث تزاوج بين زعماء نعيم وآل بو فلاح حكام أبو ظبى . وهناك صداقة بين الفريقين غير أن رجال نعيم كانوا ذوى غيرة على صون استقلالهم والنأى عن كل سيطرة من جانب آل بو فلاح . وهم أنفسهم يقـولون انهم يؤثرون آل سعود على الأسرة الحاكمة فى أبو ظبى .

البريمي


البريمي
وأبوظبي
والظفرة
الخليج الفارسي
أبوظبي
الظفرة
القفا
الظفرة
الجواء
الكدن

البُرَيْمِى

البريمى واحة تتألف من تسع قرى تقع فى منطقة الظاهرة ؛ ويطلق هذا الاسم كذلك على أكبر القرى فى الواحة • وتقع البريمى على بعد نحو تسعين ميلا شرقى الجنوب الشرقى من مدينة أبو ظبى على ساحل الصلح البحرى . عند الطرف الشمالى لجبل حفيت . وتبعد نحو عشرة أميال غربى سفوح الحجر ، وهى سلسلة الجبال التى تفصل الظاهرة عن الباطنة وعن سلطنة مسقط • فالبريمى اذن تقع عند ملتقى كثير من طرق المواصلات فى شرق جزيرة العرب وتعد محورا بين صحارى الجنوب الكبيرة وسواحل الباطنة ومنـاطق الحجر الداخلية والظاهرة وعمان الوسطى والشرقية • ومما يدل على المنزلة الاستراتيجية للموضع ؛ أن هناك عددا من الحصون فضلا عن أن تاريخ الحروب الماضية يوضح ذلك أيضا • والجيش الذى جرده الخليفة العباسى المعتضد بالله فى أواسط القرن الثالث الهجرى الموافقة لأواخر القـرن التاسع الميلادى اتخذ البريمى قاعدة لهجومه على عمان ، وحذا حذوه الفرس فى أواسط القرن الثانى عشر الهجرى الموافقة لأوائل القرن الثامن عشر ، ثم تلتهم الجنود السعودية فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة لأوائل القرن التاسع عشر الميلادى •

تاريخ البريمى

لما كانت البريمى مفتاحا للمناطق المجاورة لها ، ولما كانت غنيمة طيبة فى حد ذاتها ، فقد أغرت كثيرين من الآتين للهجوم على شرق الجزيرة العربية القادمين من الغرب ، وكثيرا ما كان الاستيلاء عليها هدف الزعماء المتحاربين فى المناطق المجاورة • وكان من نتيجة ذلك أن انتقلت البريمى من يد الى يد مرات كثيرة منذ تأسيسها • ففى القرن الثالث عشر الهجرى الموافق على وجه التقريب للقرن التاسع عشر الميلادى وقعت البريمى فى خلال خمس فترات منفصلة فى أيدى موحدى نجد ، كما احتلها فى أثناء فترات مختلفة القواسم وحكام أبو ظبى وامام عمان • وفى العهد الأخير من تاريخها قويت سلطة آل بو فلاح فيها كما تقدم نفوذ المملكة العربية السعودية هناك فى أحدث الأزمان •

وقد تمتع أحمد بن سعيد ، وهو أول حاكم من حكام آل بو سعيد ، بالسيطرة على البريمى مدة قصيرة فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى الموافق لأواسط القرن الثامن عشر الميلادى ، غير أنه أكره على الانسحاب عند ما ثارت عليه قبيلة نعيم • وكان من جراء الفتن الداخلية فى مسقط وعمان أن أصبحت البريمى هدفا سهل المنال للموحدين الذين انتشروا شرقا من نجد الى الساحل الجنوبى للخليج الفارسى حوالى عام ١٢١٥ هـ الموافق ١٨٠٠ م • ودعا أمير نجد الحكام المحليين فى عمان وعلى الساحل أن يقبلوا تفسير الموحدين لدين الاسلام • ولما تبين له أنه ليست هناك استجابة من الجميع لدعواه ، جرد حملة يقل عدد رجالها عن الألف من الفرسان بقيادة الحريق ، وهو عبد نوبى ، وقد استسلمت

للحريق قبائل بني ياس وبني قتب ونعيم . واتخذ هذا القائد البريمي مستقرا له وجبا الزكاة من القبائل ومن سكان القرى المجاورة • وكانت قوات الموحدين تجول في عمان . وكانت تبدو قادرة على اخضاع البلاد كلهـا لمشيئتها •

يلوح أن سعود بن عبد العزيز الذي أصبح أمير نجد في عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م كان يعتزم أن يخضع بلاد عمان ومسقط كلها لسيطرته • فاحتفظ . فضلا عن الحامية في البريمي . بوكيل سياسي في مسقط . وكان يستعين بقائده المجلي مطلق المطيري في التدخل تدخلا فعالا في سياسة مسقط ومناصرة أحد المطالبين بالعرش ضد آخر •

في عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م عقد النجديون حلفا مع الذين يغيرون على البحر من القواسم على الساحل العربي . وكان من نتيجة ذلك أن اشتد هجوم القواسم على جميع السفن المارة بالخليج الفارسي ، بما في ذلك السفن البريطانية • وأصبح الخطر على مسقط شديدا عقب اتصال قوات النجديين بقوات القواسم • وأدرك الانكليز أنه اذا صار حاكم مسقط تابعا لأمير نجد . فان الموانى العائدة لمسقط قد تتخذ عندئذ قواعد للقواسم . ويزيد هذا بالتالي خطر الاغارة والهجوم • ومن ثم هجم الانكليز على رأس الخيـمة في عام ١٢٢٤ هـ الموافق ١٨٠٩ م بمساعدة قوات عربية من مسقط : وكان لهذا الهجوم غرضان هما منع المغيرين من القيام بأعمالهم البحرية ؛ وتعزيز موقف حاكم مسقط • ولكن هذا العمل البريطاني لم يؤد الى وقف أعمال الموحدين البرية في شرق جزيرة العرب . وفي عام ١٢٢٦ هـ الموافق ١٨١١ م دفع سعيد بن سلطان حاكم مسقط ٤٠ ألف ريال الى مطلق المطيري ليقنعه بالانسحاب من أراضي مسقط •

منذ حوالى عام ١٢٢٨ هـ الموافق ١٨١٣ م أخذ اشراف النجديين على عمان يخف بسبب وفاة مطلق المطيرى الذى قتل فى معركة مع الحجريين ، وكذلك بسبب وفاة الأمير سعود بن عبد العزيز وزحف القوات التى أوفدها محمد على باشا والى مصر صوب بلاد نجد • وجاء الى البريمى من نجد بتال المطيرى ، أخو مطلق ، وكان معتزما أن يكون ذا منزلة مستقلة فيها . غير أن قبائل المناطق المجاورة للبريمى نجحت فى مقاومته • وقد هدم قصر البريمى ، واستعاد السكان استقلالهم لفترة وجيزة •

أما تاريخ البريمى فى بضع السنوات التى تلت ذلك ، فهو غامض مجهول ، والروايات التى أمكن الحصول عليها فيها شيء من التناقض ، وليس من الميسور تسجيل حوادث هذه الفترة بثقة تامة • ويبدو أنه حوالى عام ١٢٣٦ أو ١٢٣٧ هـ أى نحو ١٨٢١ م جاء الى البريمى سعد ابن مطلق وأغار اغارات واسعة فى عمان زاعما أنه ينتقم لمقتل والده مطلق المطيرى •

نحو عام ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٤ م استولى سلطان بن صقر القاسمى على البريمى على الرغم من احتجاجات حاكم مسقط ، وكانت البريمى « قد اعتبرت محايدة بناء على معاهدة محترمة عقدت قبلا » • ووقف طحنون بن شخبوط رئيس بنى ياس الى جانب سعيد بن سلطان حاكم مسقط ضد رئيس القواسم • ولما اتضح أن السلام والطمأنينة فى الخليج الفارسى مهددان ، تدخل المعتمد البريطانى وأمكن بذلك ابعاد خطر الحرب • ووافق سلطان بن صقر على أن يدمر بروج البريمى ، ولكن يلوح أن هذا الاتفاق لم ينفذ قط •

وفى عام ١٢٤٨ هـ الموافق ١٨٣٣ م وما تلاه حالت سيطرة المصريين على نجد دون أن يتخذ الموحدون الخطوات اللازمة لاسترداد البريمى •

وفى عام ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م برز فى المناطق المجاورة للبريمى سعد ابن مطلق عاملا باسم فيصل بن تركى أمير نجد الجديد : فاستسلم له أفراد نعيم وغيرهم من رجال القبائل . وأخـذت القوات التى يقودها سعد تهدد مسقط . ووافق ثوينى بن سلطان نيابة عن والده حاكم مسقط على أن يدفع جزية سنوية لأمير الموحدين .

وفى عام ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٨ م درس موضوع عقد حلف فيما بين عرب ساحل الصلح البحرى ، رغبة فى اقصاء الموحدين . ولما نفد صبر سعيد بن طحنون حاكم أبو ظبى من الابطاء فى عقد الحلف انفرد بعمل مضاد للموحدين وأقصاهم عن البريمى . وهنا استبدت الغـيرة بعرب الساحل الآخرين عندما شهدوا علو مقام أبو ظبى والمنزلة المنيعة التى اكتسبتها بالاستيلاء على البريمى ، ووجد سعيد بن طحنون نفسه يواجه ائتلافا معاديا له قوامه قوات نجد ودبى ورأس الخيمة وعجمان ، واضطر نتيجة لذلك الى الانسحاب من البريمى ، وعادت المنطقة الى اشراف نجد .

وفى عام ١٢٦٩ هـ الموافق ١٨٥٢ م قوى موقف الموحدين كثيرا عندما ظهر فى البريمى عبد الله بن فيصل نجل أمير نجد ، فاستسلمت له قبائل المناطق المجاورة . وبعد ذلك وافق ثوينى نجل سلطان مسقط مرة ثانية على أن يدفع جزية سنوية كبيرة لحاكم نجد . وعين تركى السديرى ممثلا لحكومة نجد فى البريمى .

وفى أواخر شهر رمضان عام ١٢٨٥ هـ الموافقة لأوائل يناير ١٨٦٩ م ظفر سالم بن ثوينى ، الذى جلس قبـلا على عرش مسقط ثم خلع ، بمعونة تركى السديرى فى استرداد مقامه السابق . وبعد ذلك بقليل سافر السديرى من البريمى الى ساحل الصلح البحرى ليتشـاور مع

حكام الساحل فى تقديم المساعدة لسالم • ولكن شيوخ ساحل الصلح البحرى أبدوا ترددا فى الموافقة على الانضمام اليه ، وفى شهر محرم ١٢٨٦ هـ الموافق لأبريل ١٨٦٩ م قام أهل الشارقة وقتلوا السديرى •

بقيت البريمى تحت سيطرة النجديين ، ولكن لما درت نعيم بنبأ قتل تركى ، وهى القبيلة التى طالما عارضت حكمه لتوسله بشىء من الشدة فى تنفيذه ، دعت عزان بن قيس امام عمان الجديد الى الاستيلاء على البريمى واقصاء الموحدين الذين يقودهم عبد الرحمن السديرى أخو تركى • وقد قبل عزان هذه الدعوة ، وتمكن بمساعدة نعيم من فتح البلدة بعد معركة دامت ثلاثة أيام أو أربعة فى صيف عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م •

فى شتاء عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ — ١٨٧٠ م كان عبد الله بن فيصل أمير نجد يعد حملة لاسترداد البريمى ، غير أن خططه أرجئت بسبب الجدب الشديد وبسبب احتمال قيام أخيه سعود بهجوم ، لأن أخاه هذا كان ينازعه حينئذ السيطرة على نجد • والواقع أن فترة مداها نحو عامين انقضت عقب انتصار عزان حال فيها الخصام والتشاحن فى داخل نجد والحسا دون عودة سيطرة الموحدين الى البريمى • غير أنه فى شهر رمضان ١٢٨٧ هـ الموافق لديسمبر ١٨٧٠ م هزم سعود بن فيصل أخاه عبد الله وظفر بالسيطرة على نجد • وفى ربيع عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١ م برز محبوب ، وهو قائد أوفده سعود ، أمام البريمى واستطاع بمساعدة حاكم أبو ظبى الاستيلاء عليها ودعا القبائل المجاورة أن تدين له بالطاعة والولاء •

لا تعرف بالتوكيد مدة سيطرة النجديين على البريمى بعد فتحها عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١ م • وقد أدى دخول الأتراك فى الحسا فى

العام المذكور وتقدم آل رشيد بالتدريج من الشمال الى اضعاف دولة الموحدين ثم الى قلب نظام حكمهم • ويؤخذ من تقارير حكومة الهند المؤرخة فى شهر جمادى الآخرة ١٢٩٠ هـ الموافق لأغسطس ١٨٧٣ م أن قصر البريمى كان اذ ذاك فى يدى حاكم الشارقة وان حاكم أبو ظبى الذى درج على زيارة البريمى فى كل عام كان يقصى عنهـا • وليس ثمة دليل يفهم منه اذا ما كان الموحـدون أكرهوا على مغادرة البـلدة أو أخلوها بمحض رغبتهم نظرا الى سير الحوادث فى نجد •

وفى عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م زار البريمى مايلز الوكيل السياسى البريطانى فى مسقط وقال انها « عادت الآن الى أصحابها الأصليين وهم نعيم » • ويبدو أنه لم تكن لنجد سيطرة فعالة عليها فى الجزء الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى والجزء الأول من القرن الرابع عشر أى فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى عندما دان وسط الجزيرة العربيـة لحكم آل رشيد •

وتبين صموئيل زويمر Samuel M. Zwemer المرسل الأمريكى الذى زار البريمى فى عام ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١ م انها « لا تزال مركزا وهابيا » مع أنها « ليست خاضعة فى الوقت الحاضر للسيادة الأجنبية » • ثم قال زويمر ان قبائل البريمى والقبائل القاطنة شرقيها لا تعترف بسلطة سلطان مسقط حيث كان لهم رؤسـاؤهم الخاصـون • وفى عام ١٣٢٦ هـ الموافق ١٩٠٨ م ورد فى كتاب « دليل الخليج الفارسى » الذى وضعه لوريمر J.G. Lorimer أن البريمى كانت مستقلة « غير أن نفوذ شيخ أبو ظبى قوى مطرد » • وقال لوريمر كذلك ان الظواهر . وهم تابعون لبنى ياس . كان لهم اذ ذاك تفوق عددى فى البريمى ؛ ولكن « رجال نعيم هم أصحاب الواحة الأصليون ؛ وكان امتلاكهم لقصر البريمى سببا

فى تمتعهم بهيبة وتفوق محلى على الظواهر » • ويقول المصدر عينه ان قلة من المناصير كانت ترتاد البريمى فى أيام القيظ •

وفى الثلاثين سنة الماضية أو نحوها امتد نفوذ جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على البريمى : وان كان ذلك فى مدد متقطعة • ولما حاول برترام توماس فى الأعوام التى تلت عام ١٣٣٩هـ الموافق ١٩٢٠م أن يتقدم داخل الأراضى المحيطة بالبريمى ، أبلغه رئيس نعيم أن « هذه البقاع داخلة فى أراضى ابن سعود » • وكتب توماس كذلك يقول « ان الظاهرة ماجت بأنباء زيارة عامل من عمال الزكاة أوفده ابن جلوى نائب الملك ابن سعود فى الحسا ، وان كثيرين من أهل الظاهرة كانوا يؤدون الزكاة » •

وفى عام ١٣٤٥ هـ الموافق ١٩٢٦ م وصف البريمى الكابتن اكلز . وهو ضابط فى الجيش الهندى انتدب فترة من الوقت لخدمة سلطنة مسقط ، فقال انها واحة مستقلة ، كما قال انه حدث فى عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥ م ، عندما خافت قبيلة نعيم من شن الهجوم عليها من داخل عمان ، ان تلك القبيلة بعثت فى طلب مساعدة من عبدالله بن جلوى • وقال اكلز كذلك ان عبدالله بن جلوى جبا الزكاة من قبائل البريمى والمناطق المجاورة لها •

وفى عام ١٣٥٢ هـ الموافق ١٩٣٣ م كتب الرحالة البريطانى فلبى H. St. J.B. Philby عن حديث جرى بينه وبين أحد رجال آل مرة من وقت غير بعيد فقال :

> اهتممت أن أسمع منه أن نفوذ ابن سعود صار اليوم ملموسا فى بلاد الظاهرة كلها ، كما يسمون المنطقة الواقعة غربى جبال عمان ، بما فى ذلك البريمى طبعا ، وهى مركز وهابى منذ زمن طويل ، ويظهر أنها تضم حتى

عبرى أيضا . أما رحلات عمال الزكاة فيبدو أنها لم تكن تسفر الا عن تعويض نفقات اعدادها وايفادها ؛ ولكن هذه الرحلات كانت تميل الى نشر رسالة السلم الوهابى والوحدة العربية . وأخذت ثمار الحكم المستقر تنتشر من الوسط الى الخارج انتشارا موكدا وان كان بطيئا . ويمكن اعتبار المناصير اليوم رعايا لابن سعود وهو لا يطلب منهم الا أن يرتضوا سيادته ويصونوا السلم العام .

أما المعلومات عن علاقات المملكة العربية السعودية وأبو ظبى ومسقط بالبريمى فى الأزمنة المتأخرة فهى واردة فى القسم الخاص بالقبائل فى الواحة فيما يلى .

قرى البريمى

لا يعرف شيء بالتوكيد عن عدد سكان البريمى ، غير أنه يمكن القول استنادا الى المعلومات التى لدينا ان عددهم قد يقارب عشرة آلاف نسمة . وفضلا عن بلدة البريمى نفسها ، التى يقال انها البلدة الأصلية ، هناك ثمانى قرى أخرى مأهولة بالسكان اليوم بصفة دائمة ؛ كما أن هناك بعض الأطلال التى كانت مأهولة ذات يوم . والقرى موزعة بين الحقول والنخيل فى الواحة .

والموقف السياسى فى الواحة صورة مصغرة للأحوال السائدة فى الظاهرة كلها . فلا سلطة لأية قوة على الواحة بجملتها . ولا يوجد اتحاد يربط جميع القرى التسع المأهولة بعضها ببعض . وهناك قبيلتان سائدتان وهما نعيم وبنى ياس ولكن لا تمثل أية واحدة منهما جبهة كاملة متراصة . وهناك افراد من كل من قسمى قبيلة نعيم الكبيرين اللذين لا يستتب الوئام بينهما على الدوام . ويقيم فى البريمى عدد من أعضاءآل بو فلاح : شيوخ بنى ياس ، ولكن غالبية أفراد هذه القبيلة هناك تأتى من الظواهر وهم فخذ لا توجد بينه وبين القبيلة صلات وثيقة تماما[1] أما توزيع السيطرة فى القرى المأهولة بين القبيلتين واقسامهما فيظهر فى الجدول المبين فيما يلى :

---

(١) أنظر ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

نعيم		بني ياس	
آل بو خريبان :	البريمى	آل بو فلاح :	المويقعى
	صعرا		العين
آل بو شامس :	حماسا		المعترض
		الظواهر :	القيمى
			القطارة
			هيلى

ويقال ان آل بو فلاح يباشرون نوعا من السلطة العامة على جميع القرى الست التابعة لبنى ياس مع أن الظواهر هم غالبية السكان فيها جميعا ما عدا المويقعى .

أما القرى الخاصعة لسيطرة نعيم فتتجمع معا فى الجزء الشرقى الأوسط من الواحة . وتلك التى تخضع لآل بو فلاح تتجمع فى الجزء الجنوبى . والتى تخضع للظواهر تتجمع فى الجزء الشمالى الغربى . أما التفصيلات الخاصة بهذه القرى المأهولة وبثلاثة من الأماكن المهجورة فهى واردة فيما يلى .

البُرَيمى

ان بلدة البريمى ملك لآل بو خريبان ، وهم أحد القسمين الرئيسيين لقبيلة نعيم . فالبلدة والحالة هذه يمكن أن تعد المقر الرئيسى لنعيم . وهم الأصحاب الاصليون للواحة كلها . والسلطة المحلية فى البلدة معقودة للشيخ صقر بن سلطان من آل بو خريبان . والقصر المعروف باسم قصر الخندق هو من أهم المعاقل فى الواحة . أما سوق البلدة . فهى سوق للقرى الأخرى كذلك . والى الجنوب من بلدة البريمى تجاه قرية العين أطلال قصر السديرى المشهور الذى كان مركز سيطرة الموحدين على الواحة فى أيام الاحتلال النجدى .

حَماسا

تقع هذه القرية غربى بلدة البريمى بعد نخيلها مباشرة . والجزء الأكبر من حماسا ملك لآل بوشامس من نعيم ، وخاضع لسلطة الشيخ راشد بن حمد بن شامس . ولحماسا منزلة خاصة باعتبارها مقرا لطائفة صغيرة ذات نفوذ من مهاجرى نجد يعمل أكثرهم بالتجارة . ويعد رجال هذه الطائفة أنفسهم محتفظين بالجنسية السعودية . ويقوم بعضهم برحلات كثيرة الى ديارهم الأصلية . ويقال ان طائفة من السنيين الفرس يملكون بساتين فى القرية ، وفيها كذلك سكان من البلوش . وفى حماسا سوق وقصر صغير .

صَعْـرا

تقع قرية صعرا شرقى بلدة البريمى وتفصلها عنها أرض لا تزرع الا فى أوائل الصيف . وهى خاضعة لصقر بن سلطان الذى يعيش فى بلدة البريمى . وفى صعرا قصر صغير منشأ خارج بساتينها . وفى مكان غير بعيد من القرية فى اتجاه الشرق تتقارب الدروب من جهات شتى من الواحة لتتألف منها طريق الارتحال الرئيسية بين البريمى والباطنة . وسكان صعرا هم فى الأغلب من آل بوخريبان من نعيم ، وهناك عناصر من آل بوشامس من نعيم وآل بوفلاسا من بنى ياس وكذلك عناصر من بنى قتب وبنى كعب .

المُوَيقِعى

ان قرية المويقعى هى أقصى قرى البريمى فى اتجاه الجنوب الغربى ، ومع انها قرية صغيرة ، فانها تعد مركز النفوذ الرئيسى لآل بو فلاح فى واحة البريمى وفى مناطق الصحارى المحيطة بها . أما سكانها فقوامهم على الأغلب رجال من آل بو فلاح ومعهم حاشيتهم وخدمهم . ويباشر

زايد بن سلطان أخو حاكم أبو ظبي السلطة المحلية في المويقعي . ويمكث فيها معظم الوقت ممثلا لمصالح الأسرة الحاكمة في أبو ظبي .

العين

ان قرية العين هي أقصى قرى البريمي في اتجاه الجنوب الشرقي ، ولعلها أكبرها كذلك . وحيث ان سوقها صغيرة فكثيرا ما يذهب سكانها الى سوقي البريمي وحماسا ليقضوا حاجاتهم . والى الجنوب الشرقي من القرية حصن العين . والعين خاضعة لسيطرة آل بو فلاح . أما السلطة المحلية فهي في يدي الشيخ زايد بن سلطان الذي يقيم في المويقعي ولكن معظم السكان هم من الظواهر . كما تجد هناك أفرادا من فخوذ أخرى من بني ياس . وينزل رجال من العوامر بالقرب منها في أثناء القيظ .

المعترض

تقع قرية المعترض الى الجنوب الشرقي من المويقعي ، بينها وبين الجاهلي . ويقال ان في المعترض ثلاثة حصون ، ولكن ليست هناك سوق . والقرية ملك لآل بوفلاح من بني ياس . والسلطة المحلية في يدي الشيخ محمد بن خليفة وهو ابن عم حاكم أبو ظبي . ولكن معظم السكان هم من الظواهر .

القيمى

تقع قرية القيمى الى الجنوب الغربي من القطارة وتكاد تكون ملاصقة لها . وتقع كذلك الى الشمال الشرقي من المويقعي . والى الجنوب من القرية يقع حصنها . وقد قال الأوربيون الأولون الذين زاروا البريمي ان في هذا الحصن مدفعا نحاسيا كبيرا من صنع أمريكا . غير أن الأقوال التي تناقلتها الألسنة أخيرا تقول ان هذا المدفع القديم نقل الى المويقعي . أما نخيل القرية فمعظمه ملك للظواهر من بني ياس ، كما أن أغلبية

السكان هم من هذه القبيلة وان كانت هناك عناصر أخرى • والسلطة المحلية هي في يدى الشيخ على بن غانم بن حمودة الظاهرى •

القَطّارة

تقع قرية القطارة الى الشمال الشرقى من القيمى وتكاد تلاصقها • وفيها حصن غير انه ليست فيها سوق . ولذلك فان السكان مضطرون الى التعامل مع أسواق بلدة البريمى أو حماسا • والسلطة المحلية فى القطارة هى فى يدى الشيخ راشد بن سعيد الدرمكى الظاهرى وهو قريب للشيخ على بن غانم من القيمى • ومعظم السكان هم من الظواهر ، ومعظم النخيل ملك لهم . وان كان هناك عدد من السكان ينتمون الى فخوذ أخرى . ولا سيما المشاغين من بنى قتب وآل بو حمير من بنى ياس• وبعض النخيل ملك لآل بوفلاح •

هِيلى

ان قرية هيلى هى أقصى قرى البريمى فى اتجاه الشمال ، وتقع فى منطقة فسيحة منبسطة وهى منفصلة بعض الشىء عن القرى الأخرى • ويقال ان عدد سكانها يزيد على الألف ؛ ومعظمهم من الظواهر ، غير أن فيهم عناصر من قبائل أخرى منها بنى كعب وبنى قتب وآل بو حمير من بنى ياس وآل بوفلاسا من بنى ياس • ويبدو انه ليس هناك سيد واحد مطاع يحكم القرية ؛ غير انه يقال ان الشيخ هزاع بن سلطان أخا حاكم أبو ظبى أرسل منذ بضع سنوات أحد أتباعه الى هيلى ليشرف على شئونها ؛ وقد يدل هذا على أن لهزاع حقوقا خاصة فى النخيل والممتلكات الأخرى فى القرية • ويقال ان أبرز سكان هيلى هما حمد ابن زربيل وحمد بن رحمة وكلاهما من الظواهر •

المَسْعُودى

كانت هذه القرية خاضعة قبلا لحكم الشيخ خليفة بن زايد من آل بوفلاح . وأشار مايلز اليها عندما وصف رحلته الى البريمى فى عام ١٢٩٢هـ الموافق ١٨٧٥ م . غير ان كوكس الذى زار البريمى فى عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م قال « ان المسعودى قرية أنشأتها حديثا قبيلة بنى ياس» . ويقال ان المسعودى خلت من سكانها بسبب ما تعرضت له من خسارة ترتبت على سيل سال فى بطحائها . وليس فيها اليوم سكان دائمون ؛ غير انها لا تزال منزلا لرجال من الظواهر وآل بوحمير من بنى ياس فى الشتاء ، وكذلك لرجال من العوامر فى القيظ .

الجاهِلى

تقع قرية الجاهلى بين المعترض والعين . ويملك نخيلها آل بو فلاح ، غير أن القرية أقفرت من سكانها منذ نحو خمس سنوات وليس فيها منذ ذلك الوقت سكان دائمون . وهناك حصن يقعد فيه خدم زائد بن سلطان وجنوده فى النهار .

اقتصاد البريمي

تتعامل الأسواق القليلة الصغيرة فى البريمى فى بيع المؤن والأقمشة وبعض السلع الضرورية الأخرى. وكان جانب كبير من تجارة هذه المنطقة يجرى مع ساحل الباطنة شرقا ، غير أنها تجرى فى الأغلب الآن مع ساحل الصلح البحرى ، فمثلا يؤتى من البريمى الى أبو ظبى بمقادير كبيرة من التمر . وكانت البريمى ذات يوم مركزا للنخاسة ، ولا سيما لأنها تقع بعيدا عن منطقة النفوذ البريطانى على السواحل ، ويقال ان النخاسة لا تزال تجرى فيها الى حد ما .

غير أن العمل الرئيسى الذى يشغل البريمى ليس هو التجارة بل الزراعة . والمحصول الأهم هو التمر ، وقد أشرنا قبلا الى اصداره الى أبو ظبى . وفى عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م قدر كوكس عدد أشجار النخيل فى المنطقة بما لا يقل عن ٦٠ ألفا ، كما أنه تحدث عن « جميع الفواكه والخضر الموجودة هناك ... كالعنب والبطيخ والليمون والتين والرمان وقليل من المنجه ... والقمح والشعير ... ومقادير من القت » .

أما الماء الذى يروى كل هذه الزراعة ، فينساب فى عدد من الأفلاج تحت الأرض . وهذا المورد يزود الواحة بقدر موفور من الماء ولا سيما من ينابيع جبال الحجر شرقا ، وان كان هناك فلج أو فلجان يمتدان من ينابيع جبل حفيت الواقع الى الجنوب . ومن المحتمل أن تكون هذه الأفلاج قد حفرت فى البلاد بأيدى الفرس لأنها تشابه من حيث بنائها قنوات ايران .

تتصل البريمى بدروب مع المناطق المجاورة فى شرق جزيرة العرب • فهناك طريق تتجه شمالا من البريمى وبالقرب من السفح الغربى للحجر ، وهذه هى الطريق الى عجمان ورأس الخيمة على ساحل الصلح البحرى • وعند العويجاء تتشعب الطريق الى دبى والشارقة• وهناك طريق أخرى بين البريمى ودبى وهى تجرى غربى هذه الطريق عبر رمال الويدية وتلتقى عند روس الممالح بالطريق الأولى التى هى أطول منها •

والى الغرب من البريمى تجرى طريق أخرى تنشطر الى شطرين عقب عبورها بطحاء المسعودى أى على بعد نحو خمسة أميال من البريمى • ثم ينشطر فرع منها الى بعض الدروب التى تفضى الى أبو ظبى • أما الفرع الثانى فينحرف جنوبا الى العانكة ؛ ثم يتجه غربا الى العديد وسلوة والحسا •

والى الشرق من البريمى تجرى الطريق الرئيسية الى ساحل الباطنة عابرة وادى العبيلة ووادى الجزى • والى الجنوب تجرى الطريق التى تعبر الظاهرة مارة على ضنك وعبرى ثم تصل الى عمان الوسطى • وعند جبل حفيت تتشعب هذه الطريق تشعبا موقتا فيجرى فرع ملاصقا للناحية الغربية للجبل فى حين يجرى الفرع الآخر بين الجبل والحجر الغربى •

ليس لحكومة غربية ما علاقة مستندة الى معاهدة مع أى زعيم من زعماء البريمى المحليين• وفى ما نعلمه ليست هناك شركة غربية لها امتياز يخولها حقوقا مطلقة فى العمل هناك وقد منح حاكم أبوظبى شركة استثمار البترول (ساحل الصلح البحرى) المحدودة Petroleum Development (Trucial Coast) Ltd. امتيازا فى شـــهر ذى القعدة ١٣٥٧ هـ الموافق ليناير ١٩٣٩ م ، غير أن نصوص هـــذا الامتياز لم تعلن ، ولهذا لا يعرف اذا ما كانت منطقة الامتياز قد حددت تحديدا صريحا لكى تشمل ممتلكات آل بو فلاح فى

البريمى أو لم تحدد • غير أن هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن تلك الشركة ترى أن لها حقا فى مباشرة العمل فى تلك المنطقة . وقد بذلت أخيرا مساعيها، ولعلها لا تزال تبذلها ؛ لتوسيع نفوذها الى البريمى • وفى خلال عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م قام أحمد بن ابراهيم . وهو قريب لسلطان مسقط ووزير الداخلية فى حكومته . بما لايقل عن زيارتين للبريمى بصحبة الكابتن رتشارد برد Richard Bird الذى كان ذات يوم ضابطا سياسيا بريطانيا فى الشارقة ؛ وكان يمثل حينئذ شركة استثمار البترول فى معاملاتها مع الحكام العرب فى شرق جزيرة العرب • ثم أمضت فرقة من رجال شركة استثمار البترول شتاء عام ١٣٦٩ هـ الموافق ١٩٤٩ — ١٩٥٠ م فى التنقيب فى المنطقة • ونزل أعضاء هذه الفرقة . لما كانوا فى البريمى ؛ فى ضيافة زايد بن سلطان أخى حاكم أبو ظبى وأكبر زعيم محلى من آل بو فلاح فى المنطقة • غير أنه يقال ان فصيلة من جنود سلطان مسقط صحبت الفرقة الى البريمى لحراستها فى أثناء اضطلاعها بعملها •

قبائل البريمى

القبيلتان الرئيسيتان فى البريمى هما نعيم وبنى ياس . وتجد هناك أفرادا كثيرين من القسمين الكبيرين من نعيم . اللذين هما آل بو خريبان وآل بو شامس : كما تجد أفرادا كثيرين من الظواهر من بنى ياس : ويتمتع آل بو فلاح من نفس القبيلة بنفوذ قوى هناك • ويمثل كذلك عدد من قبائل أخرى فى سكان الواحة • ولا تعرف بالتفصيل كيفية توزيع السكان بين القبائل المختلفة •

جرى العرف على اعتبار البريمى خاضعة لسيطرة قبيلة نعيم التى أشير اليها فى خلال القرن الثالث عشر الهجرى وأوائل القرن الرابع عشر أى فى القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن العشرين باعتبارها القبيلة المهيمنة هناك • أما اليوم فلا تسيطر نعيم الا على ثلاث من القرى التسع المأهولة فى حين أن بنى ياس وهى القبيلة السائدة فى امارة أبو ظبى تتسلط على الست القرى الأخرى •

ومن العسير أن نقرر الى أى مدى تأثر هذا الموقف بما نالته أخيرا قبيلة بنى ياس عموما : وآل بو فلاح خصوصا ، من قوة فى البريمى • بيد أنه يمكن أن يقال انه حتى ولو ادعى حاكم أبو ظبى بأن البريمى كلها جزء من أملاكه ، فان مثل هـــذا الادعاء لا يلقى اعترافا واسع النطاق من عرب عمان كما أنه يلقى بلا مشاحة معارضة عنيفة من زعماء نعيم وأفرادها • وان ما ينشر فى بيانات الموظفين والرواد الانكليز الذين

يعرفون هذه المنطقة معرفة جيدة يدل بجلاء على وجهة النظر القائلة ان البريمى مستقلة •

ان كلا من القسمين الكبيرين لقبيلة نعيم ممثل فى سكان البريمى ولكن آل بو خريبان يزيدون كثيرا فى عددهم وفى نفوذهم هناك على آل بو شامس • ويخضع آل بو خريبان فى البريمى لسلطة الشيخ صقر ابن سلطان القرطاسى ، فى حين يخضع آل بو شامس لسلطة الشيخ راشد ابن حمد بن شامس •

آل بوفلاح هم الفخذ الثرى ذو النفوذ الكبير من فخوذ بنى ياس فى البريمى • والسلطة المحلية الرئيسية لبنى ياس فى الواحة هى فى يدى زايد بن سلطان الفلاحى ، غير أن آل بو فلاح هم أقل عددا هناك من الظواهر الذين هم فخذ آخر من بنى ياس • وبين الفخوذ الأخرى من بنى ياس التى منها رجال فى البريمى تجد آل بو حمير وآل بو فلاسا •

ان الصلات الأولى بين بنى ياس والبريمى ما انفكت غامضة • وفى عام ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٨ م ، كما سلفت الاشارة ، استولى سعيد ابن طحنون من آل بوفلاح على البريمى وانتزعها من أيدى النجديين ، غير أنه سرعان ما أكره على التخلى عنها ، ويبدو أن احتلاله القصير الأمد لم يكن له تأثير ما دائم • وتتحدث الوثائق الرسمية لحكومة الهند عن نزاع نشب بين آل بوفلاح ونعيم حول البريمى فى عام ١٢٨٨ هـ الموافق ١٨٧١ م ، وتقول هذه الوثائق ان حاكم أبو ظبى ساعد محبوبا ، وهو نائب سعود بن فيصل ، فى استيلائه على البريمى فى ذلك العام • وتقول وثائق رسمية أخرى يرجع تاريخها الى عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣ م ان حاكم أبو ظبى أضجرته مسألة البريمى « لأنه جرى على

زيارة تلك المنطقة فى كل عام والاقامة فى القصر . غير انه منع من ذلك أخيرا » .

قال مايلز الذى زار البريمى فى عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م ان أربعا من القرى كانت اذ ذاك فى أيدى بنى ياس ، وأن أربعا كانت فى أيدى نعيم . وقال كوكس فى وصفه لزيارته للبريمى فى عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م « ان صاحب السلطة الحقيقية فى المناطق المجاورة هو شيخ أبو ظبى الذى تزداد ممتلكاته المادية ونفوذه فى الواحة عاما بعـد عام » . وتحدث كوكس عن نفوذ هذا الحاكم فقال انه يتجاوز البريمى حتى يصل الى عبرى . وهذا الموقف يرجع بعض الشىء الى القدرة الشخصية والهيبة اللتين كان يتمتع بهما الحاكم فى ذلك الوقت ، وهو زايد بن خليفة . ولم يكن من بين خلفائه من هو كفؤ مثله .

من سكان البريمى كذلك أفراد من البلوش وبنى كعب وبنى قتب . ويزور المنطقة ، ولا سيما فى أشهر القيظ ، بعض أفراد قبيلتى المناصير والعوامر وبدو من قبائل أخرى ، غير انه ليس لهؤلاء اقامة دائمة هناك .

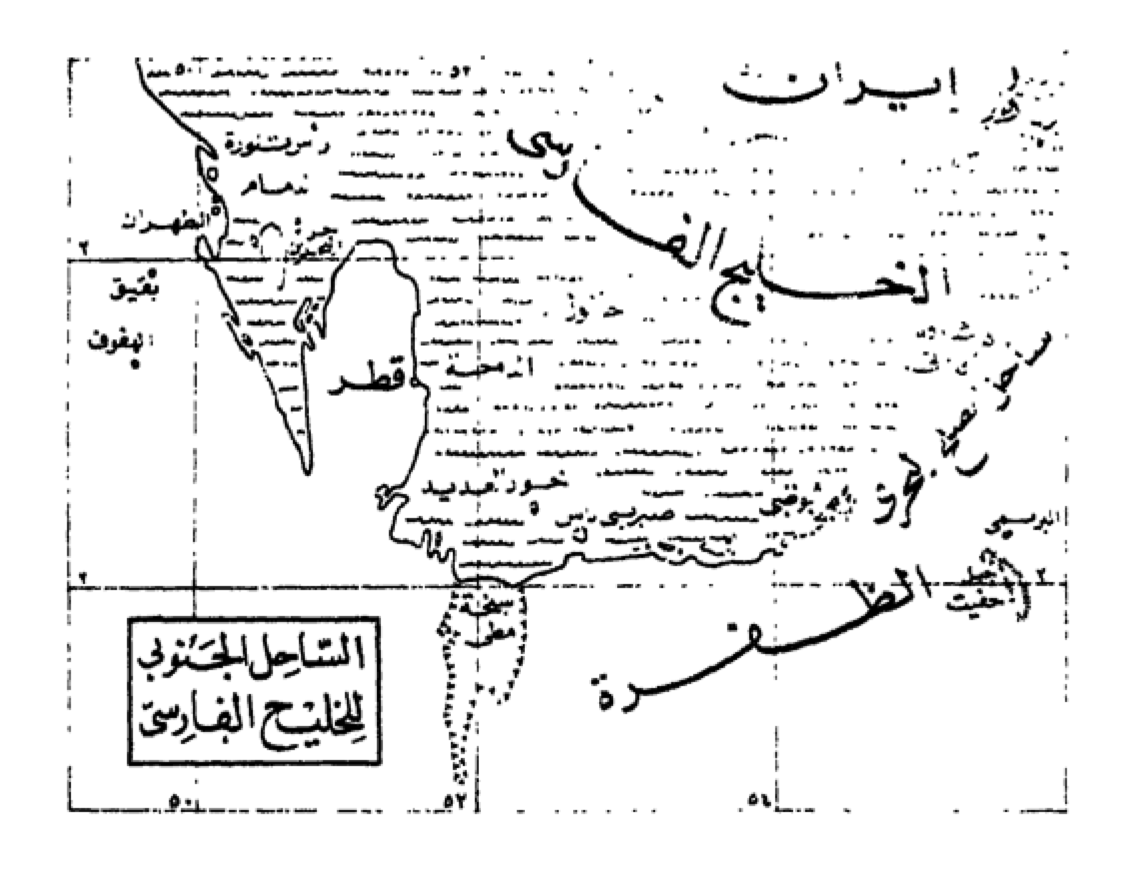
قد اقتبسنا قبلا عبارات تدل على مدى قوة النفوذ السعودى فى البريمى فى السنوات التالية لعام ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م . وفى العقد السادس وأوائل العقد السابع من القرن الهجرى الحالى أى فى العقد الرابع وأوائل العقد الخامس من القرن الميلادى الحالى تعرض هـذا النفوذ لشىء من التدهور . وقال الأمير سعود بن جلوى حوالى عام ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٨ م انه وان كان العمال السعوديون درجوا قبلا على جباية الزكاة من المناطق المجاورة للبريمى ، الا أنهم كفوا عن ذلك .

ويبدو الآن أن النفوذ السعودى فى هذه المنطقة بدأ يسترد شيئا من حيويته السابقة . ففى شهر شعبان ١٣٧٠ هـ الموافق لمايو ١٩٥١ م

سافر الى الرياض وفد من زعماء آل بوشامس، وبنى كعب ، ويقال انهم التمسوا من جـلالة الملك عبد العزيز كتابة ومشافهـة أن يشملهم هم وأراضيهم بحمايته .

وينبغي الاشارة كذلك الى الجهود التى تبذل لوضع البريمى تحت نفوذ سلطان مسقط أو حكمه . فيقول سكان المنطقة ان السلطان يدفع فى كل عام هبات من المال لجميع القبائل وأقسامها فى البريمى بوجه خاص وفى الظاهرة بوجه عام . ويقال ان من الذين يتلقون هذه الهبات بعض آل بو فلاح وهم مستقرون فى البريمى . كما يقال ان القبـائل على استعداد لقبول هذه الأموال غير أنها لا تعد قبولها اعترافا منها بأنها من رعايا السلطان .

أَبُوظَبِي



إيران
الخليج الفارسي
رأس تنورة
الدمام
الظهران
البحرين
بقيق
الهفوف
قطر
الدوحة
خور العديد
صبربي
أبوظبي
البريمي
سبخة مطي
الظفرة
الساحل الجنوبي للخليج الفارسي

أبوظبي

أبو ظبى اسم جزيرة تقع على مقربة من الطرف الجنوبى الغـربى لساحل الصلح البحرى ، وهو كذلك اسم مدينة على هذه الجزيرة ، واسم امارة ، عاصمتها هى تلك المدينة . وامارة أبو ظبى هى أكبر السبع امارات أو مشيخات التابعة لساحل الصلح البحرى فى شرق جزيرة العرب، التى لها معاهدات خاصـة مع بريطانيا العظمى . والامارات الأخرى الواقعة شرقا على جانبى رأس مسندم الذى يفصل الخليج الفارسى عن خليج عمان ، هى دبى والشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة وكلبا . وهذه الامارات السبع جميعا ، باستثناء كلبا ، تقع على الجانب الغربى للرأس وهذا الجانب هو الذى ينطبق عليه اسم ساحل الصلح البحرى بوجه خاص .

تاريخ أبوظبي

انشئت مدينة أبو ظبي حوالى عام ١١٧٥ هـ الموافق ١٧٦١ م على أيدى عرب من آل بو فلاح [1] ؛ ومن المحتمل أنه قد اشترك معهم فى انشائها أفراد آخرون من قبيلة بنى ياس .

يبدو أن آل بو فلاح كانوا فى الزمن الخالى قبيلة مستقلة لا يزال أصلها وصلاتها الأولى ببنى ياس غامضة مبهمة . والرأى فى أبو ظبى الآن يتجه الى اعتبار آل بو فلاح فخذا من فخوذ بنى ياس .

قد كونت قبيلة بنى ياس الحالية نتيجة لاتحاد عناصر من قبائل شتى . ويقال ان بنى ياس وصلوا الى المناطق المجاورة لما يسمى الآن ساحل الصلح البحرى حوالى العقد السابع أو الثامن من القرن الثانى عشر الهجرى أى نحو منتصف القرن الثامن عشر الميلادى وكان ذلك قبيل انشاء مدينة أبو ظبى . وبعد وصولهم بالقرب من الساحل للمرة الأولى بفترة تزيد على ثلاثين عاما حدثت منافسات أدت الى تقسيم بنى ياس الى بعض الطوائف . ولم تتحقق وحدة الزعامة الا نحو عام ١٢١٠ هـ الموافق ١٧٩٥ م تحت امرة شخبوط بن ذياب من آل بو فلاح الذى حكم بنى ياس وأبو ظبى حتى عام ١٢٣١ هـ الموافق ١٨١٦ م عند ما أنزله من الزعامة ابنه الأكبر محمد . وقد أكره محمد بدوره على التنازل عن الحكم فى عام ١٢٣٣ هـ الموافق ١٨١٨ م لأخيه طحنون الذى كان أصغر

---

(١) يقال ان الموطن الأصلى لآل بو فلاح كان المنطقة المطلق عليها اسم ساحل الحمرة والواقعة فى الجزء الشمالى الشرقى من الظفرة . وقد بحثت صلات آل بوفلاح مع الظفرة فى كتابنا «المناطق الشرقية من مقاطعة الحساء» .

منه . وحكم طحنون فترة من الزمن بمشاركة أبيه ؛ غير أن الابن أخذ بالتدريج يضطلع بالدور الرئيسى .

وصل موحدو نجد الى عمان حوالى عام ١٢١٥ هـ الموافق ١٨٠٠ م ، ولم تحل نهاية عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م حتى كانت قوات نجد قد استولت على البريمى وأخذت تجبى الزكاة من القبائل الى مسافات بلغت رأس الخيمة . وفى عام ١٢٢٣ هـ الموافق ١٨٠٨ م عزل الموحدون سلطان بن صقر شيخ القواسم فى رأس الخيمة وأجلسوا مكانه ابن عمه حسين بن على الذى قيل انه تلقى أوامر معينة بأن يهاجم السفن فى الخليج الفارسى وأن يسلم الى حكومة نجد خمس الغنيمة . غير أن بنى ياس لم يعرف عنهم بالتحديد اذا ما كانوا قد شاركوا القواسم فى هذا العمل أم لا .

وتتيجة لعقد حلف بين بنى ياس وحاكم مسقط حوالى عام ١٢٣٤ هـ الموافق ١٨١٩ م تعرضت علاقات بنى ياس والقواسم لجفاء ، بعد ما كانت حتى ذلك الوقت علاقات ودية . وزادت حـدة الجفاء بين القبيلتين عندما أيد سلطان بن صقر القاسمى محمد بن شخبوط فى الجهود التى بذلها لاسترداد السيطرة على أبو ظبى . أضف الى ذلك أن شيخ القواسم عادى حاكم أبو ظبى وحاكم مسقط معا باستيلائه على البريمى التى كانت قد أعلنت أرضا محايدة عقب اقصاء الموحدين . ولكن وساطة المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى أسفرت عن عقد معاهدة صلح حوالى عام ١٢٤٠ هـ الموافق ١٨٢٤ أو ١٨٢٥ م بين طحنون بن شخبوط من بنى ياس وبين حاكم مسقط وسلطان بن صقر القاسمى .

وفى عام ١٢٤٨ هـ الموافق ١٨٣٣ م اغتيل طحنون بن شخبوط ، اغتاله أخواه خليفة وسلطان . وكان من أول أعمال الحاكمين الجديدين

لأبو ظبى تقديم فروض الطاعة والولاء للنجديين والشروع فى دفع الجزية لهم • وعقب هذا العمل أرسل تركى بن عبد الله أمير نجد الى شيخ القواسم ينبئه أن بنى ياس صاروا تحت حمايته وانه لن يسمح لحدوث اعتداء عليهم •

وبدأ الأخوان خليفة وسلطان يتنازعان السيطرة على أبو ظبى فيما بينهما ومزقت الخلافات الداخلية قبيلتهما من جديد • وفى عام ١٢٤٩ هـ الموافق ١٨٣٣ م انسحب أفراد آل بو فلاسا من الكيان الرئيسى لبنى ياس ، وتركوا أبو ظبى ليستقروا فى دبى • وهذا الانسحاب يؤرخ بدء المنافسة بين الامارتين ، تلك المنافسة التى استمرت حتى يومنا هذا •

حوالى أوائل عام ١٢٥٠ هـ الموافقة لأواسط ١٨٣٤ م بدأ بنى ياس من أبو ظبى يشنون هجمات متعددة على السفن فى الخليج الفارسى ؛ فاعتدوا على بعض السفن التى ترفع الراية البريطانية • فلجأ الانكليز الى اتخاذ اجراءات تأديبية بأن فرضـوا غرامة كبيرة على القبيلة • وفى عام ١٢٥١ هـ الموافق ١٨٣٥ م هرب رجال من فخذ القبيسات من بنى ياس الى العديد ، وذلك فرارا من دفع نصيبهم من الغرامة • وفى شهر صفر ١٢٥٣ هـ الموافق لمايو ١٨٣٧ م ظفر الشيخ خليفة بن شخبوط بترخيص من الانكليز لتأديب المنشقين ، ودمرت بلدة العديد •

وفى عام ١٢٦١ هـ الموافق ١٨٤٥ م قتل الشيخ خليفة بن شخبوط ؛ وبعدما خلا مقعد الحكم فترة كانت مليئة بالاضطراب ، قفز اليه ابن أخيه سعيد بن طحنون • وكان من بين الأعمال الأولى التى قام بها الحاكم الجديد عقد حلف مع القواسم رغبة فى شن حرب على امارات دبى وعجمان وأم القيوين ، غير أن هذا الحلف لم يعمر طويلا ولم يسفر عن عمل عسكرى ما •

فى عام ١٢٦٤ هـ الموافق ١٨٤٨ م بحث موضوع عقد حلف فيما بين عرب ساحل الصلح البحرى وذلك رغبة فى اقصاء الموحدين عن هذه الرقعة . ولما نفد صبر سعيد بن طحنون تجاه الابطاء فى عقد هذا الحلف، انفرد بعمل ضد الموحدين وطردهم من البريمى . واستبدت الغيرة بالعرب البحريين الآخرين تجاه نجاح أبو ظبى . ووجد الشيخ سعيد نفسه أمام ائتلاف معاد له فاضطر ازاء ذلك الى الانسحاب من البريمى ، وأعيدت المنطقة الى سيطرة النجديين .

وفى عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م هاجرت القبيسات من أبو ظبى الى العديد مرة ثانية واستقرت فيها . وطلب زايد حاكم أبو ظبى من المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى أن يسمح له بالزحف على العديد غير أن السكان تمكنوا من أن يصمدوا حتى أقصاهم الانكليز فى عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م . وقد فر أغلبهم يومذاك الى الدوحة فى قطر حيث احتموا بالشيخ قاسم بن محمد آل ثانى . ومكثوا هناك الى نحو عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م عندما عادوا الى أبو ظبى عقب العفو عنهم .

نشب قتال فى عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م بين قاسم آل ثانى وبين أبو ظبى . ومن أسباب ذلك الاغارات التى قامت بها القبائل الخاضعة لولايتهما . ولكن القتال لم يسفر عن نتيجة حاسمة .

تولى زايد بن خليفة الحكم باعتباره أمير أبو ظبى من عام ١٢٧١ هـ الموافق ١٨٥٥ م الى ١٣٢٦ هـ الموافق ١٩٠٨ م فزادت هيبته فى هذه الحقبة حتى أصبح أقوى رجل على ساحل الصلح البحرى وأصبحت أبو ظبى من أهم دول هذه المنطقة . ولما زار كوكس ساحل الصلح البحرى فى عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م كان زايد قد تجاوز الثمانين

من عمـره . وقال كوكس ان نفـوذه انتشر الى ما وراء البريمى بكثير . وكان يملك بساتين كبيرة من النخيل فى البريمى نفسها . ومات زايد قضاء وقدرا فى عام ١٣٢٦ هـ الموافق ١٩٠٨ م وكان فى نحو التسعين من عمره . وترك وراءه سبعة أبناء . وقد رفض خليفة ، وهو أكبر هؤلاء الأنجال ، منصب الحاكم : فارتقى الحكم النجل الثانى طحنون وظل فى هذا المنصب حتى وفاته فى عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١٢ م .

يبدو أن حمدان ، النجل الثالث لزايد ، الذى خلف طحنون والذى بقى الحكم فى يديه بين عامى ١٣٣٠و١٣٤٠ هـ الموافقين ١٩١٢و١٩٢٢ م ، كان أكفأ أبناء زايد . فقد نجح فى صون النظام وفى الاحتفاظ الى حد ما بالمنزلة الرفيعة التى ظفر بها أبوه لأبو ظبى . ونحو عام ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢٢ م اغتيل حمدان بيد أخيه سلطان الذى حكم الامارة حكما مزعزعا حتى عام ١٣٤٦ هـ الموافق ١٩٢٧ م . وتمكن آخر الأمر اثنان أو ثلاثة من البدو الذين كانوا قد خدموا حمدان المغتال ، من اقناع صقر ، وهو أخ أصغر له ، بأن ينضم اليهم للانتقام لقتل حمدان . فكمن صقر مع أحد زعماء البدو لسلطان ذات يوم وأردياه قتيلا بالرصاص بينما كان يصعد الدرج فى قصره الشمالى فى أبو ظبى ليصلى صلاة المغرب . ولم يدم حكم صقر الا الى عام ١٣٤٧ هـ الموافق ١٩٢٨ م . وعقيب قتله أخيه ، نشبت بينه وبين المناصير منازعات كان السبب الأول لها أنه رفض أن يدفع لرجال القبيلة مثل ما اعتادوا أن يتلقوه من حكام آل بو فلاح. وقد أدى هذا الموقف آخر الأمر الى تآمر صقر على اغتيال أخيه الأكبر خليفة الذى كان مصاهرا للمناصير ، واغتيال محمد وهو نجل خليفة . ولما درى أنصار خليفة من المناصير فى أبو ظبى بالمؤامرة ، اتفقوا مع عبد مسن لحمدان على احباط خطط صقر بقتله . فكان العبد أول من أطلق

النار على صقر ولكنه أخطأه وحاول صقر أن يلوذ بالفرار . على أن أحد زعماء المناصير أرداه قتيلا •

بعد ما تخلص المناصير من صقر حاولوا أن يعززوا موقفهم فى أبو ظبى بأن ينصبوا محمد بن خليفة حاكما جديدا • غير أن محمدا الذى كان ميسور الحال يؤثر راحة البال فى حياته الخاصة رفض هذا الشرف • فوقع الاختيار بعده على شخبوط . وهو أكبر أبناء سلطان . وكان اذ ذاك شابا فى العقد الثالث من عمره • وظل شخبوط حاكما حتى يومنا هذا •

لا تزال المنافسة والخصومة القديمة بين أبو ظبى وآل بو فلاسا من دبى مستمرة لا يخفف من حدتها شىء • وحوالى عام ١٣٦٣ — ١٣٦٤ هـ الموافق ١٩٤٤ — ١٩٤٥ م حاول سعيد بن مكتوم حاكم دبى أن يرد تخوم أبو ظبى الى الجنوب بأن يضع قدمه على خور غناضة • وترتب على ذلك نشوب معارك متقطعة دامت بضع سنوات بين قبائل البدو فى الداخل. وكان من الممكن أن تستمر الحرب دائرة بين القوات الرئيسية للامارتين لو لم تتدخل بريطانيا وتفرض هدنة عليهما فى عام ١٣٦٦ هـ الموافق ١٩٤٧ م • ويقال ان الانكليز تدخلوا أخيرا مرة ثانية رغبة فى تعيين تخوم معترف بها بين الدويلتين •

حدود أبو ظبي وأراضيها

ان حدود أبو ظبى لم يسبق تحديدها بمقتضى اتفـاقات دولية ، وليس من المستطاع فى الآونة الحاضرة الا أن نوضح ، على وجه عام ، المدى الذى تمتد اليه الأراضى الخاضعة لسيطرة حاكم أبو ظبى .

يدعى حاكم أبو ظبى بنفسه ملكية أراض واسعة تمتد على طول الساحل من خور العديد فى الغرب الى نقطة تقع بين أبو ظبى ودبى فى الشرق ، وتمتد كذلك برا الى مسافة غير معينة حتى تشمل معظم ديرة المناصير وان لم تكن كلها ، وجزءا من اقليم الجواء ان لم يكن كله ، وجزءا من واحة البريمى ان لم تكن كلها .

وفى عام ١٣٥٥ هـ الموافق ١٩٣٦ م ذكر الشيخ شخبوط أن حدود سلطته تمتد من غناضة التى تقع على الساحل ولا تبعد كثيرا الى الشمال الشرقى عن مدينة أبو ظبى ، الى جزيرة دلمـا جنوب شرقى قطر ، وفى الداخل من الوكرة الواقـعة على ساحل قطر شمالى خور العديد الى البريمى .

وقيل فى أواخر العام ذاته ان هذا الحاكم وصف الحدود فى صورة تختلف بعض الشىء عن الوصف السالف الذكر ، فجاءت كما يلى :

فى الغـــرب — سوداء ثيل ، وهى مورد ماء يقع جنوب غربى خور العـــديد .

فى الجنوب — القرين وعقدة (وموضع هاتين البقعتين غير مقطوع به ، غير أنه يبدو من المرجح أن الحاكم كان يقصد موردين يقعان الى الغرب أو الجنوب الغربى من سبخة مطى) .

في الشمال الشرقي — الجبل العالي (ويسمى الجبيل أيضا) وهو
جبل صغير يقع بين أبو ظبي ودبي : ولطالما
تنازعته الدولتان .

في الشمال الغربي — جزيرة حالول .

وقد ذكر شخبوط في الوقت نفسه أنه يمتلك ما يقرب من ثلاثمائة جزيرة مختلفة المساحات . ومن أكبرها صير بني ياس والياسات (وتعرف بالياسين أيضا) ودلما وغاغة .

وتدل المعلومات التي يمكن الرجوع اليها على أن آل بو فلاح من أبو ظبي لا تمارس السيطرة الفعالة الا على منطقة أصغر بكثير مما ذكر . ففي الغرب تدعي المملكة العربية السعودية بالسيطرة على جزء كبير من الساحل بين أبو ظبي وقطر ؛ ولا تعدم هذه المملكة حججا تستند اليها في هذا الادعاء . أما في الداخل فان الحدود الجنوبية التي تدعي بها أبو ظبي لا تتفق مع الحدود الشمالية والشرقية التي تدعي بها المملكة العربية السعودية . ويقطن رجال من بني ياس في بعض القرى الواقعة في منطقة الجواء وهم يعترفون بزعامة حاكم أبو ظبي ويدفعون له حصة من محصولات تمرهم . ذلك في الوقت الذي يسكن بعض القرى الأخرى الواقعة في المنطقة ذاتها رجال من المناصير الذين يعترفون بحكم المملكة العربية السعودية ويؤدون الزكاة لحكومة تلك المملكة [1] . هذا والسلطة التي يباشرها حاكم أبو ظبي في البريمي سلطة لا يعرف مداها كما سبق القــول .

ووضع الجزائر الواقعة تجاه هذا الجزء من الساحل الجنوبي للخليج يعد موضوعا لدراسة قائمة بذاتها ، وحقيقة وضعها مثار شك .

---

(١) يوجد بحث مفصل في موضوع الجواء وولاء سكانها في كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » .

جزيرة أبو ظبي ومدينتها

يقع برج فى مدينة أبو ظبى على الساحل الشمالى للجزيرة عند خط العرض الشمالى ٢٤°٢٩'٠٢'' وخط الطول الشرقى ٥٤°٢١'٤٢'' • والجزيرة مثلثة الشكل بوجه عام ، يمتد أطول جوانبها صوب الجنوب • ويبلغ أقصى طولها نحو أحد عشر ميلا وأقصى عرضها نحو خمسة أميال •

يفصل جزيرة أبو ظبى عن البر خوران كبيران هما خور البطين من الجنوب وخور لفان (أو خور أبو ظبى) من الشمال الشرقى • وثمة ذراع ضيقة من البحر تسمى المقطع تقع عند الطرف الجنوبى الشرقى للجزيرة ، وهو أقرب الأجزاء الى البر ، ويعد المقطع الذى يمكن اجتيازه خوضا وقت الجَزْر الطريق الرئيسية للوصول الى أبو ظبى من ناحية البر • ويشرف على المرور فى هذا المعبر قصر صغير تابع لحاكم أبو ظبى • وقد بنى القصر على الرمل فى البحر ويحيط به الماء وقت المد • ويقال ان عدد حامية هذا القصر يتراوح بين عشرين وخمسين من البدو الذين ينتمون الى قبائل مختلفة •

يتفرع من المقطع طريقان تفضيان الى مدينة أبو ظبى الواقعة على جانب الجزيرة المطل على البحر • وتخترق الطريق الجنوبية قرية البطين الواقعة على خور البطين ، ويسكنها فى الأغلب رجال من آل بو مهير من بنى ياس ورجال من قبيلة السودان •

تقع مدينة أبو ظبى كما ذكرنا من قبل على الساحل الشمالى للجزيرة ، وهى تواجه البحر • ويقال ان المرسى هناك مرسى جيد لعمق الماء فيه ،

الا أنه غير مأمون البتة . وثمة بندر أكثر منه أمانا يقع فى الجنوب داخل خور البطين غير أن ماءه ضحل جدا بحيث لا ترسو فيه الا القوارب .

قد يقارب عدد سكان أبو ظبى عشرة آلاف نسمة . وتتألف المدينة فى الأغلب من أكواخ مصنوعة من سعف النخيل ومن مبان قليلة مشيدة من أحجار ، ومن بين هذه المبانى تجد المسجد الكبير وقصرين للحاكم .

تستمد أبو ظبى ماءها من آبار قليلة تقع جنوبى المدينة ومن حفر ضحلة تقع على مقربة من قلب الجزيرة ، ويقال ان ماءها ردىء . وتجلب مقادير أخرى من الماء بواسطة القوارب من برك صخرية تقع فى جزيرة مجاورة ويباع هذا الماء فى الأسواق .

ومع أن بالجزيرة حقولا صغيرة مزروعة ، فان معظم أرضها جرداء رملية . وثمة جهد ضئيل يبذل فى الرى . والتمر الذى تغله هذه الأراضى ردىء الصنف يستخدم علفا للماشية . أما المئونة الرئيسية من التمر الذى يأكله أهالى أبو ظبى فترد من قرى البريمى ومن عمان .

ساحل أبو ظبى

تمتد أراضى أبو ظبى على الساحل الجنوبى للخليج الفارسى مسافة لم تعين شرقى العاصمة وغربيها بحيث تتاخم أراضى دبى من ناحية والمنطقة التى تدعى بها المملكة العربية السعودية من ناحية أخرى .

وفى اتجاه دبى يتكون الساحل فى الأغلب من « أرض جدباء مستوية تمتد على وتيرة واحـــدة » ومن سباخ محاذية للبحر فى أكثر المســـافة ومساحات شاسعة من الرمال واقعة بالقرب من الساحل ، وهذه المساحات هى الذراع الشمالية للربع الخالى . وتتراوح المسافة بين أبو ظبى ودبى بين خمسة وسبعين ميلا وثمانين ميلا . وعلى طول مسيرة عشرين ميلا تمتد الى الشمال الشرقى من مدينة أبو ظبى تجد مجموعة من الجزائر والشعاب تفصل ساحل اليابسة عن مياه الخليج الفارسى . أما ما يترتب عن ذلك من منعطفات وخيران بحرية ، فانها لم ترسم بالدقة على أية خريطة من الخرائط المطبوعة .

وعلى مسيرة عشرين ميلا تقريبا من مدينة أبو ظبى يقع نتوء صغير على الساحل اسمه رأس الصدر . وعلى مقربة منه أنشأت شركة استثمار البترول (ساحل الصلح البحرى) قاعدة لأعمالها . وعلى مسيرة نحو اثنى عشر ميلا من رأس الصدر يقع خور غناضة الذى كان مسرحا للنزاع بين أبو ظبى ودبى فى أوقات مختلفة .

وبعد سيرك نحو أربعة أخماس المسافة من أبو ظبى الى دبى تجد على مسافة غير بعيدة من الساحل المعلم البارز الوحيد فى هذا الاقليم وهو جبل مستوى القمة يبلغ ارتفاعه نحو مائتى قدم فوق السهل ويعرف باسم

الجبل العالى أو الجبيل . ويبدو أن حاكم أبو ظبى يرغب فى بعض الأحيان أو على الدوام فى أن تمتد أراضيه شمالا حتى تبلغ هذه النقطة التى يمكن أن يقال انها تصلح لرسم حد من الحدود . غير أن رغبة الحاكم لن تذهب به الى ما هو أبعد من هذا كثيرا لأن ثمة قريتين صغيرتين على الساحل ، على مسيرة بضعة أميال من الجبل العالى ، تقعان بلا شك خارج دائرة سيطرة أبو ظبى . وهاتان القريتان هما أم سقيم وجميراء .

وادعاءات الحاكم الى الغرب من مدينة أبو ظبى تمتد على طول الساحل حتى قطر . ومع ذلك فان المملكة العربية السعودية تدعى بما يقع غربى نقطة على ساحل الظفرة بين بندر المرفأ وبندر المغيراء ، ، وسنتحدث عن هذا الجزء من الساحل فى فصل آت من هذا البحث .

وقد وصفت البحرية البريطانية فى كتابها « مرشد الخليج الفارسى » الساحل الممتد على مسيرة ثلاثين ميلا الى الجنوب الغربى من مدينة أبو ظبى بأنها منطقة « تتكون من مجموعة من الجزيرات الواطئة تتخللها الخيران البحرية التى تلتقى خلفها وبذلك تفصلها عن البر الذى يقع على مسافة لا يستهان بها عن الجزيرات وهذا البر لما يدرس . ويزور العرب الكثير من هذه الجزيرات والبر الواقع وراءها . أما الخيران فيزورها الصيادون . ويقال ان لهذه الخيران مداخل ضحلة ثم يزداد عمق مائها فى الداخل » . وكما سبق القول فان هذه المنطقة لم تدرس على صورة صحيحة ، ولذلك فان رسمها على الخرائط المطبوعة ينبغى ألا يعول عليه كثيرا .

وعلى العموم ، كلما تقدم المرء غربا ألفى الجزائر متناثرة على مسافة بعيدة بعض الشىء من ساحل البر . وما فتئت أشكال هذه الجزائر غير معروفة بوجه الدقة وكذلك سير الساحل ، وقد كتبت أسماء بعض الجزائر خطأ فى الخرائط المطبوعة . ولا يتردد العرب فى الآونة الحاضرة على

هذه الجزائر وعلى الجزيرات الواقعة خلفها هنا وبالقرب من مدينة أبو ظبي كما كان الشأن فيما مضى عندما كان العرب الذين ألفوا السطو على تجارة الخليج يحتمون هناك من المراكب الحربية البريطانية • ويبدو أن معظم الرجال الذين يصطادون او يحتطبون فى هذه البقاع هم من بنى ياس ، ومع أنهم يمكثون فترات من الزمن فى أكواخ يقيمونها على الساحل فانهم لا يملكون بيوتا مستقرة على الساحل •

تكثر البنادر على طول الساحل بين أبو ظبي وقطر ، وهى معروفة تماما للبحارة العرب الذين يجوبون هـذا القسم من الخليج وللبدو والقرويين من سكان الداخل ، وهم ينزلون فيها ويبحرون منها بين حين وآخر • وقد وردت أسماء هذه البنادر غير الآهلة بالسكان فى كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » • ومن بين تلك التى ورد ذكرها فى ذلك الكتاب المغيراء والرديم والرويس الشرقية (وهى تعرف أيضا برويس الرديم) التى تقع كلها شرقى الساحل الذى تدعى به المملكة العربية السعودية • وبمعنى آخر يجوز لنا أن نفترض أن هذه البنادر الثلاثة تتبع أبو ظبي دون نزاع •

ينبغى أن نوجـه النظر مرة أخرى الى اقتصـارنا هنا وفى كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » على ملاحظات عابرة لجزائر هذا الجزء من الخليج ، فان ثمة بحثا منفصلا سنخصصه لهذا الموضوع •

الأراضى فى الداخل

وصفنا فى كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » المناطق الواقعة الى الجنوب والجنوب الغربى من أبو ظبى ، وهى الطف والحمرة والختم والجواء . وقـد تحدثنا عن اقليم البريمى فى مكان آخر من البحث الحالى . أما الأراضى الواقعة بين أبو ظبى والبريمى مما يبدو أن حاكم أبو ظبى يدعى به ، فانها على شكل رباعى يتكون من خطوط تربط بين أبو ظبى والعانكة والبريمى ونقطة تقع فى مكان ما على الساحل بين أبو ظبى ودبى . وبما أن الربع الخالى يمتد شمالا ليشغل معظم المنطقة المتوسطة بين السـاحل والبريمى ، فان الجزء الأكبر من هـذا الشكل الرباعى يقع فى الرمال . والكثبان الرملية واطئة فى منطقة مفلّجة[1] التى تقع وراء الساحل على مقربة من أبو ظبى ، ولكن الكثبان تتدرج فى الارتفاع فى الاتجاه شرقا . وتجد سباخا كثيرة فى مفلجة بالقرب من الساحل وكذلك تجد سيوحا عديدة كلما توغلت فى الداخل .

وتقع منطقة الويدية الى الشرق من مفلجة ، وفيها عدد من الوديان كما يبدو من اسمها . ويقال ان الحد الشرقى للويدية هو الدرب الذى يسير من البريمى الى دبى والشارقة .

ومع أن الأراضى الداخلة ضمن الشكل الرباعى المذكور سالفا مقفرة على وجه العموم ، فان قدرا لا يستهان به من الأعشاب البرية ينمو هناك فى بعض فصول السنة ، وتظهر خريطة انكليزية حديثة ما يزيد على أربعين

---

(١) ومفلجة هى جزء من منطقة كبيرة تعرف بطف عمـان أو الحبل (وفى بعض الأحيان يستعملون هذا الاسم فى صيغة الجمع ويقولون الحبال) .

موردا للماء فى الويدية وبجوارها ، وتقع معظم هذه الموارد على جانبى الويدية الجنوبى والشرقى أو على مسافة غير بعيدة منهما • أما موارد مفلجة فيقال انها أقل عددا • ويبدو أن ما فى جميع هذه الموارد من ماء ليس على شيء يذكر من العذوبة ، وليس حول مورد منها سكنى دائمة •

وثمة عـــدد من الدروب التى تعبر المنطقة الواقعـــة بين أبو ظبى والبريمى ، وان كان يقال انه ليس هناك الا طريق رئيسية واحدة للنقل بالسيارات بين البلدتين • ويبدو أن هذه الدروب ، وشأنها فى ذلك شأن الكثير من الدروب الصحراوية ، تتباعد ثم تتصل من جديد كلما سارت من مورد الى آخر من موارد الماء القائمة على طول الطريق •

قبائل أبوظبي

أقوى القبائل فى المنطقة الخاضعة لسيطرة أبو ظبي هى بنى ياس ويتزعمها آل بو فلاح . وثمة عدد من القبائل الأخرى يقطن بعض رجالها فى هذه المنطقة أو يطوفون بها ، وبعض هؤلاء الرجال يعترفون بسيادة آل بو فلاح عليهم وبعضهم يعتبرون أنفسهم من رعايا المملكة العربية السعودية ، وما فتئت بعض القبائل تنتقل مستقلة تحت لواء زعمائها .

قبيلة بنى ياس قبيلة كبيرة ولكنها لا تزال مفككة العرى بعض الشىء، ومرد هذا الى أنها كانت أصلا مجموعة من عناصر مختلفة . ومعظم رجالها من الحضر ، وظل كثيرون منهم يعملون بحارة أجيالا . وتضم القبيلة عددا قليلا من البدو ، وهؤلاء ، وهم يسكنون الأكواخ لا بيوت الشعر ، لا يرتحلون كثيرا كما يفعل الرحل فى الأجزاء الأخرى من جزيرة العرب . ويقيم اثنا عشر فخذا أو أكثر من فخوذ هذه القبيلة فى أراضى أبو ظبى . ومن بين تلك الفخوذ آل بو حمير والهوامل والمحاربة والقبيسات والرميثات والرواشد (وينبغى ألا نخلط بين هذا الفخذ وقبيلة آل راشد المستقلة) .

وقد ورد ذكر آل بو فلاسا الذين انفصلوا عن صلب بنى ياس فى عام ١٢٤٩ هـ الموافق ١٨٣٣ م وأنشأوا بلدة دبى . وما فتئت العداوة بين آل بو فلاسا وآل بو فلاح قائمة حتى اليوم . ومع هذا فان ثمة جماعة من آل بو فلاسا بزعامة على بن سلطان ، وهو ابن عم سعيد بن مكتوم حاكم دبى ، لا تزال تعيش تحت سيطرة آل بو فلاح فى أراضى أبو ظبى .

وبالاضافة الى الفخوذ التى تبدو تبعيتها لبنى ياس فوق مثار الشك فى الآونة الحاضرة ، فاننا نجد قبـــائل وفخوذا أخرى ما فتىء وضعها غامضا ، ويعتقد بعض الناس أنها تتبع بنى ياس ويرى بعضهم أنها لا تزال تحتفظ بكيانها الذاتى ، رغم الروابط الوثيقة التى تربطها ببنى ياس[1] • ومن أمثال هذه تجد الظواهر الذين تتركز قوتهم الكبرى فى خمس قرى فى البريمى ، وآل بو مهير ، وغيرهم ممن يقل عنهم شأنا • ورجال المزاريع ، وهم كثرة ذات نفوذ ، لهم وضع خاص يثير الاهتمام ، فيقال انهم كانوا يتبعون المناصير أصلا ، ولكنهم يعتبرون الآن بصفة عامة تابعين لبنى ياس حيث أنهم يعيشون معهم ويبذلون لهم تأييدهم • ومن بين زعماء المزاريع الذائعى الصيت فارس بن غانم ، وهو من أبرع المقاتلين فى الحروب العربية على ساحل الصلح البحرى • ومن الميسور أن تنشأ حالة مشابهة لهذه عندما يرتبط رجال قبيلة ما بأحلاف كثيرا ما تفرض عليهم فى بدء الأمر بمقتضى ظروف خارجية ، ولا يرتبطون من حيث تحدرهم من جد واحد •

لما كان رجال آل بو فلاح يحكمون مدينة صغيرة نسبيا يمكن أن تقع فريسة لرجال القبائل المعادية فى الداخل، فانهم انتهجوا سياسة عقد محالفات مع القبائل المجاورة ومعاملة زعماء هـــذه القبائل معاملة كريمة • وقد اتبعت هذه السياسة بعزم فى خلال السنوات القليلة الماضية ، وكان القائم على تنفيذها زايد بن سلطان ، ممثل آل بو فلاح فى البريمى ، وهو يتمتع بحظوة عند البدو أكثر من أخيه الأكبر شخبوط حاكم أبو ظبى • وثمة عدد من القبائل ، من بينها الحكمان الذين يقيمون فى الناحية الجنوبية الشرقية من عمان ، ترتبط على هذا المنوال مع آل بو فلاح بعلاقات ودية • وفى الوقت نفسه لم تتحقق الأهداف الرئيسية من هذه السياسة لأن

---

(١) ورغبة منا فى التبسيط اعتبرناها تابعة لبنى ياس لاغراض هذا البحث •

الأواصر القديمة مع المناصير قد انفصمت الى حد بعيد ، ولم تصب الجهود التى بذلت لكسب رجال نعيم فى البريمى نجاحا .

أما تاريخ العلاقات بين المناصير وآل بو فلاح فهو مدرج فى كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » . ومع كل ما يقال من أن بعض المناصير ممن يتنقلون شمالا فى منطقتى مفلجة والويدية قد أبقوا على شىء من صداقتهم القديمة لآل بو فلاح ، فان القبيلة فى مجموعها ، وبخاصة العناصر الرئيسية التى تقيم فى الظفرة ، تدخل فى الفلك السعودى . والمناصير يميلون فى الآونة الحاضرة ، من حيث سياسة ساحل الصلح البحرى ، الى آل بو فلاسا أكثر مما يميلون الى آل بو فلاح .

ويجوس كذلك بعض رجال القبائل الأخرى ممن يعدون أنفسهم من رعايا المملكة العربية السعودية ، وبعض رجال القبائل المستقلة استقلالا تاما ، فى بعض الأحايين خلال المثلث المؤلف من أبو ظبى والبريمى ودبى . ولا يحاول حاكم أبو ظبى أو رجاله أن يحدوا من حركات هؤلاء القوم أو أن يجبوا منهم الزكاة أو غيرها من أنواع الضرائب .

اقتصاد أبوظبي

يقوم اقتصاد مدينة أبو ظبى على الملاحة والتجارة وصيد السمك واستخراج اللآلىء من مياه الخليج . والنشـــاط الاقتصادى فى مفلجة والويدية يعتمد على تربية الماشية ورعيها فقط ، وهذا ما يقوم به السكان البدو المشتتون هنا وهناك .

من الأسواق المختلفة فى مدينة أبو ظبى تلك المسماة بسوق البانيان ، وهى مقر مجموعة من التجار الهنود الذين يعدون من أكبر الطوائف شأنا فى أبو ظبي من الوجهة المالية على الأقل . وفى الحق اننا اذا استثنينا النفوذ الاقتصادى الذى تتمتع به الأسرة الحاكمة ، وهو النفوذ القائم على ماتملك من أراض وما تحصل من ضرائب وما اليها ، فيبدو أن التجار الهنود يتمتعون بالمركز الاقتصادى البارز .

وظاهر أن الملاحة قد انحطت وكذلك صيد الأسماك والغوص على اللآلىء فى خلال الخمسين سنة الماضية ، وهى مدة أصبحت فيها مدينة أبو ظبى أقل شأنا من كلتا الشارقة ودبى . فكانت البواخر البريطانية تزور دبى ولا تزور أبو ظبي ، وأنشأ الانكليز مصرفا فى دبى ولم ينشئوا مثله فى أبو ظبى . وقام سلاح الطيران الملكى البريطاني وشركة الطرق الجوية البريطانية لما وراء البحار بنشاط فى الشارقة ، وكانت الطائرات المائية تهبط فى الخور بدبى ، فى الوقت الذى ظلت فيه مدينة أبو ظبى متخلفة تخلفا كبيرا فى عصر الطيران هذا .

فى خلال الأعوام القليلة الماضية حدث تحول جديد بعث آمال أبو ظبي فى استرداد زعامتها السابقة على ساحل الصلح البحرى . وحاكم أبو ظبي يعلم جيد العلم المزايا التى سيتمخض بها العثور على الزيت فى بلاده ، فنحو عام ١٣٥٤ هـ الموافق ١٩٣٥ م منح مندوبا انكليزيا يمثل شركة النفط الانكليزية الفارسية ، وكانت بدورها تمثل شركة نفط العراق ، منحه مهـلة مدتها عامان . وفى نفس الوقت تقريبا منح معظم حكام ساحل الصلح البحرى تلك الشركة مثل تلك المهلة . ونحو عام ١٣٥٥ هـ الموافق ١٩٣٦ م أنشئت شركة اسـتثمار البترول (سـاحل الصلح البحرى) ، وهى ضمن مجموعة الشركات المتصلة بشركة نفط العراق ، برأس مال قدره مائة ألف جنيه ، بقصد القيام بالأعمال على ساحل الصلح البحرى . وفى شهر ذى القعدة عام ١٣٥٧ هـ الموافق ليناير ١٩٣٩ م منح حاكم أبو ظبى شركة استثمار البترول (ساحل الصلح البحرى) امتيازا مدته خمسة وسبعون عاما . ولم تعرف نصوص هذا الامتياز بالتفصيل ولا مدى المساحة التى سمح بالتنقيب فيها . وظلت الشركة فترة من الزمن تحفر فى البر الى الشمال الشرقى من جزيرة أبو ظبى ، غير أنها ، فيما يعرف ، لم تجد زيتا حتى الآن . وقامت الشركة كذلك بعمل ضخم للتنقيب عن الزيت فى الداخل حتى بلغ نشاطها البريمى فى الشرق والمنطقة المجاورة للحافة الشرقية لسبخة مطى فى الغرب . وطبيعى أن يساعد تركيز اهتمام الشركة وأعمالها فى المناطق التى تملكها أبو ظبى أو تدعى بها على انعاش هذه الدويلة انعاشا اقتصاديا ملموسا .

العلاقات بين أبوظبي وبريطانيا العظمى

بدأت العلاقات الرسمية بين أبو ظبى والانكليز فى عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م عندما حضر فى رأس الخيمة عدد من زعماء الساحل . عقب استيلاء الانكليز على تلك المنطقة ، لتوقيع معاهدة عامة تتضمن تعهدا نصه « أن يزال النهب والغارات فى البر والبحر من طرف العرب المشروطين فى كل الأزمان » . وممثل أبو ظبى هو شخبوط ابن ذياب نائبا عن ابنه طحنون الذى كان اذ ذاك حاكما للدولة .

وقد أشرنا قبلا الى الاجراءات التأديبية التى اتخذها الانكليز ضد أبو ظبى فى عام ١٢٥٠ هـ الموافق ١٨٣٤ م . وفى العام التالى أقنع الانكليز زعماء الساحل بأن يقبلوا أول صلح أو هدنة بحرية تسرى لمدة ستة أشهر . وقد سار الصلح سيرا طيبا حتى لقد جدد مرة تلو الأخرى الى أن استبدل بمعاهدة صلح دائمة اتفق فيها على « أنه من تاريخ يوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٦٩ هجرى مطابق الرابع من شهر مى سنة ١٨٥٣ عيسوى الى ما بعد ينقطع الحرب والجدال فى البحر فيما بين دعايانا والمتعلقين علينا وليستقيم بين الجميع منا ومن يعقبنا صلح تام فى البحر على الدوام » . ووقع هذه المعاهدة رؤساء أم القيوين وعجمان ودبى وبنى ياس والقواسم ، ومثل سعيد بن طحنون بنى ياس أى أبو ظبى . واتفق فضلا عن ذلك على أنه اذا حدث اعتداء فيحتكم الى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى أو الى القائد البحرى البريطانى .

وتضمنت المعاهدة العامة لعام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م مادة تستنكر خطف الرقيق من سواحل افريقيا وغيرها من المواضع ، وتعد ذلك سلبا

وقرصنة . ولكن لما لم يكن لهذه المادة تأثير في الاقلال من شأن النخاسة ، فقد اقنع شيوخ ساحل الصلح بأن يوقعوا أربعة اتفاقات أخرى في هذا الموضوع بين عام ١٢٥٤ وعام ١٢٧٢ هـ الموافقين ١٨٣٨ و ١٨٥٦ م . واشتركت أبو ظبى فى توقيع كل من هذه الاتفاقات .

وفى عام ١٢٨٤ هـ الموافق ١٨٦٧ م تعاون زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى مع حاكم البحرين فى مهاجمة ساحل قطر . ولما هددت المراكب الحربية البريطانية أبو ظبى ، وقع زايد اتفاقا آخر تعهد فيه بألا ينقض الصلح البحرى ، كما تعهد بأن يدفع غرامة قدرها خمسة وعشرون ألف ريال ، وقد أعيد اليه معظم هذا المبلغ فيما بعد باعتباره مكافأة عن مسلكه الحميد فى الأيام التى تلت فرض الغرامة عليه .

وعقدت عدة اتفاقات أخرى مع الانكليز فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى وأوائل القرن الرابع عشر الموافقة للنصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ، وأهمها الاتفاق الخاص الذى عقد فى عام ١٣٠٩ هـ الموافق ١٨٩٢ م والذى بمقتضاه تعهد زايد حاكم أبو ظبى بما يلى :

> انى لا أدخل أبدا فى قرار مّا ولا محاورة مع أحد من الدول سوى الدولة البهية الانكليس بغير رضاء الدولة البهية الانكليس لا أقبل أن يسكن فى حوزة ملكى وكيل من دولة غير الدولة البهية الانكليس — أبدا لا أسلم ولا أبيع ولا أرهن ولا أعطى للتصرف او للتبؤ بنوع ما شيئا من ممالكى لأحد الا للدولة البهية الانكليس .

وفى الوقت عينه وقع رؤساء ساحل الصلح البحرى الآخرون اتفاقات خاصة صيغت بذات الصيغة .

وكذلك يبدو جليا نمو النفوذ البريطانى فى أبو ظبى فى خلال القرن الثالث عشر الهجرى الموافق للتاسع عشر الميلادى فى تاريخ المجادلات

المتقطعة التى دارت بشأن منزلة العديد ، فما برح الانكليز فى هذه المجادلات يؤيدون أبو ظبى فى ادعائها بالسيطرة على هذه القرية الواقعة على الساحل الجنوبى للخليج على مسافة نائية من أبو ظبى وعلى مقربة من قطر .

وفى عام ١٣٢٠ هـ الموافق ١٩٠٢ م وافق زايد والرؤساء الآخرون على منع استيراد السلاح واصداره لغرض البيع .

ويبدو أنه فى عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م قلقت الحكومة البريطانية بسبب موقف السلطات التركية العدائى فى قطر ، ولذلك فانها عقدت اتفاقا مع زايد اعترفت به بالمنطقة المجاورة لخور العديد أرضا تابعة له وضمنت منع أى طرف ثالث عن احتلالها .

وبمرور الوقت ازداد نفوذ الانكليز السياسى اتساعا بين جميع امارات ساحل الصلح البحرى . ومما ساعد على زيادة هذا النفوذ وجود مراكب حربية بريطانية ، وسريان الصلح البحرى ، فضلا عن السلطة التى تمارسها الحكومة البريطانية فى سعيها لقمع النخاسة وتهريب السلاح . وفى النهاية عززت هذه المنزلة السياسية الخاصة التى ظفر بها الانكليز بمنزلة اقتصادية خاصة . وان تعهدات عام ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢٢ م المتعلقة بالزيت لتتفق مع روح الاتفاقات الخاصة التى عقدت فى عام ١٣٠٩ هـ الموافق ١٨٩٢ م . وقد وافق أمير دبى فى عام ١٣٤٠ على أنه « اذا كان من المرتقب اكتشاف الزيت فى أراضينا ، فلن نمنح أى امتياز فى هذا الصدد الى أحد باستثناء من تعينهم الحكومة البريطانية السامية » . أما تعهدات حاكم أبو ظبى وغيره من أمراء ساحل الصلح البحرى ، فانها تشابه هذا التعهد فى جوهرها . أما تاريخ البحث عن الزيت فى امارة أبو ظبى منذ هذا التعهد ، فقد روى بالايجاز فيما سلف .

أما وجهة النظر الرسمية للحكومة البريطانية فهى أن أبو ظبى دولة مستقلة ، شأنها فى ذلك شأن غيرها من امارات ساحل الصلح البحرى . فهى لا تعد محمية بريطانية بل توصف بأنها خاضعة لحماية[1] بريطانيا أو أن لها معاهدات خاصة مع الحكومة البريطانية . وان جميع المعاملات التى تتناولها امارات ساحل الصلح البحرى مع الدول الأجنبية عدا بريطانيا العظمى لتجرى عن طريق الحكومة البريطانية باعتبارها وسيطا ، وينطبق هذا حتى فى معاملات هذه الامارات مع حكومات الدول العربية المجاورة لها .

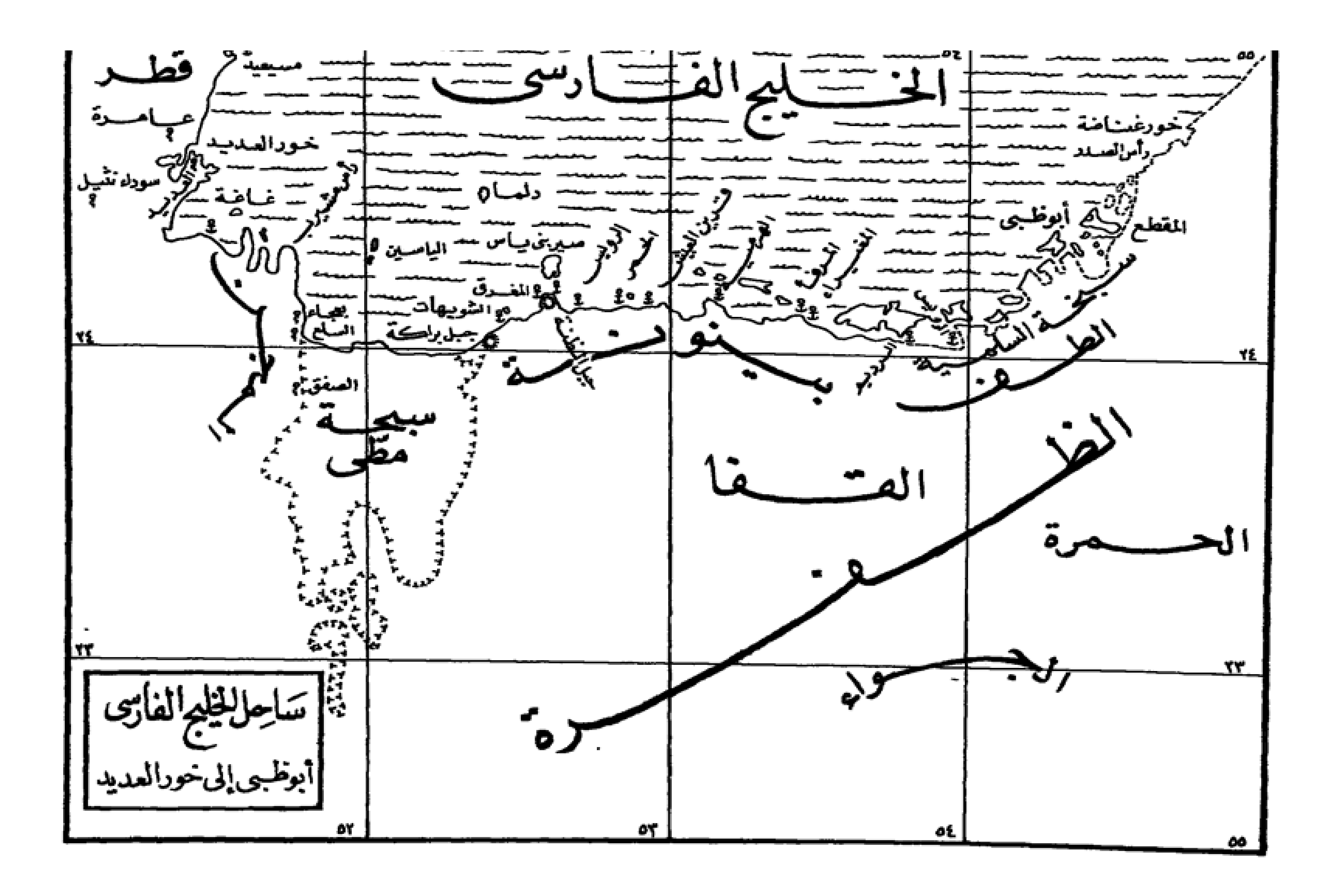
---

(١) ان التفرقة بين المحمية وبين الدولة الخاضعة للحماية ، هى تفرقة مقصودة ، وليست مجرد تلاعب بالألفاظ .

الساحل العربي السعودي

بين أبوظبي وقطر

بما في ذلك العديد



ساحل الخليج الفارسي
أبوظبي إلى خور العديد
الخليج الفارسي
قطر
عامرة
مسيعيد
خور العديد
سوداء نثيل
غاغة
دلماء
صير بني ياس
الياسين
المغرق
الشويهات
جبل براكة
الصفق
سبخة مطى
بينونة
الظفرة
الظفرة
الحمرة
الجواء
أبوظبي
المقطع
خور غناضة
رأس الصدد

السَّاحِل العَرَبي السُّعودي
بين أبوظبي والعُدَيْد

تدعى المملكة العربية السعودية بالساحل الجنوبى للخليج الفارسى غربا من نقطة تقع بين المغيراء والمرفأ على شاطىء الظفرة الى نقطة تقع على الشاطىء الجنوبى الشرقى لشبه جزيرة قطر . ولكن الحكومة البريطانية تنازعها هذا الادعاء بالنيابة عن حاكمى أبو ظبى وقطر . فقد جرت الحكومة البريطانية من مدة ثمانين عاما على الأقل على الاعتراف صراحة بادعاء أبو ظبى بالساحل حتى العديد والمنطقة المجاورة لها . والمفهوم أنها تنظر نظرة عطف الى امتداد سلطة حاكم قطر جنوبا الى المنطقة المجاورة للعديد حيث أنها لم تظهر ميلا الى الاعتراف بصلاحية المطالب السعودية لأى جزء من الساحل جنوبى قطر أو شرقيها .

والمعلومات العامة المتعلقة بهذا المدى من الساحل مدرجة فى كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » ، ولما كانت العديد ذات شأن كبير فى تقرير وجهة نظر الحكومة البريطانية وحاكم أبو ظبى ، فقد أجريت دراسة خاصة لتاريخها تجدها فيما يلى .

العُدَيْد

خور العديد هو ذراع من البحر يدخل فى الساحل الجنوبى للخليج الفارسى على مسافة قصيرة الى الشمال من خط العرض الشمالى ٣٠' ٢٤° والى الغرب من خط الطول الشرقى ٣٠' ٥١° . والخور يتكون من مجرى منعطف طوله ثمانية أميال[1] داخل فى البر فى اتجاه جنوبى غربى، ثم ينفتح الخور فى منطقة بحرية طولها ستة أميال من الشمال الى الجنوب وعرضها أربعة أميال . وقد جاء فى كتاب البحرية البريطانية « مرشد الخليج الفارسى » الصادر فى عام ١٣٦١ هـ الموافق ١٩٤٢ م أن هذه المنطقة ذات أعماق أقصاها خمس قامات . وهناك منطقة بحرية أخرى طولها ثمانية أميال ونصف ميل من الشرق الى الغرب ، وعرضها أربعة أميال ، وهى متصلة بالمنطقة الأولى بواسطة مجرى ضيق . وبالقرب من مدخل الخور الرئيسى يوجد مرسى يعرف باسم بندر العديد ، وعلى مسافة غير بعيدة من هذا البندر يبرز رأس صغير من البر على الشاطىء الجنوبى للخور ، ويقع جبل العديد الى الجنوب مباشرة من هذا الرأس ؛ كما أن قرية العديد كانت تقع فى الأيام السابقة بالقرب من طرفه .

قد أنشئت قرية العديد فى عام ١٢٥١ هـ الموافق ١٨٣٥ م بأيدى رجال من القبيسات ، وهم فخذ من فخوذ بنى ياس . وقد هاجر القبيسات اليها قادمين من مدينة أبو ظبى ليتجنبوا دفع حصتهم من الغرامة التى فرضها الانكليز على خليفة بن شخبوط حاكم أبو ظبى لأن عددا من

(١) المسافات المذكورة هنا هى بالتقريب . أما أبعاد منطقتى الخور الداخليتين فقد قيست عند أكبر اتساع لكل منهما طولا وعرضا .

رعاياه اشتركوا جهارا فى أعمال القرصنة . ومضى القبيسات بزعامة خادم بن نهيمان يعادون خليفة بن شخبوط وذلك بمهاجمة مراكب الصيد التابعة لسكان أبو ظبى . وقد نظرت السلطات البريطانية فى الخليج الفارسى نظرة عدم رضا الى مهاجرة القبيسات من أبو ظبى ، غير أنها أخفقت فى المساعى التى بذلتها لوضع تسوية للحالة .

وبعد انشاء العديد بقليل تبين الانكليز أن القرية تتخذ قاعدة لأعمال القراصنة فى الخليج . فقد جرى هؤلاء القراصنة على أن يقطروا المراكب التى يضبطونها الى الساحل ، أو أن يطرحوا السلع التى ينهبونها فى أماكن منعزلة على الشاطىء حيث يستعد زملاؤهم لنقلها على الابل بغير ابطاء . ونحو عام ١٢٥٢ هـ الموافق ١٨٣٦ م أرسل الانكليز ثلاثة مراكب حربية، وذلك « لكى توضح لمدبرى هــذه القرصنة الخطيرة خطل رأيهم فى اطمئنانهم الى سلامة وهمية » . وقد سلكت المراكب بين الضحاضيح ورست عند البدع والوكرة على ساحل قطر ، وعند العديد . وتعهد حكام هذه الأماكن ببذل أقصى ما فى طاقتهم من قوة لضبط مراكب القراصنة . وأكره خادم بن نهيمان رئيس العديد على أن يقدم بدوره كفالة لضمان قدر معين من المال أو الممتلكات ترد اليه عندما يظهر مدى وفائه للعهد الذى قطعه بقمع القرصنة .

وفى شــهر صفر عام ١٢٥٣ هـ الموافق لمايو ١٨٣٧ م جرد خليفة ابن شخبوط حملة على العديد بعدما ظفر بالموافقة اللازمة من المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى . ففوجىء القبيسات بهذه الحملة وسرعان ما هزموا ، وقتل خمسون من السكان ودمرت جميع المنازل ، وطرح الظافرون جثث الذين ذبحوا فى الآبار وملأوها بالحطام . وعاد خادم ابن نهيمان ومعظم رجال القبيسات الى أبو ظبى أمام اغراء الشروط السخية التى عرضها خليفة عليهم ، ومن هذه الشروط العفو عنهم ورد

المراكب والممتلكات الأخرى اليهم على أن يظلوا خاضعين لنظام الدولة • واحتمى عدد قليل من القبيسات فى الشارقة ودبى •

فى أواخر عام ١٢٦٥ هـ الموافقة لأواخر ١٨٤٩ م قام القبيسات بمحاولة غير ناجحة للانشقاق مرة أخرى ، غير أن سعيد بن طحنون ، وهو حاكم آبو ظبى بين عام ١٢٦١ وعام ١٢٧٢ هـ الموافقين ١٨٤٥ و ١٨٥٥ م ، استطاع أن يحبطها فى نهاية الأمر • ففى ختام موسم صيد اللؤلؤ من عام ١٢٦٥ هـ لم تعد مراكب القبيسات الى أبو ظبى وتقدمت عوضا عن ذلك الى ساحل قطر حيث احتمت بالبدع • ومن الدوافع الى هذا العمل مكايد سلطان بن صقر رئيس القواسم ومكتوم بن بطى حاكم دبى ، وقد وكذا للقبيسات ، بوصفهما عدوين لحاكم أبو ظبى ، ان فيصل ابن تركى أمير نجد يعتزم أن يعيد بناء العديد ويعيد اسكانهم فيها • وقد غضب القبيسات على سعيد بن طحنون كذلك بسبب الموقف الودى الذى وقفه تجاه المحاربة ، وهم فخذ منافس لهم من فخوذ بنى ياس • وفى شهر محرم عام ١٢٦٦ هـ الموافق لنوفمبر وديسمبر ١٨٤٩ م أرسل سعيد بن طحنون رسلا الى القبيسات وأقنعهم بأن يعودوا الى أبو ظبى • وقد استقبل سعيد المنشقين من رعاياه استقبالا وديا وجعلهم يعتقدون أنه غفر لهم اعتداءاتهم السابقة وأنهم يستمتعون الآن بكل مودة وثقة ، غير أنه فى غلس الليل أمر بتجريد جميع مراكبهم من أشرعتها وصواريها ودفاتها وبهذا قطع عليهم كل أمل فى الهرب • ثم أعلن كل من له دعوى على القبيسات بأن يطالب بما يريد فورا • أضف الى ذلك أنه فرض غرامة كبيرة على المنشقين الذين اضطروا ازاء ذلك الى بيع مراكبهم وممتلكاتهم الأخرى ليؤدوا ما عليهم •

فى عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م غادر القبيسات بقيـادة خادم ابن نهيمان أبو ظبى للمرة الثالثة واستوطنوا العديد من جديد • وقيل

فى تعليل ذلك ان الشيخ زايد بن خليفة كان فظا فى حكمه . وقد طلب زايد من المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى أن يسمح له باتخاذ اجراءات ضد العديد بحجة أن هذه القرية تسىء الى تجارة أبو ظبى كما أنها مأوى للئام . وقال ان لهذه الأسباب جميعا « لا معدى عن وقوع صدام فى البحر آجلا أو عاجلا » .

وصرح خادم بن نهيان ، مرة على الأقل ، أن العديد خاضعة لقطر . فقد بعث بكتاب الى المعتمد البريطانى حرر فى شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٦ هـ الموافق لأغسطس ١٨٦٩ م قال فيه « أنا خادم بن نهيمان تابع لقطر منذ أيام أبى وجدى » ، غير أن خادما استطرد فقال :

> انتقلنا من أبو ظبي الى قطر عندما تبينا أن هذا المكان موضوع تحت حماية الحكومة البريطانية وأن الناس يعيشون فى سلام .... ولذلك نرجو الحكومة أن تبقينا تحت حمايتها حتى لا يتدخل أحد فى أمورنا . فتفضلوا بمنحنا راية حتى نكون بمأمن من الاذلال .. نريد كتابا يمنحنا هذه الحماية حتى يعرف الجميع أننا تحت حماية الحكومة البريطانية .

وقال بطى ، وهو نجل خادم وخليفته ، فى حوار جرى فى شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٨ هـ الموافق ليوليو ١٨٧١ م مع مساعد المعتمد السياسى فى الخليج الفارسى ان القبيسات لم يعودوا الى العديد « الا بعد ما تلقينا كتاب المعتمد (المحرر فى شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٦ هـ الموافق لأغسطس ١٨٦٩ م) الذى جاء فيه أننا اذا آثرنا أن نعود الى سكنى ديارنا القديمة فلنا أن نفعل ذلك . وفى وسعنا أن نثبت أن هذه الديار هى ديارنا القديمة . » وعرّف بطى منطقة العديد المستقلة ، فقال

انها تمتد من رأس الحالة[1] فى الشمال متجهة صوب الجنوب والشرق على الساحل العربى حتى نقطة تقع فى مواجهة جزيرة صير بنى ياس[2] • وادعى كذلك بجزيرة دلما والجزائر الأخرى فى تلك المنطقة فى الخليج الفارسى •

ووكد الكولونل پلى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى للقبيسات فى كتاب بعث به فى شهر صفر عام ١٢٨٨ هـ الموافق لمايو ١٨٧١ م الى زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى أن العديد جزء من أراضيه ، فقد جاء فى الكتاب :

> فهمت من رئيس قطر ، الذى تتاخم أراضيه أراضى العديد ، أن العديد ليست جزءا من أراضى قطر أصلا ، وجميع الأدلة الأخرى تجمع على أن العديد ملك لكم • ولذلك فانى أرى لكم كل الحق فى أن تطلبوا من بعض سكان العديد أو منهم جميعا أن يدينوا لحكمكم •

وفى اليوم نفسه أرسل پلى الى سكان العديد ما يأتى :

> بعد تحقيق دقيق اتضح أن جميع الأدلة تجمع على أن العديد جزء وقطعة من أراضى رئيس أبو ظبى • فاذا رغبتم اذن فى الاقامة فى العديد ، وجب أن تفعلوا ذلك بموافقة رئيس أبو ظبي وأن تدينوا لحكمه • واذا لم تقوموا بهذا ، فهناك خطر من أن يجد رئيس أبو ظبى نفسه فيما بعد مضطرا الى اجباركم على هذا ، ولا سيما على أساس أنه قد استوفى شروط الصلح البحرى باحالة الأمر الى المعتمد •

---

(١) ان موضع هذا المكان مشكوك فيه •

(٢) من المفروض ان هذه النقطة تقع عند جبل الظنة او قريبة جدا منه •

وعقب المستر ايتشسن وكيل وزارة الخارجية بحكومة الهند على الأسلوب الذى عالج پلى به موضوع العديد ، فقال :

> لعل الكولونل پلى على حق فى قوله ان العديد جزء من أراضى أبو ظبي ؛ غير أننا لم ندع فى الوقت الحالى بأى وجه من الوجوه لنقرر شيئا فى صدد هذا الموضوع ، وان كان الكولونل پلى قد فصل فيه فعلا بالاخطار الذى بعث به الى الجانبين .

وقد تعقد موقف العديد أكثر مما هو عليه ، عند ما هاجم الترك منطقة الحسا فى شهر ربيع الثانى ١٢٨٨ هـ الموافق لمايو ١٨٧١ م وما تلى ذلك من نزولهم فى قطر ، وقد استقر الترك على ساحل قطر عند البدع . وحوالى عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣ م تلقى بطى بن خادم راية تركية من على أفندى الممثل التركى فى البدع ، وكان بطى يرفع تلك الراية على العديد من وقت لآخر ، ولا سيما عندما كان يرتقب وصول ضيوف من الترك ، وفى مناسبات أخرى كان يرفع راية رؤساء ساحل الصلح البحرى التى أعطاها الكولونل پلى لوالده خادم ، بل لقد مضى بطى الى حد ابلاغ السلطات البريطانية أنه ، اذا لم تحترم حقوقه فى العديد ، فسيطلب الحماية التركية .

وقد استمرت المجادلات طويلا بين سكان العديد وبين حاكم أبو ظبي بغير أن تسفر عن شيء . وفى شهر رجب عام ١٢٩١ هـ الموافق لسبتمبر ١٨٧٤ م تلقى المعتمد البريطانى فى أبو شهر كتابامن بطى بن خادم جاءفيه:

> أود أن أبلغكم أن زايدا رئيس أبو ظبى يقول « سأذهب الى العديد بحرا ولست أبالى بالمعتمد ولا بغير المعتمد » . فأرجو أن تكتبوا اليه لأننا استقررنا فى

العديد بمشيئة الله ثم بأوامركم • وأنتم تعرفون أننا امتنعنا عن كل ما من شأنه أن يعرض سلم البحار للخطر ، غير أنه (أى زايدا) لم يفعل مثله • ولذلك أعتقد أنكم ستبادرون بالكتابة اليه ليتركنى وشأنى مع أتباعى ، وأنتم تعلمون أننا رعية الله ثم رعيتكم •

وجاء فى رد المعتمد البريطانى ، وكان اذ ذاك الكولونل روس E.C. Ross أنه لم يدر شيئا عن أن الشيخ زايدا يدبر هجوما على العديد • ومضى المعتمد فحذر بطى بن خادم من أن يخرق رعاياه قوانين البحر •

وفى عام ١٢٩١ هـ الموافق ١٨٧٤ م أبلغ زايد بن خليفة الكولونل روس أنه تلقى كتابا من السلطات التركية يتضمن أن العديد خاضعة للحماية التركية • وبعث زايد ردا على ما طلبه روس من السماح له بالاطلاع على الكتاب ، فى كتاب حرر فى شهر ذى الحجة عام ١٢٩١ هـ الموافق ليناير ١٨٧٥ م جاء فيه :

فيما يتعلق بالكتاب الذى بعثت به الىّ السلطات التركية من قطر وهو الذى رغبتم فى الاطلاع عليه ، أود أن أبلغكم أن جميع جهودى فى البحث عن هذا الكتاب ضاعت سدى ، ومغزى هذا الكتاب هو أنه يجب علىّ أن أمتنع عن التدخل فى شئون السكان المقيمين فى العديد •

وفى عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م تلقى المعتمد البريطانى فى الخليج تعليمات من حكومة الهند بأن يوفق بين أهل العديد وحاكم أبو ظبى ، واذا تعذر التوفيق بطريق المفاوضات ، فعليه ألا يتردد فى استخدام القوة للعمل على تثبيت سلطة هذا الحاكم على العديد • ولعل قرار حكومة الهند كان مستندا ، ولو فى جزء منه ، الى أن العديد كانت تتخذ ملجأ

للقراصنة ولا سيما عصابة من قبيلة آل مرة . ولعل الانكليز نظروا كذلك نظرة عدم رضا الى الصلات الوثيقة بين بطى بن خادم وآل ثانى فى قطر حيث استقرت اذ ذاك سلطة الدولة العثمانيـة . وكان سكان العديد يدفعون فى ذلك الوقت خمسمائة قران[1] سنويا لقاسم آل ثانى مقابل استخدام بعض مصايد اللؤلؤ .

ولما أخفق الانكليز فيما حاولوه من اقناع سكان العديد بأن يعترفوا بزعامة حاكم أبو ظبي ، أرسل المركب البريطانى « تيزر » Teazer الى هناك فى عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م رغبة فى اكراههم على الاذعان . ولكن أهل العديد دروا سلفا بعمل الانكليز ، فلاذوا بالفرار بعد ما خلعوا أجزاء منازلهم وردموا الآبار . وذهب معظمهم الى البدع فى قطر حيث احتموا بقاسم آل ثانى ، وظلوا فيها حتى حوالى عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م عند ما عادوا الى أبو ظبى بعد العفو عنهم .

وفى عام ١٢٩٥ هـ الموافق ١٩٧٨ م احتج الترك احتجاجا رسميا على ارسال المركب « تيزر » الى العديد ، وزعموا أن هـذه البلدة خاضعة لولايتهم . ولم يرسل الانكليز ردا رسميا على الاحتجاج التركى غير أن وزارة الخارجية البريطانية قررت أن السياسة البريطانية لن تعترف بمطالب الترك فى الولاية على العديد أو أى مكان آخر من الأماكن الواقعة الى الشرق منها . وجاء فى كتاب ايتشسن أنه حدث فى السنة نفسها « ان سمح لشيخ أبو ظبى بأن يوكد حقوقه فى ملكية العديد » . ولا يعرف تماما ما يعنيه هـذا البيان ، ولا سيما اذا عرفنا أن العديد أخليت فى العام السابق له . وليس هناك ما يدل على أن توكيد هـذا الشيخ لحقوق الملكية ينطوى على احتلال الموضع احتلالا رسميا .

---

(١) كان القران عملة فضية تزيد قيمتها بعض الشىء على الربية .

وفى عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م نشبت حرب بين قاسم آل ثانى وزايد حاكم أبو ظبى ، وكان السبب الرئيسى لنشوبها هو الاغارات التى قامت بها القبائل الخاضعة لولاية كل من الزعيمين . ولم يستقر النظام فى المناطق المجاورة للعديد ، وأغارت القبائل ، ولا سيما آل مرة ، اغارات لا يقيدها شىء على تلك المناطق . وألمع قاسم الحين بعد الحين عن عزمه على انشاء قصر فى العديد ، غير أن السلطات البريطانية حذرته من ذلك .

وفى عام ١٣٠٣ أو ١٣٠٤ هـ أى فى ١٨٨٦ م عاد قاسم فأعلن رغبته فى بناء قصر فى العديد ، مستندا فى حقه فى بنائه الى كتاب أرسله اليه رئيس المركب التركى « زخاف » متضمنا أمرا بأن يقوم بهذا العمل . فأعلن المعتمد البريطانى فى الخليج بأنه لن يسمح بهذا ، وأعد مركب بريطانى ليكون متأهبا لثنى قاسم عن عزمه . ونفت الحكومة التركية أنها أصدرت مثل هذا الأمر ، ووجه الوالى التركى فى البصرة لوما الى رئيس المركب « زخاف » .

وفى عام ١٣١٣ أو ١٣١٤ هـ أى فى ١٨٩٦ م اعتزم الترك أن يضعوا مخفرا عسكريا فى العديد ، غير أن السلطات البريطانية ثنتهم عن هذا . وفى عام ١٣١٩ أو ١٣٢٠ هـ أى فى ١٩٠٢ م أعلن الترك عزمهم على ضم العديد الى نظام حكومة قطر ، غير أنهم ، كما يقول لوريمر ، « منعوا عن ذلك فعلا بما اتخذه الانكليز من اجراءات » . وفى عام ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م سنحت للانكليز فرصة أخرى ليبلغوا فيها الترك أن العديد تدخل ضمن الولايات الاقليمية لحاكم أبو ظبى الذى كان بدوره تحت حماية الحكومة البريطانية . ولم يكن هناك ريب فى أن هذا الموقف العدائى الذى اتخذه الترك هو الذى حمل الحكومة البريطانية فى

عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م على الوصول الى اتفاق مع حاكم أبو ظبى اعترفوا فيه بأن المنطقة المجاورة لخور العديد جزء من أراضيه كما تعهدوا بالتدخل للحيلولة دون أن يحتل أى طرف من الخارج تلك المنطقة .

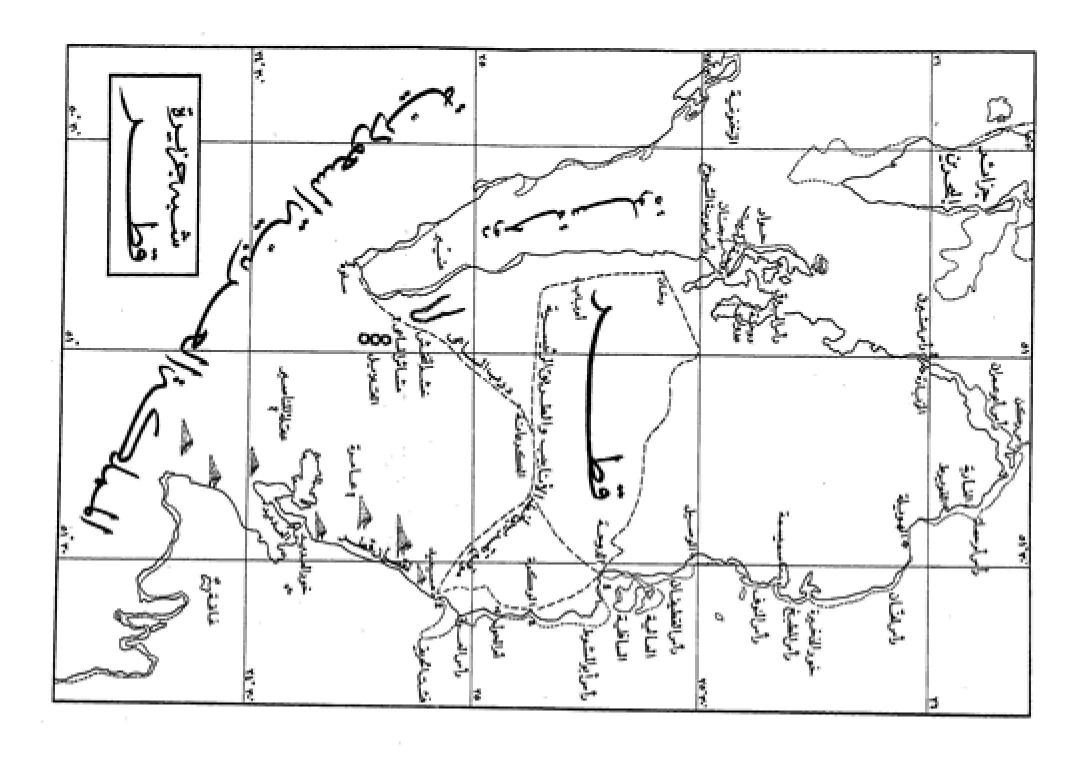
لم نجد أى دليل على أنه كانت هناك سكنى مستمرة فى العديد منذ تخلى القبيسات عنها فى عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م ، والأطلال الدارسة الموجودة فيها الآن تدل على أن الموضع ظل غير مأهول سنين طويلة . وبين الحين والحين يزور المنطقة رجال من آل مرة والمناصير من ناحية البر ، ورجال من بنى ياس من ناحية البحر . والذين يزورونها يستخرجون الماء من البئر الوحيدة التى أعيد نقبها منذ ردم القبيسات موارد الماء قبل الفرار منها .

لم يكن عمل اخراج الحطام من البئر عملا يسيرا . وقد عثر فى أثناء نقبها على مدفع قديم ثقيل الوزن . ويقول المناصير ان هذا المدفع رفع بأيدى أفراد جماعة مبارك بن عفَّاد من المراشيد من آل بومنذر من المناصير ، وقد صار أحفاد أولئك الأفراد رجالا اليوم . ويقال ان المدفع أخرج من البئر بواسطة الابل التى كانت النساء يستحثثنها بينما كان الرجال يتعاونون فى قرار البئر لاخراجه . وقد ترك المدفع ملقى على بعد بضعة أقدام من فوهة البئر حتى نقل فى عام ١٣٦٨هـ الموافق ١٩٤٩م .

وليس من العسير الاهتداء الى أطلال العديد على الأرض ، ويمكن بسهولة من الجو رؤية خطط البلدة السابقة كلها . فكانت تتجه شمالا صوب بندر العديد ، وحول الناحية البعيدة من البحر كان سور يمتد من شاطىء الى آخر فى هيئة قوس غير منتظم ، وفوق هذا السور أبراج متباعدة ، وهناك قصر مربع صغير ذو أربعة أبراج يقع فى جنوب البلدة

فى وسط القوس • وليس بين المبانى القديمة مبنى واحد على حاله .•
أما الانقاض التى تخلفت فهى ترتفع فى معظم الأماكن الى نحو قدم
أو قدمين فقط من سطح الأرض • أما البئر فهى تقع على بعد نحو نصف
ميل الى الجنوب الشرقى من أطلال البلدة •

قطر



أضف إلى السلة

شبه جزيرة قطر

لقد دونا وصفا مفصلا لأسفل شبه جزيرة قطر فى كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » ولا حاجة الى ايراد هذا الوصف هنا . فبحثنا الحالى يعنى بوجه خاص بذلك الجزء من شبه الجزيرة الذى يقع الى الشمال من خط العرض الشمالى ٥٠' ٢٤° .

يمتد شبه جزيرة قطر شمالا من الساحل الجنوبى للخليج الفارسى نحو منتصف الطريق بين الكويت ورأس مسندم ، وهو أكبر معلم جغرافى من نوعه فى منطقة الخليج كلها . ويتاخمه من الشرق الجزء الجنوبى من الخليج ، وكثيرا ما يشير رجال البحر اليه بقولهم « بحر البنات » . والى الغرب يقف الجزء الأسفل من شبه الجزيرة عند دوحة سلوة الضيقة التى تفصل قطر عن ساحل الحسا . أما جزائر البحرين ، فهى تقع بالقرب من الجزء الشمالى لساحل قطر الغربى ، أى نحو منتصف الطريق بين طرف شبه الجزيرة وبين بر البلاد العربية السعودية وهذا البر على بعد يزيد على خمسين ميلا غربا من قطر . وأقرب نقطة لشبه الجزيرة من بر ايران تقع على بعد نحو ١٢٠ ميلا فى أتجاه الشمال الشرقى . ويقع ساحل الصلح البحرى الى الشرق مباشرة من قطر عبر الجزء الأسفل للخليج الفارسى الذى تكثر فيه الجزائر ، وذلك على مسافة تتفاوت بين مائتى ميل (من مدينة أبو ظبى) و ٢٤٠ ميلا (من مدينة دبى) و٢٨٠ ميلا (من مدينة رأس الخيمة) .

وعند الجزء الضيق من أسفل شبه الجزيرة تجد أرضا واطئة فيها عدد من السباخ ، ومن المحتمل أن قطر كانت فى الماضى جزيرة . وأقصر

مسافة عبر هذا الجزء الضيق ، وطولها نحو خمسة وعشرين ميلا ، تتجه فى خط يمتد من الساحل الغربى بالقرب من أسفل دوحة سلوة الى المياه الغربية من خور العديد على الساحل الشرقى • والمسافة بين رأس ركن عند الطرف الشمالى لشبه الجزيرة وبين الخط المذكور تبلغ نحو ثمانين ميلا ، ولا يزيد عرض قطر على أربعين ميلا كثيرا فى أى موضع •

وساحل قطر منخفض عامة ، شأنه فى ذلك شأن بقية السواحل العربية للخليج الفارسى • ويفتقر هذا الساحل الى الموانى الصالحة ، وتكثر على مقربة منه الشعاب والفشوت وغيرها من الموانع التى تعترض الملاحة ، وذلك فى منطقة بحرية تمتد بعض الأميال عن الشاطىء • وفى بر الجزء الشمالى من شبه الجزيرة يزداد الارتفاع زيادة يسيرة فقط ، فسطح الأرض فى تلك الناحية جامد تغطيه الحصباء أو طبقة متموجة من الرمال •

أما أرض الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة فهى متنوعة تنوعا يفوق ذلك • ففى الجنوب الشرقى ترى أن أبرز معلم هوتقيان قطر ، وهى سلسلة طويلة من كثبان الرمال العالية تسير شمالا من خور العديد على امتداد الساحل مسافة تزيد على عشرين ميلا ، كما تسير الى الداخل فى بعض المواضع مسافة نحو خمسة عشر ميلا • وبالقرب من الطرف الجنوبى للنقيان يقع مورد الماء الذى يعرف باسم عامرة وعلى مقربة منه سباخ كبيرة ، فى حين أننا نجد فى الشمال مرتفعا صخريا على بعد نحو خمسة وعشرين ميلا جنوبى مدينة الدوحة وعلى بعد نحو عشرة أميال من الشاطىء ، وهناك مرتفعات أخرى غيرها •

فى الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة يرتفع جبل دخان ، وهو سلسلة طويلة من الجبال والتلال تمتد شمالا وجنوبا قرب الساحل •

وعند الطرف الجنوبى للسلسلة يقوم المرتفع المسمى خشم النخش أو نخش دخان • وتوجد الآبار المنتجة للزيت التى تتبع شركة استثمار البترول (قطر) على المنحدرات الغربية لجبل دخان ، ويبرز طرف دخان الشمالى واضحا جليا وان كان أكثر انخفاضا من الطرف الجنوبى • وفى ما وراء الطرف الشمالى يقع سهل يعبره وادى الهولة ، وهو مجرى يبلغ الساحل الغربى ولا تكاد معالمه تبين •وبين جبل دخان وهذا الساحل تقع سبخة البحث فى أرض منخفضة يقال ان طولها يزيد على عشرين ميلا بينما يتفاوت عرضها بين ميلين وأربعة أميال • واذا تركنا جانبا الكثبان المنفصلة كتلك الواقعة بالقرب من الكرعانة فى جنوب المنطقة الداخلية الوسطى ، فان المعالم الجغرافية الباقية لشبه الجزيرة التى تستحق الذكر ، هى موارده للماء وقراه الساحلية وشكل شواطئه •

المعـــالم الساحلية

ان ساحل قطر الذى تلجأ اليه من زمان طويل مراكب صيادى اللؤلؤ والسمك الفارين من عواصف الخليج وكذلك مراكب القراصنة الهاربين من العقاب ، ساحل قليل الغور عامة لا يغرى بالملاحة الا المراكب الصغيرة التى يستخدمها الملاح العربى • والمعالم الرئيسية للساحل الشرقى لشبه الجزيرة ، وهو أكثر سكانا نوعا ما من الساحل الغربى ، هى كما يلى من الشمال الى الجنوب :

رأس رَكَن : الطرف الشـــمالى لقطر ، هو ف الواقع جزيرة يمـــكن بلوغها خوضا فى الماء وقت الجزر • وتقع الجزيرة داخل الشعب الساحلى الذى يحف بطرف شبه الجزيرة ، ويمكن الوصول اليها بسهولة من مغاوص فشت الديبل الواقعة الى الشمال الغربى ، ومن المغاوص الصغيرة التى تكثر الى الشمال والشمال الشرقى من هذا الرأس •

رأس أم حَصاة: يقع على بعد تسعة أميال تقريبا الى الجنوب الشرقى من رأس ركن ، وهو نتوء برى منخفض يرتفع الى سن صخرى علوه يزيد على عشرين قدما •

رأس لفّان: الطرف الشـــمالى لقطر ، هو ف الواقع جزيرة يمكن الشرقى لشبه الجزيرة على بعد نحو سبعة عشر ميلا الى الجنوب الشرقى من رأس أم حصاة • وبين هذين الرأسين تقع الفويرط والغارية وأطلال الهويلة •

بندرالذّخيرة : يسمى كذلك خور الذخيرة ، وهو مدخل مائى صغير ضحل على بعد نحو أحد عشر ميلا جنوبى رأس لفان • وعلى شاطئه تقع قرية صغيرة للصيادين اسمها الذخيرة •

رأس المطبخ : يقع على بعد أربعة عشر ميلا جنوبى رأس لفان عند المدخل الشمالى الشرقى لخور شقيق •

خَوْرشقيق : كثيرا ما يشار اليه باسم خور المهاندة ، أو الخور فقط ، وهو مدخل مائى واضح المعالم يقع بين رأس المطبخ ورأس النوف • والى الجانب الجنوبى للخور قرية بنفس هذا الاسم يرتفع وراءها جبل صغير ، وبالقرب منها قرية سميسمة •

رأس النَّوف : رأس صخرى منخفض يقع على بعد ثلاثة أميال جنوبى رأس المطبخ •

دَوْحة الوُسيل : تضريس ضحل على الساحل تزوره المراكب الصغيرة ، ويقع على بعد نحو ستة أميال الى الشمال الغربى تقريبا من رأس القطيفان • وتقع قرية الوسيل على المنحنى الجنوبى للدوحة •

رأس القُطيفان : رأس ظاهر مرتفع يقع نحو منتصف الطريق بين رأس النوف وبين مدينة الدوحة التى يتكون المرفأ الضحل أمامها عندما ينحنى الساحل انحناء حادا الى الشرق على مسافة عشرة أميال جنوبى رأس القطيفان •

رأس النساء وَرأس أبوعبّود : تتوءان يقعان شرقى مدينة الدوحة مباشرة •

رأس أبو المشوط : رأس صخرى منخفض الى الشرق القصى من مدينة الدوحة ، وعنده يستأنف الساحل اتجاهه الجنوبى .

جبل الوكرة : يقع على بعد يتفاوت بين سبعة أميال وثمانية الى الجنوب من رأس أبو المشوط ، وهو جبل صخرى ارتفاعه نحو ثمانين قدما . وعلى بعد ميل ونصف ميل منه الى الشمال تقع بلدة الوكرة .

أم الحول : تقع على بعد ثلاثة أميال جنوبى الوكرة ، ويقال ان فيها أطلال قرية قديمة .

رأس العرق : (رأس العلاج)[1] يقع على بعد عشرة أميال جنوبى جبل الوكرة ونحو اثنين وعشرين ميلا الى الشمال الشرقى من خور العديد . وهناك شعب يطلق عليه اسم فشت الحريف يمتد صوب البحر مسافة تقارب سبعة أميال من هذا الرأس المنخفض .

رأس مسيعيد : رأس رملى أخذ منه اسم ميناء نقل الزيت فى قطر . ويقع الرأس على بعد نحو عشرين ميلا الى الشمال الشرقى من خور العديد ، وبين هاتين النقطتين تمتد رمال نقيان قطر .



يمتد ساحل قطر الغربى الى الجنوب الغربى مسافة قصيرة من رأس ركن ، ثم ينحرف الى الجنوب ويتخذ اتجاها جنوبيا عاما . وهذا الساحل كثير التضاريس تتعدد فيه الخيران البحرية والخلجان اذا قوبل بالساحل الشرقى ، غير أنه باستثناء الجزء الشمالى الغربى لم يجتذب الا عددا

---

(١) يكتب اسم هذا الرأس بأشكال شتى بالانكليزية ، ولا يعرف بالتوكيد الشكل العربى الصحيح .

قليلا من الملاحين والسكان • أما معالمه الرئيسية من الشمال الى الجنوب فهى كما يلى :

رأس أبو عِمْران : يقع على بعد نحو ميلين ونصف ميل الى الجنوب الغربى من رأس ركن ، ورأس أبو عمران واطىء على وجه العموم مع أنه يرتفع الى ربوة صخرية •

رأس عُشيرق : يقع هذا الرأس الواطىء على بعد سبعة عشر ميلا الى الجنوب الغربى من رأس ركن ، عند الطرف الغربى القصى لخليج تجد عند طرفه الشرقى القصى أطلالا كثيرة هى أطلال مدينة الزبارة • وبين رأس عشيرق ورأس أبو عمران تجد قرى أبو الظلوف (على بعد نحو ميلين الى الجنوب الغربى من رأس أبو عمران) ، والجميل ، وخور حسان (ويسمى كذلك الخوير) ، وفريحة ، وعلى بعد نحو ميلين من رأس عشيرق جنوبا تقع أطلال الربيقة •

رأس فُيُحيل : يقع على بعد ستة أميال جنوبى أطلال الزبارة •

دَوْحة الأُسيود : تقع نحو منتصف الطريق بين رأس عشيرق ومدخل دوحة عدوان •

دَوْحة عَدْوان : تقع على بعد نحو عشرين ميلا جنوبى رأس عشيرق ، وهى خليج مستطيل يمتد شمالا وجنوبا ويحده من الغرب شبه جزيرة صغير طرفه رأس البروق • وفى المناطق المغمورة تجاهه يقع عدد من الجزائر أكبرها جزيرة حوار •

رأس البُرُوق : الطرف الشمالى لشبه جزيرة صغير يقع على جانبه الشرقى دوحة عدوان وعلى جانبه الغربى دوحة زكريت •

رأس السواد : الطرف الشمالى الغربى لشبه الجزيرة الصغير الذى أشير اليه آنفا •

دَوْحة زِكْرِيت : تقع الى الجنوب الغربى من دوحـة عدوان وتشابهها من حيث أنها خليج مستطيل يمتد عامة شمالا وجنوبا ، وفى أسفل الخليج توجد منشأة بحرية صغيرة تابعة لشركة استثمار البترول (قطر) .

رأس عُوينة الشيُوخ [1] : يقع غربى دوحـة زكريت . ويمكن أن يقال انه المدخل الشمالى الشرقى لدوحة سلوة .

دَوْحة سَلْوة : الخليج الواقع بين ساحل قطر الجنوبى الغربى وبين ساحل مقاطعة الحسا الممتد الى الجنوب من جزيرة الزخنونية . وليس فى الخليج حركة ملاحة تذكر غير زيارات بعض المراكب الصغيرة الى جزيرة عنيبر فى جزء الخليج الجنوبى الضيق ، وذلك لجمع ذرق الطيور .

(١) يسمى هذا الرأس فى بعض الخرائط رأس عوينة على .

أهل قطر

لم يحصر قط بالضبط عدد الذين يقيمون فى قطر ، غير أن التقديرات الحديثة التى أعدها أناس خبروا البلاد تقول ان عددهم يقارب عشرين ألفا • ويعيش معظمهم فى قرى على السواحل ، ويمكن اعتبارهم قوما حضرا وان كانت القرى الكثيرة المهجورة ذوات الأطلال توحى بأن هؤلاء الحضر كثيرا ما يرغبون فى تغيير مسكنهم • أما البدو فانهم على نقيض سكان القرى ، فعدد البدو قليل وهم يطوفون فى داخل البلاد • وفى المواسم التى يقل فيهـا هطول المطر فى المناطق الواقعة جنوبى قطر يزيد عدد البدو بوفود أفراد من قبائل شتى من مقاطعة الحسا والربع الخالى قادمين لرعى ماشيتهم فى مراع أفضل ، ولا يستبعد أن وفود بعضهم فى الأيام السالفة كان من أجل المغانم فى الغزوات • وهناك طائفة أخرى من الناس تختص بأعمـال التجارة والبيع والشراء فى القرى الرئيسية ، وتتألف هذه الطائفة بنوع خاص من فرس وهنود وشيعيين من البحرين •

أن نمو مراكز شركة استثمار البترول بما عندها من أبواب للعمل قد أخذت الآن تضفى على قطر قسطا من الرخاء ، وتدخل عليها تغييرا فى حياتها • ويلوح أن النشاط الاقتصادى الناتج عن ذلك محصور حتى الآن فى أيد قليلة ، ولا تزال الأعمال القديمة المألوفة — وهى صيد اللؤلؤ والسمك والتجارة الصغيرة — تعد المهمة الأولى لسكان الساحل • ومع أن البدو يزودون شركة البترول بعدد كثير من العمال ، فانهم ما زالوا يعملون أولا برعى الابل والغنم برغم قلة الخضرة فى قطر فى بعض مواسم السنة •

يوضح البحث التاريخي الذى نورده فيما بعد كيف وفدت قبائل شتى على ساحل قطر وكيف ارتدت عنه • ومما يذكر أن مثل هذه الهجرة تضمنت ، فى عهـد الأحياء من السكان ، عناصر من آل بو عينين الذين أنشأوا بلدة الجبيل على ساحل مقاطعة الحسا الى الشمال الغربى من رأس تنورة بعـد ما برموا بالحياة فى قطر ، وكذلك عنـاصر من نعيم الذين لا ينفكون يتحركون، فيما يلوح ، خارجين من ديار آبائهم على ساحل قطر الغربى أو عائدين اليها • أما بعض المدن الرئيسية السابقة مثـل الزبارة والهويلة والفويرط ، فانها اما أصابها الانحلال واما فقدت منزلتها • ومع هذا فانه أصبح الآن من الممكن لقطر أن تحتفظ بما بلغته من تحضر قبائلها ، وذلك نظـرا الى اطراد الاسـتقرار فى الدول المجـاورة لها وازدياد أثر التقدم الاقتصادى فى قطر نفسها •

قبائل قطر

قبائل الحضر

ان قبيلة المعاضيد التى تنتمى اليها الأسرة الحاكمة فى قطر هى القبيلة الرئيسية هناك، مع أنها لم تكن أكبر القبائل جميعا • وحاكم قطر اليوم هو على بن عبد الله بن قاسم آل ثانى • أما أبوه الذى تنازل له عن منصة الحكم فى عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م ، فانه لا يزال يقيم قرب مدينة الدوحة• ويزعم المعاضيد أنهم من نسل بنى تميم • وفى الفترات السابقة التى كان فيها الموحدون ذوى النفوذ العالى فى بلاد الحسا كان المعاضيد يعدون من أتباع الشيخ أحمد بن حنبل ، غير أنهم يعدون الآن من أتباع المذهب المالكى كما هو شأن معظم سكان قطر • والدوحة هى المـركز الرئيسى لهم ، وان كانت لهم أملاك أخرى فى الوكرة والوسيل وفى الداخل •

والمعاضيد فى الدوحة على صلات وثيقة بقبيلة السلطة ، وهم أوفر منهم عددا ، وكذلك بقبيلة السودان • ويقال ان السلطة هم من نسل بنى مالك الذين يقطن معظمهم الآن فى ايران ، وقد أطلقوا اسمهم على أحد أحياء مدينة الدوحة • وتجد أفرادا من السودان أيضا فى الرويس وفى أبو الظلوف على الساحل الشمالى الغربى ، ويرجع أصلهم الى قريش •

وهناك قبيلة آل بو كوارة التى يقال ان لها صلات وثيقة بالمعاضيد وهى من أقوى القبائل المقيمة فى قطر وأكثرها عددا • والقرية الرئيسية التى تستقر فيها هى الفويرط حيث يقيم زعيمها خليفة بن طوار • وتعيش جماعات منها فى الظعاين وسميسمة • وتملك القبيلة عددا كبيرا من مراكب

التجارة وصيد اللؤلؤ وكذلك كثيرا من الابل وبعض الخيل . وانشغالها بصيد السمك وبالأعمال التجارية يغريها بالاستقرار على الشواطىء ويجعلها قبائل حضرية فى المقام الأول، وان كان عدد من أفرادها لا يزالون يحتفظون بصلاتهم بالحياة البدوية عن طريق ما يمتلكونه من الماشية . ويشبهها من هذه الناحية قبيلتان صغيرتان هما المنانعة والسادة .

والمهاندة الذين يعدون من أكبر القبائل الحضرية فى قطر يعيشون على الساحل الشرقى عند خور شقيق (خور المهاندة) والذخيرة . ومع أن نشاطهم الرئيسى منصرف الى صيد اللؤلؤ والسمك فانهم يربون الابل كذلك .

وهناك قبيلتان أخريان كبيرتان حضريتان هما آل مسلم ، ويقال انهم هم حكام قطر الأصليون ، والهولة[1] ، وهم تجار فى مدينة الدوحة والوكرة ويقال انهم ينحدرون من بنى مالك .

ومن قبائل الحضر الأخرى فى قطر العمامرة والعشاشرة وآل عطية والحميدات (وهم أقرباء لعناصر بدوية من بنى خالد) والهتوم وآل ابن مقلا والخليفات وبعض أفراد آل ابن رمل والكبسة ونعيم .

والقبائل الحضرية تسكن القرى على الساحل ، ولا سيما على جانب قطر الشرقى حيث تقع المواضع الرئيسية التالية :

الدّوحة : تقع نحو منتصف الطريق بين خور العديد ورأس لفان ، وهى عاصمة قطر وأهم مدنها وفيها مقر الحاكم على بن عبد الله آل ثانى وكذلك مقر الضابط السياسى البريطانى . وكانت تعرف أصلا باسم البدع، ولا يزال هذا الاسم يطلق على الحى القديم للمدينة . ومن أحياء المدينة الأخرى حى آل ابن على وحى السلطة والمرقب الشرقى والدوحة والدويحة وقلعة

---

(١) يستعمل هذا اللفظ فى بعض الاحيان لوصف العرب الذين يقيمون على الناحية الايرانية من الخليج الفارسى .

العسكر والرميلة . وفضلا عن أفراد قبيلة المعاضيد التى هى قبيلة الأسرة الحاكمة فان عناصر السكان الرئيسية تشمل أفرادا من السلطة والسودان والهولة وآل ابن على ، يضاف اليهم عدد كبير من التجار الذين ينحدرون من أصول أجنبية . أما فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى، ففضلا عن التجارة الصغيرة والملاحة ، فهناك صيد اللؤلؤ والسمك ، ولكن ذلك يجرى اليوم على نطاق أضيق من ذى قبل . وتطير طائرات شركة خطوط الخليج الجوية فى رحلات منتظمة بين البحرين والدوحة، وتستخدم فى الدوحة المهبط الواقع الى الشمال الغربى منها . والدوحة متصلة بالوكرة ومسيعيد الى الجنوب بدرب للسيارات ، وهناك درب آخر يتجه الى الجنوب الغربى من الدوحة حتى يلتقى بدرب مواز لخط أنابيب الزيت ، وهو يربط ساحلى قطر الشرقى والغربى . أما الدرب الصحراوى الذى يسمى درب الساعى ، فانه يصل الدوحة بالحسا ، ويسير عامة صوب الجنوب الغربى الى سلوة ثم صوب الشمال الغربى الى الهفوف .

الوَكْرة : تقع على الساحل على بعد نحو عشرة أميال الى الجنوب الشرقى من الدوحة . وهناك حى منفصل يدعى الرميلة ، يقع الى الشمال من البلدة كما أن جبل الوكرة يقع الى الجنوب منها . ولما كانت شواطىء الوكرة ذات شعاب كثيرة فقد حرمت من مرفأ صالح ، فعلى كل المراكب غير الصغيرة أن تبتعد عنها مسافة تزيد على ميلين على الأقل . وقد تعرض عدد السكان ونوعهم لتغيير وتبديل كبيرين فى الماضى ، والعناصر الرئيسية منهم الآن تابعة لقبائل الخليفات والمعاضيد والهولة فضلا عن تجار من الشيعة . والوكرة تشبه القرى الأخرى فى قطر فى أن بين أهلها كثيرين من الزنوج ، بعضهم من العبيد .

خَوْرشقِيق أوخَوْرالمهاندة : تقع هــذه البلدة على الســاحل الشرقى في منتصف الطريق بين مدينة الدوحة ورأس ركن • وكثيرا ما يشار اليها باسم الخور فقط خلافا للخوير (خور حسّان) الواقع على الجــانب المقابل لشبه جزيرة قطر • والمهاندة هم السكان الأصليون فى هذه القرية الكبيرة ذات المنازل المبنية من الطين والحجارة •

الفُوَيْرط : تقع نحو منتصف الطريق بين رأس ركن ورأس لفان • ويقال إنها تحتوى على نحو مائة منزل لآل بو كوارة ، ونحو نصف هذا العدد للكبسة ، وكل من القبيلتين تقطن فى حى منفصــل • وكانت الفويرط فى الماضى احدى القرى الرئيسية غير أنها اليوم لا تكاد تتجاوز كونها قرية من قرى الصيد • والى الشمال تقع قرية الغارية ، وهى تكاد تكون مقفرة •

وهناك قرى أخرى على الساحل الشرقى تقع جميعها بين رأس لفان ومدينة الدوحة ، وهى الوسيل والظعاين والذخيرة وسميسمة •



وقبل العثور على الزيت كان ساحل قطر الغربى القليل السكان مقفرا أو يكاد يكون مقفرا باستثناء قسم منه طوله نحو عشرين ميلا فى الشمال بين رأس ركن ورأس عشيرق • والقرى الرئيسية فى هذه المنطقة هى كما يلى :

الرُّوَيس : تقع بالقرب من طرف قطر الشمالى على بعد نحو ميلين جنوبى رأس ركن • ويكاد يستأثر بسكناها أفراد من قبيلة السادة • والشعب القريب من الشاطىء هنا يحمى مراكب الصيد وهى راسية •

أبوالظَّلوف : تقع هـذه القرية الى الجنوب الغربى من الرويس ، والمرسى عندها أقل صلاحية من مرسى الرويس . ويسكنها أفراد من قبيلة المنانعة لهم صلات وثيقة بأقربائهم فى جزائر البحرين .

خَوْرحَسَّان أوالخُوَيْر : كان المغيرون على البحر بقيادة رحمة ابن جابر الواسع الصيت يسكنون هذه القرية ذات يوم ، ولكن معظم سكانها الآن من الكبسة .

وهناك قريتان أخريان فى هذه المنطقة هما الجميل وفريحة .

وتقع بلدة دخان الحديثة العهد ، وهى مقر شركة استثمار البترول (قطر) ، الى الجنوب على الساحل الغربى بين الطرف الجنوبى لدوحة زكريت ومدخل دوحة سلوة . وتتصل البلدة بمسيعيد بدرب يوازى خط أنابيب الزيت المؤدى الى هذا الميناء . وثمة درب آخر الى الشمال يصل البلدة بمدينة الدوحة . وهناك مهبط للطائرات بالقرب من بلدة دخان تستعملها الشركة فى أعمالها .

القبائل البدوية

لا يسع قبيلة واحدة أن تزعم أن قطر كلها هي ديرتها دون غيرها ، وان كان يقال ان قبيلة بني هاجر وقبيلة الكعبان الصغيرة وجدتا أصلا في هذه المنطقة . وتختلف عناصر من قبائل شتى الى أرض قطر الضيقة ؛ وقد أصبح بعض أجزاء تلك الأرض مقرونا بقبائل معينة . وبني هاجر ، الذين يقيمون الآن على الأكثر في مقاطعة الحسا ، يزورون جنوب قطر في بعض الأحايين ، وتجد أفرادا منهم منتشرين شمالا حتى الكرعانة ، وزعيمهم في قطر منصور بن خليل الذي كان يمثل مصالحهم أخيرا في منازعاتهم مع حكومة قطر . وجاء في كتابنا « المناطق الشرقية من مقاطعة الحسا » أن هؤلاء يدينون بالطاعة والولاء لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ويدخل عماله قطر ليحصلوا الزكاة منهم أسوة بالقبائل العربية السعودية الأخرى التي قد تكون هناك ، وكثيرا ما تكون بين هذه القبائل عناصر قوية من المناصير وآل مرة . أما بيوت بني هاجر في قطر فقد تفاوت تقدير عددها في العهد الأخير بين مائتين وخمسمائة . وتفد عناصر المناصير وآل مرة على قطر من رمال مقاطعة الحسا والربع الخالي متى قيل لهم ان الأرض طيبة المرعى .

وثمة طائفة أخرى من سكان قطر تدين بالطاعة والولاء لسلطة خارج شبه الجزيرة ، وهي تشمل رجالا من قبيـــلة نعيم ، وقد عاش أفراد من جماعتها الغربية أجيالا كثيرة في الشمال الغربي من قطر . ولا تزال هذه الجماعة وجماعة نعيم الشرقية المقيمة في الظاهرة في عمان تعترفان بصلات القربى فيما بينهما ، وان كانت المسافة التي تفصـــل احداهما الآن عن

الأخرى مسافة كبيرة . أما عدد رجال نعيم فى قطر الذين يمكن اعتبارهم من البدو فهو قليل ، غير أن صلاتهم الوثيقة بالبحرين وبالمملكة العربية السعودية حيث يقيم أفراد آخرون من نفس الجماعة ، ومحالفاتهم مع طوائف أخرى من البدو فى قطر ، أكسبتهم شأنا رفيعا . ويعامل حاكم البحرين رجال نعيم فى قطر باعتبارهم رعاياه ، فيصدر لهم جوازات السفر بغير مقابل ، وهو يعد ولاءهم له حجة يسوقها مع سائر حججه لتوكيد تفوقه فى هذه الرقعة من قطر . وهناك قبائل أخرى ترتاد المناطق المجاورة ولها محالفة مع نعيم ، وهى الكبسة والمنانعة وآل ابن رمل وآل بورميح ، وهى جميعها قبائل نصف بدوية ونصف متحضرة . أما آل جمعان الذين لهم أيضا محالفة مع نعيم فهم بدو على وجه العموم .

ومن العناصر البدوية الأخرى آل حباب الذين يعيشون فى الجزء الجنوبى الشرقى من قطر ، وكذلك القبائل التالية التى ترتاد الداخل : الكعبان ، وهى تعد منحدرة من بنى كعب على ساحل الصلح البحرى أو ذات علاقة نسب بهم ، والمريخات والمزايدة والمضاحكة ، ويقال انهم قسم من بنى هاجر .

أما موارد الماء فى قطر فهى كثيرة . والمجموعات الرئيسية للآبار تقع حول أم الماء فى الشمال الغربى ، والى الشمال من تقيان قطر فى الجنوب الشرقى ، وفى المناطق التى يتردد عليهـا بنى هاجر وغيرهم من القبائل السعودية فى جنوب شبه الجزيرة .

تاريخ قطر الحديث

ليس لدينا الا معلومات قليلة عن تاريخ قطر فى القرون السابقة للقرن الثانى عشر الهجرى الموافق للثامن عشر الميلادى . والحادث الأول البارز فى تاريخ قطر الحديث هو هجرة عناصر من العتوب (ويعرفون كذلك باسم بنى عتبة) من الكويت الى شبه الجزيرة حوالى عام ١١٧٨ هـ أى حوالى ١٧٦٥ م ، وهم يزعمون أنهم من عنزة .

استقرار آل خليفة فى الزبارة

يقال ان آل خليفة من العتوب استقروا فى الأفلاج فى جنوب نجد حتى انتقلوا الى الكويت فى الجزء الأخير من القرن الحادى عشر الهجرى الموافق لأواخر القرن السابع عشر الميلادى حيث عاشوا مع آل صباح والجلاهمة وهم من العتوب كذلك .

ويقول أمين الريحانى ان آل خليفة قادهم محمد بن خليفة من الكويت الى الزبارة فى قطر ، وكانت يومئذ بلدة كبيرة يسكنها آل ابن على وعناصر من الجلاهمة . وهناك رواية أخرى لعيسى بن على ، وهو حاكم سابق للبحرين ، كتب فى عام ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م الى المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى يقول :

> ذهب أحمد بن محمد آل خليفة الى مرير (بالقرب من الزبارة) وعاش فيها وأنشأ منازل ... وكانت معه قبيلته ... وفى مرير قصده عرب من قبائل شتى وأنشأوا بعد ذلك الزبارة وذهبوا اليها ليقيموا فيها .

ويتفق جميع الثقات على أن أحمد هو الذي زاد من منزلة آل خليفة في قطر • وساعد هجوم الفرس على البصرة في عامي ١١٨٩ — ١١٩٠ هـ الموافقين ١٧٧٥ — ١٧٧٦ م على نمـو الزبارة ، لأن كثيرين من تجار البصرة ومعهم بعض الرجال البارزين من الكويت انتقلوا اليها لاستئناف التجارة التي اعترض سبيلها هذا الهجوم •

لما اتسعت حركة التجارة في الزبارة ، وهي الميناء التجاري المنافس لموانى البحرين ، زادت مخاوف ناصر آل مذكور حاكم البحرين الذى عينه الفرس الذين كانوا يحكمون البحرين بغير انقطاع تقريبـا مدة مائة وخمسين سنة قبل ذلك • وبين عام ١١٩١ وعام ١١٩٦ هـ أى بين ١٧٧٧ و ١٧٨٢ م كثرت اعتداءات سكان البحرين وسكان الزبارة بعضهم على بعض • وبعد أن نال رجال الزبارة ظفرا في عام ١١٩٦ هـ الموافق ١٧٨٢ م ، باتوا مستعدين لتوجيه هجوم حاسم على البحرين • وبعد نحو قرن من ذلك روى عيسى بن على الرواية التالية عن الحادث الذى وقع يومئذ :

> في عام ١١٩٧ أرسل (أحمد بن محمد آل خليفة) عبدا الى سترة ليشترى أشياء له • فوقع خصام بين العبد وأهل الجزيرة وقتلوا العبد • فهب جميع سكان الزبارة الى الهجوم على البحرين واستولوا عليها •

وسواء أكان هذا الحادث هو السبب المباشر للحرب أم لم يكن ، فليس ثمة ريب في أن العتوب من الزبارة بقيادة أحمد بن محمد وبمساعدة زملائهم من قبائل الكويت تغلبوا على قوات ناصر آل مذكور وأكرهوه على الفرار الى أبو شهر الواقعة على الساحل الفارسى • وتقول المصادر البريطانية ان شهر يوليو عام ١٧٨٣ م الموافق لشعبان ١١٩٧ هـ هو الشهر الذى فيه استولى آل خليفة على البحرين • ومع أن تلك كانت نهاية

السيطرة الفارسية على تلك الجزائر ، فان ايران ما انفكت تدعى بملكية البحرين الحين بعد الحين ، وآخر عهد لها بذلك هو مطالبتها بها عقب تأميم شركة النفط الانكليزية الايرانية •

وظل آل خليفة سادة الزبارة والبحرين ، غير أن بعض أقربائهم من الجلاهمة لم ترضهم حصتهم من الفـوائد الناتجة من قهـر الجزائر ، فاستقروا فيما بعد فى خور حسان على ساحل قطر شمالى الزبارة • وفى الوقت عينه كانت هناك قوى أخرى فيما وراء قطر فى بلاد الحسا ونجد تتهيأ لكى تؤثر فى قطر وتهز جزيرة العرب كلها •

نفوذ الموحدين فى قطر

بعد استقرار العتوب فى الزبارة بقليل أصبح سعدون بن عريعر من آل حميد حاكما للحسا . وكانت قبيلته بنى خالد أعلى القبائل نفوذا فى هذا الجزء من جزيرة العرب خلال عشرات من السنين ، ويحتمل أنها كانت ذات نفوذ غير قليل فى قطر . واصطدم رجال آل سعود النجديون ، فى تأييدهم مبادىء الموحدين التى دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مع آل حميد من بنى خالد . ووقعت اغارات متقطعة على بنى خالد وصلت بالموحدين الى سواحل الخليج الفارسى فى عام ١٢٠٢ هـ الموافق ١٧٨٧ — ١٧٨٨ م .

وفى ذلك الوقت دبر القائد النجدى سليمان بن عفيصان أمير الخرج حملة وعبر مع قواته بلاد الحسا للهجوم على قطر . وهناك فاجأ رجالا من قبيلة آل بورميح وهزمهم ، وكانت خسارتهم نحو خمسين من رجالهم كما فقدوا جميع ممتلكاتهم . ثم انسحب سليمان الى نجد ، غير أنه عاد الى الساحل قبل مضى سنة ، وكانت عودته هذه المرة عند العقير حيث استولت قواته على كثير من الغنائم .

وفى عام ١٢٠٣ هـ الموافق ١٧٨٨ — ١٧٨٩ م هزم سعود بن عبد العزيز بنى خالد بالقرب من حفر الباطن ، وفى العام التالى انتصر عليهم انتصارا ساحقا عند جبل غريميل الذى لا يبعد كثيرا الى الجنوب من بقيق . ولاذ رؤساء بنى خالد بالفرار ، وربما فروا الى الزبارة كما روى أحد المؤرخين العرب المعاصرين . والواقع أن هذه الأحداث كانت خاتمة لاستقلال بنى خالد على الساحل الجنوبى للخليج الفارسى ، وان

كان الأمر اقتضى أن تضطلع القوات السعودية ببعض الأعمال الحربية فى هذه المنطقة فيما بعد • فحوالى شهر جمادى الأولى ١٢٠٦ هـ الموافق ليناير ١٧٩٢ م استولى سعود على سيهات وعانك وحاصر معاقل الشيعة فى القطيف ، ثم انسحب بعد دفع الجزية اليه • وفى عام ١٢٠٨ هـ الموافق ١٧٩٣ — ١٧٩٤ م تولى ابراهيم بن عفيصان قيادة المغيرين على قطر حتى بلغوا الهويلة على الساحل الشمالى الشرقى • ونحو عام ١٢١٥ هـ الموافق ١٨٠٠ م كان الموحدون قد بسطوا سلطانهم على معظم الساحل الجنوبى للخليج الفارسى • وهاجمت قوات مسقط البحرين نحو العام المذكور فأسفر ذلك فيما بعد عن تعزيز نفوذ الموحدين فى تلك الجزائر ، وذلك لأن العتوب انسحبوا الى الزبارة وسرعان ما ظفروا بحماية الموحدين • وفى العام التالى جمع الفريقان قواتهما لاسترداد الجزائر •

يبدو أن آل خليفة كانوا يتمتعون بشىء من الاستقلال فى تدبير أمورهم فى السنوات العشر التى تلت ذلك ، سواء فى البحرين أو فى الزبارة ، ولكن كان ذلك تحت سيادة موحدى نجد • واتسعت السلطة السعودية فى ذلك الوقت وامتدت فى جزيرة العرب من شمال الحجاز الى عمان • وحوالى عام ١٢١٧ هـ الموافق ١٨٠٣ م ، كما ورد فى احدى الروايات ، بسط الموحدون ظل حمايتهم فى الزبارة على بدر بن سيف آل بو سعيد الذى كان يحاول اغتصاب السلطة فى مسقط ، ومن ثم ساعدوه على أن يصبح خلال فترة وجيزة الرجل الأعلى فى بلاده • وفى الوقت عينه بسطوا حمايتهم على رحمة بن جابر فى هجماته على المراكب المارة فى الخليج ، وكان يوجهها من قاعدته على ساحل قطر وبمعونته أخضعت قطر لسيطرتهم • وفى عام ١٢٢٤ — ١٢٢٥ هـ الموافق ١٨١٠ م قام سعود بن عبد العزيز ، رغبة منه فى القضاء على السخط السياسى والتخاذل فى الدين ، بتوحيد البحرين وقطر والقطيف فى مقاطعة واحدة ،

وعين عبد الله بن عفيصان أميرا لها . ومضى آل خليفة في تصريف الأعمال الادارية ، غير أنهم كانوا يدفعون الجزية الى الحاكم النجدى .

ولكن سرعان ما تعرضت هذه الدولة السعودية الأولى للضغط من نواح شتى . فحـوالى عام ١٢٢٦ هـ الموافق ١٨١١ م هاجمت قوات مسقط جزائر البحرين والزبارة واحتلت الأولى وأشعلت النار فى الثانية . وقد أسر الأمير النجدى واسترد آل خليفة قدرا كبيرا من السلطة عقب جلاء قوات مسقط . وفى الوقت عينه دخلت القوات التى أرسلها محمد على باشا والى مصر غرب الجزيرة العربية ، وبهذا ابتدأت سلسلة من الحملات استمرت ثمانى سنوات ووصلت بابراهيم باشا وجيشه الى أواسط الجزيرة العربية والحسا . وفى فترة الاضطراب التى تتجت من ذلك ، عزز الانكليز موقفهم باعتبارهم حماة الملاحة فى الخليج الفارسى ، وعقدوا اتفاقات مع الزعماء الصغار على سواحله وجزائره ، ونهجوا على وجه العموم نهجا كفل لهم السيطرة على كثير من شئون امارات الخليج . ومع أن آل سعود عادوا فأقاموا سـلطانهم فى بلاد الحسا حوالى عام ١٢٤٧ هـ الموافق ١٨٣٠ م وجمعوا الجزية من حاكم البحرين فى فترات متقطعة حتى نحو عام ١٢٨٧ هـ الموافق ١٨٧٠ م ، فان سيادة الانكليز فى البحر حالت دون قيام آل سعود بأعمال بحرية كبيرة . وصار وضع قطر بالتدريج فى خلال الجزء الأول من هذه الفترة وضع أرض ملحقة بالبحرين ، وان كانت أعمال القرصنة الكثيرة والمنازعات القـائمة بين الزعماء الصغار تدل على أن كل سيطرة انما كانت سيطرة موقتة وأن تفرق الكلمة كان سائدا .

بين عام ١٢٣٥ و عام ١٢٤٥ هـ أى بين ١٨٢٠ و ١٨٣٠ م أخذت قطر تغدو بالتدريج ملجأ لعناصر المتمردين فى الخليج . فنحو عام ١٢٣٧ هـ الموافق ١٨٢٢ م انسحب رجال من أبو ظبى الى البـدع التى كانت

توصف يومئذ بأنها « ملحقة بالبحرين » . وبعد ذلك بوقت قصير عزز محمد بن شخبوط ، وكان يسعى لعزل أخيه طحنون حاكم أبو ظبى ، منزلته فى الهويلة التى وصفت اذ ذاك بأنها واقعة فى « أراضى الرئيس العتبى ، ولكن لم يكن عليها سوى اشراف ضئيل» . ويقال ان زعيم البدع طعن فى عام ١٢٤٣ — ١٢٤٤ هـ الموافق ١٨٢٨ م أحد رعايا البحـرين بسلاحه ، فكان من نتيجة ذلك أن ألقى عبد الله بن أحمد حاكم البحرين هذا الزعيم فى السجن ، ثم نقلت العناصر المثيرة للشغب من البدع الى الرويس والفويرط لتكون خاضعة خضوعا مباشرا لسيطرة ذلك الحاكم . وبعد وقت قصير أصبحت قوة عبد الله بن أحمد كافية لتمكينه من مهاجمة مسقط والحصول على شروط صلح طيبة ، وتوقفت البحرين عن أن تدفع الى مسقط الجزية السنوية التى تم الاتفاق عليها مدة حوالى عشر سنوات قبل ذلك مقابل اطلاق سراح أسرى من العتوب ورد بعض المراكب ، ووعدت حكومة مسقط حاكم البحرين بالامتناع عن التدخل فى شئونه . ولكن ذلك الوعد كان قصير الأجل .

فى عام ١٢٤٦ هـ الموافق ١٨٣٠ — ١٨٣١ م استقرت من جديد سلطة آل سعود فى بلاد الحسا ، بعد أن كانت قد عادت الى حكامها السابقين من بنى خالد فى العقد السابق من السنين . وطلب تركى بن سعود من عبد الله بن أحمد حاكم البحرين أن يدفع الجزية ويقدم ترضية عن الخسارة التى تكبدها الموحدون منذ سنوات طويلة مضت . وقد وضعت الترتيبات اللازمة للاعتراف بسلطة تركى فى البحرين ولدفع الجزية .

ثم نحو عام ١٢٥٢ هـ الموافق ١٨٣٦ م وافق عبد الله على شروط جديدة مع الموحدين يدفع بمقتضاها جزية سنوية صغيرة فى مقـابل المساعدة التى يظفر بها لصد كل هجوم محتمل من جانب قوات الفرس ، سواء قدمت هذه القوات وحدها أو بمؤازرة مسقط .

في بضع السنوات التالية تجدد الصراع فى نجد بين القوات السعودية والقوات المصرية ، كما حدث خلاف فى البحرين بين عبد الله بن أحمد ومحمد بن خليفة وهو ابن ابن أخيه . وترك زعماء قطر الصغار أحرارا فى منازعاتهم ما داموا لا يصطدمون بالقوة البريطانية التى تحافظ على الأمن فى الخليج . ونحو عام ١٢٥٤ هـ الموافق ١٨٣٨ م تخلت قبيلة آل بو عينين كلها ، وقوامها نحو ثلاثمائة أسرة ، عن قرية الوكرة واستقرت فى أبو ظبى . وبعد ذلك بوقت قصير تبينت قبيلة آل ابن على بقيادة عيسى بن طريف أن الانكليز غير راغبين فى تركها تستقر فى البدع ، وقررت القبيلة ، خشية من عبد الله بن أحمد حاكم البحرين ، أن تعدل عن اقتراح الاستيطان فى الوكرة . وعلى أثر ذلك انتقل آل ابن على الى جزيرة تجاه الساحل الفارسى ، غير أنهم عادوا الى البدع حوالى عام ١٢٥٩ هـ الموافق ١٨٤٣ م . وفى عام ١٢٥٧ هـ الموافق ١٨٤١ م هاجمت مراكب بريطانية الشيخ سلمان بن ناصر من أهالى البدع تأديبا له بسبب أعمال قرصنة قام بها هو وزملاؤه من قاعدتهم على ساحل قطر ، وكانت بضع طلقات من مدافع المراكب كافية لاقناع سلمان بالاستسلام والموافقة على رد الممتلكات المسلوبة .

وفى الوقت عينه أصبحت البحرين خلال فترة وجيزة خاضعة لسيطرة أتباع المصريين على البر العربى . وانسحب محمد بن خليفة ، المزاحم الشاب لعبد الله بن أحمد ، الى ساحل قطر ، وأخذ يدأب فى مضايقة عم أبيه مضايقة منتظمة . وتلا ذلك وقوع هجوم من جانب محمد على البحرين ، غير أنه أخفق وفر ليطلب مساعدة من عبد الله بن ثنيان آل سعود الذى كان قد اغتصب من عهد قريب السيطرة على الرياض من خالد ابن سعود الذى كان تابعا للمصريين . وبعد عام أو نحوه عاود فيصل بن تركى آل سعود الظهور فى نجد ، وبدأ يجدد دولة الموحدين بينما انتهى

محمد بن خليفة من انزال الهزيمة بعبد الله بن أحمد ، ونصّب نفسه حاكما للبحرين • ولما كان فيصل قد أسدى عونا الى محمد بن خليفة مقابل موافقته على أن يدفع الجزية السنوية ، فقد بعث نفوذ الموحدين فى شئون البحرين وعلى ساحل قطر •

وفى بضع السنوات التى تلت ذلك اعتمد محمد بن خليفة على قوة السلاح ليحتفظ بمقامه فى قطر ، بينما تبين فيصل بن تركى بدوره أن التهديد بالسلاح كاف للاحتفاظ بالبحرين خاضعة لحكمه • ووقعت معركة بالقرب من الفويرط حوالى شهر شعبان أو رمضان عام ١٢٦٣ هـ أى نحو أغسطس ١٨٤٧ م بين قوات محمد بن خليفة وبين ائتلاف قوامه رجال من قبيلة آل ابن على بقيادة عيسى بن طريف ومؤيدى عبد الله بن أحمد ، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة لآل ابن على ، وقتل زعيمهم • ونحو عام ١٢٦٧ هـ الموافق ١٨٥١ م وصل الأمير فيصل الى جوار البدع حيث كان على أخو محمد بن خليفة مستقرا فى القصر •وتخلى سكان القرى الواقعة على ساحل قطر ، منها الوكرة والفويرط فضلا عن البدع نفسها ، عن حكام البحرين وحالفوا فيصلا عقب فرار على بن خليفة فى مركب الى البحرين • وسوّى الأمر بعقد اتفاق تعهدت فيه البحرين بأن تدفع المبالغ المتأخرة المستحقة من الجزية • ولم يحل صيف عام ١٢٦٨ هـ الموافق ١٨٥٢ م حتى كان فيصل قد انسحب مع جيشه الى الهفوف ، حيث أمر أحمد السديرى أمير الحسا بأن يطبق شروط المعاهدة ويباشر سيطرة أوسع من ذى قبل على قطر والمناطق المتاخمة لها •

وبعد ذلك بسبع سنوات اتخذ فيصل الأهبة اللازمة لمهاجمة البحرين ، غير أنه عدل عن ذلك لوجود قوات بحرية بريطانية فى المنطقة • وتلا ذلك فى عام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦١ م اتفاق محمد بن خليفة مع بريطانيا وينص فيه على أن يكون المعتمد فى الخليج الفارسى حكما فى المنازعات الخاصة

بالبحرين وتوابعها وجيرانها ، ولكن لم تعين قطر أو أية أرض أخرى تابعة للبحرين تعيينا صريحا فى سلسلة الاتفاقات التى عقـدت بين البحرين والانكليز منذ عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م • ففىعام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م اشترك حكام البحرين فى المعاهدة العامة مع القبائل العربية فى الخليج الفارسى بعد ما وافقوا فى معاهدة تمهيدية على حظر بيع الأسلاب « فى البحرين أو توابعها » • وليس فى المتناول نص الاتفاق الذى وقعه حاكم البحرين فى عام ١٢٦٣ هـ الموافق ١٨٤٧ م لمكافحة تجارة الرقيق ، غير أنه فى التعديل الذى أدخل عليه فى شهر رمضان عام ١٢٧٢ هـ الموافق لمايو ١٨٥٦ م اعترف محمد بن خليفة بأن مسئولياته تشمل « أراضىّ أو أى مكان خاضع لسلطتى » • وجاء فى ديباجة الاتفاق الذى عقد فى عام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦١ م أن محمد بن خليفة هو «حاكم البحرين المستقل» فقط غير أن المادة الثالثة تذكر « البحرين ••• وتوابعها فى هذا الخليج » •

وفى التعهدات التى تلت ذلك بين بريطانيا والبحرين ذكرت « أراضى البحرين » وحدها • وعلى ما يعرف لم يعقد الانكليز تعهدا رسميا مع زعيم مستقر فى قطر قبل عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م •

وفى عام ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨٦٥ م أجمل الكولونل لويس پلى المعتمد البريطانى الموقف فى الخليج فيما يتصل بالموحدين ، فقـال ان القبائل العربية فى البحرين والمناطق المطلة على البحر ومسقط ، هى مستقلة فى حد ذاتها ، وهى تقوم بدفع الجزية الى فيصل بن تركى بدون أن تطلب مساعدة أو حماية منه ، وليست له سلطة لعزل زعمائهم ، وقيمة جزية البحرين ستة آلاف ريال •

وترتب على وفاة فيصل فى ذلك العام نفسه تنازع على السلطة بين نجليه عبد الله وسعود • وقد ارتقى الأول أريكة الحكم أولا • وفى أواخر

سنة ١٢٨٢ هـ الموافقة لأبريل ١٨٦٦ م وكد محمد بن عبد الله آل مانع ٠ وهو رسول الأمير عبدالله ، للمعتمد البريطانى فى أبو شهر فى بيان مكتوب أن الأمير النجــدى لا يضمر الا نيــات ودية للانكليز ، وانه « لن يضر أو يعتدى على أراضى القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ، ولا سيما مسقط ، ولن يتجاوز تسلم الزكاة التى جرى عليها العرف من قديم الزمان » ٠

قيام آل ثانى

حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى الموافقة لأواسط القــرن التاسع عشر الميلادى لم يكن أحد من زعماء قطر المحليين قد احتفظ طويلا بعلو شأنه على سائر الزعماء فى علاقات شبه الجزيرة مع سادة الجزيرة الغربية والبحرين • ولابد أن رأس الأسرة الحاكمة الآن فى قطر ، واسمه ثانى ، قد ظفر لنفسه ولقبيلته المعاضيد ببعض السلطة فى المنطقة المجاورة للبدع • ويلوح أن ابنه محمدا اعتنق مبادىء الموحدين وبهــذا ازداد نفوذه • وعلى كل حال فانه فى أواسط عام ١٢٧٩ هـ الموافقة لأوائل عام ١٨٦٣ م وصف محمد بن ثانى بأن له بعض الحق فى ارتفاع الشأن بفضل كونه « كبير جباة » الجزية السنوية • ويقول أحد الرحالين فى ذلك العهد ان سلطة محمد كانت ضئيلة خارج البدع ، وانه قد جرى العرف بأن يسوى الزعماء المحليون شئونهم فى قراهم • وقد كانت ســلطة حاكم البحرين محمد بن خليفة مبسوطة عليهم جميعا فى غير حدود معلومة ، ومحمد بن خليفة هو الذى عين أحد أفراد أسرته نائبا عنه فى قطر فى أواسط عام ١٢٨٠ هـ الموافقة للجزء الأخير من عام ١٨٦٣ م • وقد أبعد هذا النائب زعيم الوكرة المحلى ، وعمل أعمالا أخرى نفّرت الشعب منه. فاضطر أن يعود الى البحرين بعد عامين أو ثلاثة • وفى ذلك الوقت نفسه ناشد أهل قطر الأمير فيصل بن تركى النجدى المسن أن يقدم لهم يدا ضد البحرين •

وفى شهر جمادى الآخرة أو رجب عام ١٢٨٤ هـ أى فى أكتوبر ١٨٦٧ م وحدت البحرين وأبو ظبى قواتهما للاستيلاء على الوكرة والبدع واغراق

عدد كبير من مراكب قطر • وقبل أن يتمكن الانكليز من التدخل فى الأمر لاقرار الأمن ، انتقمت قبائل قطر لنفسها بهجوم على البحرين •

دعت هذه الاضطرابات الواسعة النطاق الى وجوب اتخاذ اجراء حاسم من جانب الانكليز اذا ما أرادوا أن يصونوا مقامهم باعتبارهم حفظة على السلم البحرى فى الخليج ، ولا سيما لأن الموقف ازداد تعقيدا بافتقار نجد الى الاستقرار • وفى عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م تحرك المعتمد البريطانى پلى للعمل وظفر بتعهدات من زعماء البحرين وقطر وأبو ظبى•

وافق محمد بن ثانى حينئذ على الامتناع عن خرق السلم البحرى وعلى صون جميع العلاقات التى ظلت قائمة بينه وبين حاكم البحرين حتى ذلك الوقت ، وأن تحال جميع المنازعات الى المعتمد • وفى شهر جمادى الأولى ١٢٨٥ هـ الموافق لسبتمبر ١٨٦٨ م ، وعن طريق وساطة المعتمد ، اعترف عدد من زعماء القبائل « وجميعهم فى قطر » بأنهم تابعون للبحرين كما وافقوا على أن يدفعوا ما جرى العرف على دفعه سنويا الى محمد ابن ثانى رئيس بلدة الدوحة ، ووافق هو بدوره على أن يسلم هذا المبلغ الى حاكم البحرين عن طريق المعتمد البريطانى فى أبو شهر • ولم تذكر أسماء الذين وقعوا هذا الاتفاق فى النص الذى حصلنا عليه ، غير أن هناك أسماء تسع قبائل منها المعاضيد ، وهى قبيلة محمد بن ثانى ، تعين عليها أن تدفع جزية سنوية تبلغ فى جملتها ما يتفاوت بين تسعة آلاف قران وخمسة عشر ألف قران •

وفى الوقت عينه اعترف الانكليز بعلى بن خليفة حاكما للبحرين وأصدر على بيانا مؤداه أن أخاه محمدا قد أضاع حقه فى الحكم نتيجة لاشتراكه فى مهاجمة قطر فى عام ١٢٨٤ هـ الموافق ١٨٦٧ م واعتداءاته على المراكب فى الخليج الفارسى • كذلك حصل پلى على موافقة حاكم أبو ظبى على ألا ينتهك سلم البحار فى المستقبل ، وأن يدفع غرامة كبيرة

عن اعتداءاته السابقة ، وألا يحول دون عودة الذين تركوا قطر الى بلادهم .

يقول ايتشسن ان جزية قبائل قطر دفعت خلال عامين بعد ذلك ، ولكنه لم يذكر شيئا عن اتفاق عقد فى شهر ذى الحجة ١٢٨٥ هـ الموافق لأبريل ١٨٦٩ م ، وهو موجود ضمن محفوظات حكومة الهند . ففيه اتفق ممثلو حاكم البحرين ومحمد بن ثانى وزعماء قطر الآخرون على :

... أن يدفع فى كل عام مبلغ تسعة آلاف قران لحساب جميع المطالب من قطر ، وعلى أن يدفع لراشد بن جبر شيخ قبيلة نعيم أربعة آلاف قران من هذا المبلغ ، وذلك فى مقابل حمايته قطر ، على أن يؤخذ ايصال عنه ويسلم عن طريق المعتمد الى رئيس البحرين .

أما الباقى ، وقدره خمسة آلاف قران ، فهو لحساب الزكاة المستحقة لابن سعود ، ويدفع لرئيس البحرين عن طريق المعتمد .

وعندما أحال پلى هذا الاتفاق فى شهر ذى الحجة الموافق لأبريل الى رؤسائه فى حكومة الهند قال فى كتاب ان خمسة آلاف قران تدفع آخر الأمر الى « الحكومة الوهابية » وان « هذا الدفع لا يؤثر فى استقلال قطر بالنسبة الى البحرين ، بل يعد مساهمة ثابتة من جانب قطر فى المبلغ الاجمالى الذى يستحق دفعه على البحرين وقطر مجتمعتين رغبة فى صون حدودهما ضد أى عدوان يقوم به البدو من نعيم ومن الوهابيين » .

وقال پلى فى الكتاب عينه ان « محمد بن خليفة سيعمد ، اذا أتيحت له الفرصة ، الى اساءة استغلال سخاء الحكومة فى سماحها له بالعودة الى البحرين » . وبعد ذلك ببضعة أشهر نال محمد مساعدة أسداها له من قطر ناصر بن مبارك وعدد من قوات بنى هاجر ، فهاجم قوات أخيه

على حاكم البحرين وهزمها وقتل على فى المعركة • ثم وصلت قوة بحرية بريطانية لتعيد النظام الى نصابه وتنصب عيسى بن على حاكما • وعيسى هذا هو الذى عزا اليه المعتمد فى شهر رجب ١٢٩٠ هـ الموافق لسبتمبر ١٨٧٣ م قوله ان قبيلة نعيم فى قطر وأتباعها دفعت الزكاة الى ما قبل ذلك التاريخ بثلاث سنوات • « وعلى أثر ذلك ثار أهل قطر وزعيمهم محمد ابن ثانى وخضعوا لحماية أخرى ، غير أن قبيلة نعيم وأتباعها ظلت رعية لى ودفعت الجزية السنوية» • فيمكن القول بأن قطر كفت عن دفع الجزية عقب ظهور قوة جديدة أى عقب ظهور الأتراك على ساحل الحسا، ان لم يكن قبل ذلك •

الأتراك فى قطر

تبين مدحت باشا والى بغداد التركى الذى لم يكن يفتر ولا يكل ، أن حالة الفوضى فى نجد تهيىء أمام الدولة العثمانية فرصة طيبة لتسترد مقامها على الساحل الجنوبى للخليج الفارسى • وقد استند الى الأنباء التى نقلها اليه جواسيسه الذين أرسلهم الى تلك المنطقة متخفين فى زى تجار ، ثم زعم أنه يعمل على تقديم معونة كان قد طلبها عبد الله بن فيصل الذى حل أخوه سعود محله فى الرياض ، فأعد قواته النظامية وقوات أخرى قوامها من البدو للهجوم على الحسا • وقد ثارت هواجس الانكليز من هذه الاستعدادات فطلبوا توكيدا من الترك بسلامة نيتهم عن طريق السفير البريطانى فى الاستانة وفى شهر صفر عام ١٢٨٨ هـ الموافق لأبريل ١٨٧١ م رد ناظر الخارجية العثمانى شفويا فقال « ان الباب العالى لا تخامره نية الحصول على السيادة على البحرين أو مسقط أو القبائل المستقلة فى جنوب الجزيرة العربية ، ولا يفكر فى القيام بأى هجوم عليها ولا توجد عنده خطة ما لاخضاعها » •

ولكن بعد مضى شهر وبضعة أيام نزلت القوات التركية فى رأس تنورة ، ولم تكد تمضى بضعة أشهر حتى احتلت الهفوف فضلا عن المدن الساحلية • وكان نافذ باشا القائد التركى قد أعلن قبلا أن الغرض من هذه الحملة هو اعادة السلطة الى عبد الله بن فيصل « قائمقام نجد » • ومع هذا كان نافذ هذا نفسه هو الذى عين « متصرف نجد » عندما زار مدحت باشا الهفوف فى أواسط عام ١٢٨٨ هـ الموافقة لنوفمبر ١٨٧١ م • وقبيل ذلك كان عبد الله قد فر من الهفوف ، وربما كان فراره خوفا من

أن يقع أسيرا فى قبضـــة الترك الذين خيبوا آماله • أما سـعود بن فيصل الذى أخفق فى هجوم شنه على الترك ، فارتد مع قواته صـــوب قطر • وبذلت مساع للتوفيق بين الأخوين ، ولكن بلا جدوى •

وقاسم آل ثانى من الدوحة الذى أصبح أقوى الزعماء نفوذا فى قطر بعد اعتزال والده محمد ، كان قد تقبل علما تركيا فى شهر ربيع الثانى أو جمادى الأولى ١٢٨٨ هـ الموافق ليوليو ١٨٧١ م من وفد تركى بقيادة عبد الله آل صباح حاكم الكويت • وفى شهر شوال أو ذى القعدة ١٢٨٨ هـ الموافق ليناير ١٨٧٢ م زار الدوحة ضابط بحرى تركى مع عبد الله • ووضعت هناك فرقة من مائة من الجنود الأتراك ونصب هناك مدفع ميدان • وفى خلال السنوات التالية كان عدد الجنود يختلف كثيرا من سنة الى أخرى حسبما تدل عليه التقـارير البريطانية وفى عام ١٢٨٩ أو ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٣ م لم يكن هناك سوى ثلاثين من جنود الجندرمة من غير أن يكون معهم جنود آخرون فى حين أن عدد الجنود والجندرمة وصل الى المائة والثلاثين فى عام ١٢٩٩ هـ الموافق ١٨٨١ م • أما فى عام ١٣٠٥ هـ الموافق ١٨٨٨ م فكان عدد الجنود مائتين وخمسين وفى عام ١٣٢٦ الموافق ١٩٠٨ م كان العدد الاسمى للقوة هناك ثلاثمائة وخمسين من الجنود •

فى أواسط عام ١٢٩٠ هـ الموافقة لأواسط ١٨٧٣ م زار قطر يوسف أفندى ممثل قائد العسكر التركى فى الهفوف • ومن هناك بعث كتابا الى حكام أبو ظبى والشارقة ودبى أعرب فيه عن اهتمامه بهذه المناطق ، واقترح على الحكام أن يتصلوا بالقائد التركى فى الدوحة • وبعد ذلك زارت بعثة تركية برئاسة حسين أفندى بلدة الزبارة ، وربما كان ذلك نتيجة للأنباء التى راجت فى ذلك الوقت ومؤداها أن عيسى بن على حاكم البحرين كان يبذل عونه لائتلاف من القبائل بزعامة ناصر بن جبر النعيمى

لكى تستقر فى القصر القديم هناك • ويبدو أن حسينا حاول أن يحصل على بيان من رئيس نعيم بالولاء للدولة العلية ، فطلب رئيس نعيم مؤازرة حاكم البحرين • وطلب عيسى بن على بدوره مساعدة بريطانيا ، فقيل له انه لا يملك القوة الكافية لحماية القبائل المقيمة فى قطر وان ليس له أن ينتظر من بريطانيا أن تتدخل فى أمور تشمل حقوقا يحوطها الشك •

فى هذا الوقت تعاقب على ادارة الحكومة فى الهفوف كثيرون من المتصرفين الأتراك الذين اشتدوا فى معاملة الشعب • وكان عبد الرحمن ابن فيصل قد جاء الى بغداد ليتفاوض مع الترك بالنيابة عن أخيه سعود ، فألفى نفسه معتقلا هناك • وسرعان ما وهنت الادارة التركية فى الحسا ، وفى أواخر عام ١٢٩٠ أو أوائل عام ١٢٩١ هـ الموافقة لأوائل ١٨٧٤ م آثر الترك تنصيب أحد رجال آل عريعر من بنى خالد ، وهى القبيلة التى كانت تحكم هذه المنطقة ، حاكما عليها •

أخذ الموقف فى الحسا يسوء سوءا مطردا سريعا • فلما سمح لعبد الرحمن بن فيصل بمغادرة بغداد ، عاد الى الحسا فى الجزء الثانى من عام ١٢٩١ هـ الموافق لخريف عام ١٨٧٤ م عن طريق البحرين • فالتف الناس حوله فبادر الترك الى ارسال قوة كبيرة بقيادة ناصر باشا آل سعدون الذى رد النظام الى نصابه فى بطش وشدة ، ثم ترك ابنه مزيدا ليحكم المنطقة • وفى قطر اتخذ ناصر بن مبارك أهبته ليزحف على القبائل المحتشدة حول الزبارة ، وربما كان ذلك بتحريض من الترك ، وبعث بكتاب حرر فى شهر رمضان عام ١٢٩١ هـ الموافق لأكتوبر ١٨٧٤ م الى المعتمد البريطانى أشار فيه الى رغبته فى توكيد حقوقه فى البحرين • وفى الأعمال الحربية التى تلت ذلك ، اشترك مركب حربى بريطانى مع قوات البحرين فى مهاجمة بنى هاجر فى المنطقة المجاورة للزبارة •

بادر الباب العالى الى الاحتجاج على هذا التدخل البريطانى فى شئون قطر ، وزعم أن أكثر من عشرين من رجال قبيلة بنى هاجر قد قتلوا • وقيل ان القوات الخاضعة لقيادة ناصر بن مبارك كانت قد جردت رغبة فى جباية الضرائب المستحقة للخزانة العثمانية من قبيلة نعيم فى قطر • ثم برر المعتمد التصرف البريطانى بقوله انه فى نطاق الالتزامات المنصوص عليها فى المعاهدات مع البحرين ، وزعم أن عيسى بن على واجه تهديدا من ائتلاف قوامه ناصر بن مبارك ورئيس الدوحة وغيرهما من أهل قطر • وعلى أثر ذلك تلقى المعتمد من حكومة الهند أن حاكم البحرين ليس له ممتلكات على بر جزيرة العرب وأن ايفاد قوات لتعزيز حلفائه من نعيم أمر لا ينبغى تشجيعه • وفى أوائل العام التالى بحث بعض رجال نعيم المزايا التى يمكن أن تعود عليهم اذا ما اتجهوا بولائهم الى آل ثانى فى الدوحة ، غير أنهم رفضوا الشروط الشديدة التى عرضها عليهم قاسم نيابة عن أبيه محمد • وقد اختفى محمد الذى توفى عام ١٢٩٥ هـ الموافق ١٨٧٨ م تمام الاختفاء فى السنوات الأخيرة من حياته ، أمام قاسم النشيط •

وفى أثناء هذه الفترة قام المركب الحربى التركى « اسكندرية » ومركب حربى بريطانى بجولات على ساحل قطر ليحققا فى أعمال القرصنة والمشاكل بين القبائل التى قيل بوجودها هناك وكان الممثل التركى فى الدوحة يعمل أيضا كقاض متدخلا فى شئون قاسم آل ثانى ، وربما كان يعمل كذلك فى تحصيل الدخل السنوى من البلدة الذى قيل فى عام ١٢٩١ — ١٢٩٢ هـ الموافق ١٨٧٥ م انها تدفعه للحكومة التركية• وقد وصل هذا الدخل الى مبلغ بين تسعة آلاف وعشرة آلاف قران •

وفى عام ١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦ م زار الدوحة موظف بريطانى فى الخليج فوجد « أن شيوخ آل ثانى الذين رحبوا أولا بالاحتلال التركى

اعتقادا منهم أنه وسيلة لزعزعة كيان الحكم البريطانى فى الشئون البحرية قد ضاقوا به ذرعا الآن » الا أنه قيل ان قاسما قبل أن يعينه الترك فى عام ١٢٩٢ أو ١٢٩٣ هـ الموافق ١٨٧٦ م قائمقام قطر وقد رحب فى عام ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٩ م بالموظف التركى الذى كان متصرف الحسا فى زيارته للدوحة .

وقد تميزت السنوات التالية بأن خسر الترك ما بقى لهم من سيطرة داخلية ضئيلة فى قطر ، مع أن الحكومة العثمانية ظلت تتحدى الانكليز فى المسائل المتعلقة بالشئون الخارجية لشبه الجزيرة . وقد أبلغ الانكليز الباب العالى غير مرة ، كما أبلغوا قاسم بن محمد آل ثانى وناصر بن مبارك الذى كان مع بنى هاجر ، أنه لن يسمح بالأعمال العدوانية التى يقوم بها بنى هاجر ضد البحرين . وفى عام ١٣٠١ أو ١٣٠٢ هـ الموافق ١٨٨٤م أبلغ قاسم الانكليز أنه حصل على موافقة الأتراك للقيام بهجوم من البحر على بعض رجال بنى هاجر بجوار الظهران وطلب موافقة الانكليز على هذه الحملة ، فبعث اليه المعتمد البريطانى بكتاب يطلب فيه العدول عما اعتزمه ، ويبدو أنه عدل عنه .

كذلك تدخل الانكليز فى الخلاف الذى كان ناشئا يومئذ بين قاسم وحاكم أبو ظبى . وفى عام ١٢٩٤هـ الموافق ١٨٧٧م لجأت أغلبية القبيسات فى العديد الى بلدة الدوحة فرارا من قنابل المدافع البحرية البريطانية ، وظلوا فيها حتى عام ١٢٩٧ هـ الموافق ١٨٨٠ م عند ما عادوا الى ديارهم الأصلية فى أبو ظبى . وفى عام ١٢٩٧ هـ نشب قتال بين قطر وأبو ظبى . ولما أرسل قاسم رجالا وسلاحا فى عام ١٣٠٧ هـ الموافق ١٨٨٩ — ١٨٩٠ م الى السلع ، وهو مورد للماء يتردد عليه البدو على مقربة من الساحل نحو منتصف الطريق بين خور العديد وجبل الظنة ، نازع الانكليز ما وكده

قاسم من أن هـذه البقعة تقع تحت سيادته وأنذروه بأن هـذا العمل وما يماثله « سيؤدي الى عواقب خطيرة » .

واحتج الترك من ناحيتهم على الخطوات التى اتخـذها الانكليز فى قطر . فبعد فرار القبيسات من العديد فى عام ١٢٩٤ هـ الموافق ١٨٧٧ م أرسل الترك احتجاجا رسميا ادعوا فيه أن هذه المنطقة تحت سيادتهم . وفى عام ١٣٠٣ أو عام ١٣٠٤ هـ أى فى ١٨٨٦ م نفى الترك مازعمه الانكليز من أن قاسم بن محمد آل ثانى تلقى تعليـمات منهم بأن يبنى قصرا فى العديد . وعلى كل حال فقد جاء فى المذكرات الشفوية التى قدمها الترك الى الانكليز فى شهر ذى الحجة عام ١٣٠٨ هـ الموافق ليوليو ١٨٩١ م وفى شهر جمادى الآخرة عام ١٣٠٩ هـ الموافق ليناير ١٨٩٢ م أن الزبارة والعديد داخلتان فى حدود ولاية البصرة (وقد أدمجت الحسا فى هذه الولاية الجديدة فى عام ١٣٠١ أو عام ١٣٠٢ هـ أى فى ١٨٨٤ م) وقد تولى ادارتهما القائمقامون والمديرون الأتراك منذ زمن طويل . وليس هناك ما يدل على أن الانكليز ردوا على هذه المذكرات . وفى عام ١٣١٠ أو عام ١٣١١ هـ أى فى ١٨٩٣ م اقترح الترك معاملة أهالى البحرين باعتبارهم رعايا للدولة العلية مقيمين فى داخل الأراضى العثمانية . فتمسك الانكليز هذه المرة بحقهم فى بسط الحماية البريطانية على رعايا البحرين . وفى عام ١٣١٣ أو عام ١٣١٤ هـ أى فى ١٨٩٦ م ثم فى عـام ١٣١٩ أو عام ١٣٢٠ هـ أى فى ١٩٠٢ م سعى الترك الى وضع العديد تحت حكومة قطر ، ولكن المعارضة البريطانية ثنتهم عن ذلك .

فى شهر رمضان ١٣١٢ هـ الموافق لمارس ١٨٩٥ م انسحب رجال من قبيلة آل ابن على بزعامة سلطان بن سلامة من البحرين الى قطر وحولوا ولاءهم الى قاسم آل ثانى فأقرهم فى الزبارة حيث حشد مراكب عديدة .

وأيد الترك هذا العمل ، وأرسلوا مديرا بمركب حربى فرفع العلم العثمانى على الزبارة . وبدا أنه قد أوشكت مهاجمة البحرين . وهرعت مراكب الأسطول البريطانى الى الزبارة ثم أطلقت النار وأصابت نحو أربعين مركب تابعة لأهالى البلدة . وبعد ذلك بقليل طلب قاسم تحكيم بريطانيا فى الأمر ، وعاد المدير التركى الى الحسا ، كما عاد أغلبية آل ابن على الى البحرين ، مع أن زعيمهم انضم الى قاسم آل ثانى فى الدوحة . ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم بقيت الزبارة غير مأهولة ، كما بقيت أساسا يعتمد عليه حكام البحرين فى ادعاءات يقدمونها من وقت لآخر بحقوق وامتيازات لهم فى قطر .

بعد عام ١٣٢٠ هـ أى عقب انتهاء القرن التاسع عشر الميلادى وعودة السلطة الى آل سعود بقيادة صقر الجزيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن ، أدخلت تغييرات على الموقف فى الخليج ، وبدأ الانكليز سياسة اتسمت بمعارضة نشيطة قوية للنفوذ التركى هناك . وفى عامى ١٣٢٠و١٣٢١ هـ الموافقين ١٩٠٣ م قيل ان الأتراك عدلوا من انشاء مديريتين فى الوكرة والزبارة بسبب احتجاجات الانكليز . وفى نحو ذلك الوقت نظر الانكليز فى موضوع المفاوضة لعقد معاهدة مع أحمد بن محمد أخى قاسم آل ثانى ، وقد بدا قبل ذلك أنهم شجعوا أحمد مرة على أن يتصرف مستقلا عن أخيه الحاكم . أما قاسم فقد طلب بدوره تأييدا من دولة نجد الناهضة وقد قيل انه كان يرسل نقودا وهدايا لآل سعود كل عام ، وعندما جاء عبد العزيز آل سعود الى قاعدة شبه جزيرة قطر فى صيف عام ١٣٢٣ هـ الموافق ١٩٠٥ م زاره وقدم له هدية من نقود وأسلحة . الا أن أحمد صرح بأن أية محاولة من جانب عبد العزيز « لعبور حدود قطر ستقاومها قوات الدوحة وأبو ظبي الموحدة » . وقد قتل أحمد فى أواخر عام ١٣٢٣هـ الموافقة لنهاية ١٩٠٥ م بيد أحد خدمه ونتيجة لذلك وجد عبد الله الابن الرابع لقاسم نفسه فى ظروف مواتية ليخلف أباه .

وفى شهر شعبان أو رمضان عام ١٣٢٤ هـ أى فى أكتوبر ١٩٠٦ م أرسل عبد العزيز آل سعود رسالة عن طريق قاسم آل ثانى الى الانكليز يطلب منهم حماية بحرية لهجوم يدبر على الهفوف والقطيف[١]. وارتأت الحكومة البريطانية أن مقترحات عبد العزيز تنطوى على اعتبارات « ترى حكومة جلالته البريطانية استحالة قبولها » . ثم وجه عبد العزيز اهتمامه وجهة أخرى ، ولم تعد الحسا الى السيطرة السعودية الا فى فصل الربيع عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م .

وفى قطر استمر قاسم يتصرف بكيفية جعلته مستقلا عن الأتراك استقلالا يكاد يكون تاما ، وان كانت حاميتهم ما انفكت مرابطة فى بلدة الدوحة . وأشارت المطبوعات الرسمية للحكومة العثمانية الى قاسم باعتباره قائمقام قضاء قطر فى سنجق نجد[٢] ، فجاءت فى سالنامة الدولة العثمانية لعام ١٣٢٧ هـ الموافق ١٩٠٩ م اشارة اليه من هذا القبيل كما أنها كانت قد وردت فى سنين كثيرة قبل ذلك ، ثم جاء فى السالنامة المذكورة أن البدع ناحية من الدرجة الأولى فى قضاء قطر ، وأن العديد والوكرة والزبارة كلها من الدرجة الثانية .

وقد اعتبرت قطر قضاء من الدرجة الثالثة ، كما هو شأن الرياض . وورد اسم عبد الرحمن آل فيصل باعتباره قائمقام الرياض . والرياض ، فيما هو معروف ، لم تكن قد ذكرت قبلا فى أعداد السالنامة المختلفة ولم تذكر فيما بعد .

لما زاد الجفاء فى العلاقات الدولية قبل الحرب العالمية الأولى ، سعت بريطانيا العظمى الى تعزيز موقفها فى الخليج فأصدر اللورد كرزون

---

(١) هذا ما تذكره المصادر البريطانية .

(٢) أطلق الأتراك اسم نجد على ممتلكاتهم على الساحل الجنوبى للخليج الفارسى وبالقرب منه ، وان لم يحتلوا سوى المدن الرئيسية فيما هو الآن مقاطعة الحسا ، ولم تمتد سيطرتهم الى منطقة نجد الجغرافية .

واللورد لنزدون Lansdowne بيانات رسمية جريئـــة فيما يتعلق بذلك الموقف . وفى عام ١٣٢٥ هـ الموافق ١٩٠٨ م قال صحفى بريطانى معروف له اهتمام بشئون الخليج :

> لم تعترف بريطانيا قط بالمنزلة التى أخذتها تركيا فى قطر .... وقد حان الحين الذى يجب علينا فيه أن نصرّ بشدة على تخلى الأتراك عن ادعاءاتهم فى قطر ، وهى أضعف نقطة فى الموقف الحالى .

بناء على رغبة الانكليز بدأت مفاوضات فى عام ١٣٢٩ هـ الموافق ١٩١١ م مع تركيا بشأن المشاكل الكثيرة التى كانت تهم الجانبين والتى لم تسوّ ، بما فى ذلك وضع قطر . وعندما أخـــذ المسئولون الانكليز يتأهبون لدعواهم اعترفوا فيما بينهم بأن « من الأمور المهمة فى السعى لتسوية مشاكل الخليج ، اخراج الأتراك من شبه جزيرة قطر » . وكان بين الحجج التى ساقوها للحكومة العثمانية أن لحاكم البحرين حقوقا هامة هناك .

وفى شهر صفر أو ربيع الأول عام ١٣٣١ هـ أى فى فبراير ١٩١٣ م ، بينما كانت المفاوضات دائرة ، عمل الانكليز بواسطة كوكس على أن يصدر قاسم آل ثانى المسن قرارا يمنع استيراد الأسلحة بعد الوصول الى تسوية انكليزية تركية . وبعد ذلك بشهرين هاجم عبد العـــزيز آل سعود الأتراك فى الهفوف ونجح فى اخراجهم من بلاد الحسا .

وفى النهاية تم توقيع اتفاقية فى لندن فى شهر شعبان عام ١٣٣١ هـ الموافق ليوليو ١٩١٣ م بين بريطانيا والدولة العلية تختص بالخليج الفارسى والأراضى المجاورة له . وفى هذه الاتفاقية تخلت الحكومة العثمانية عن جميع ادعاءاتها فيما يتعلق بشبه جزيرة قطر ، كما اعترفت بخط يمتد الى الجنوب رأسا من الطرف القصى للخليج المواجه لجزيرة

الزخنونية باعتباره خطا يفصل « نجد عن شبه جزيرة قطر » . وقد نص فى الأصل على المصادقة على الاتفاقية فى غضون ثلاثة أشهر ، غير أن هذه المدة مدّت عدة مرات حتى نشوب الحرب بين الطرفين المتعاقدين فحال هذا دون قبولها نهائيا .

انطوت الاتفاقية الانكليزية التركية التى عقدت فى عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م على اتفاق بين الحكومتين بأن يستمر قاسم وخلفه فى حكم قطر من ذلك الوقت فصاعدا . وعقيب توقيع الاتفاقية توفى قاسم وخلفه ابنه عبد الله . وشمل حكم عبد الله ، الذى لا يزال على قيد الحياة فى قطر مع أنه قد تخلى عن سيطرته فى الدولة لابنه على فى شهر شوال عام ١٣٦٨ هـ الموافق لأغسطس ١٩٤٩ م ، أبرز حوادث التطور الحديث فى قطر .

فى عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥ م أجلت مراكب الأسطول البريطانى الحامية التركية التى كانت تحتل القصر فى الدوحة مدة تزيد على أربعين عاما . وأشارت المعاهدة التى وقعت بين الحكومة البريطانية وعبد العزيز آل سعود فى شهر صفر عام ١٣٣٤ هـ الموافق لديسمبر ١٩١٥ م الى شيخ قطر باعتباره « تحت حماية الحكومة البريطانية » ، وان لم يكن هناك اتفاق رسمى يسبغ عليه هذا الوضع ، فلم يدخل عبد الله آل ثانى فى علاقات معاهدة رسمية مع الانكليز مماثلة لتلك التى تربط شيوخ ساحل الصلح البحرى بهم الا فى العام التالى كما سيرد فيما بعد .

قطر منذ الحرب العالمية الأولى

فى أثناء السنوات العشر التى تلت الحرب العالمية الأولى أو نحوها كاد الانكليز يتجاهلون قطر تجاهلا تاما . والواقع أن الكتاب الذى وضعه القسم التاريخى لوزارة الخارجية البريطانية فى عام ١٣٣٨ — ١٣٣٩ هـ الموافق ١٩٢٠ م عن الخليج الفارسى قال ان « قطر خاضعة الآن لسيطرة ابن سعود أمير نجد » ، بينما جاء فى كتاب مماثل عنــوانه « جزيرة العرب » انه « لم يعين خط للحدود بين قطر والبلاد السعودية وحتى لم يتفق على موقع تلك الحدود » .

منذ حوالى عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣٠ م وما يليه من أعوام اتجهت الأنظار الى امكان وجود الزيت فى قطر كما كانت متجهة الى امكان وجوده فى البحرين والبلاد العربية السعودية . فمنح عبد الله بن قاسم آل ثانى شركة النفط الانكليزية الفارسية امتيازا للتنقيب فى عام ١٣٥٠ أو عام ١٣٥١ هـ أى فى ١٩٣٢ م . ولما قيدت تنقلات الجيولوجيين التابعين لتلك الشركة فى منطقة دوحة سلوة فى العام التالى بأيدى ممثلى أمير الحسا ، أثار عبد الله حاكم قطر مسألة التخوم مع المعتمد البريطانى فى أبو شهر ، ويقال انه نصح بأن يستشير ملك المملكة العربية السعودية ، وكانت هذه المملكة آنئذ ، على ما يقولون ، ترى أن سيادتها تشمل شبه جزيرة قطر بأسره مع استثناء مدينة الدوحة وأراضى الرعى المتاخمة لها مباشرة . ونحو عام ١٣٥٣ هـ أى فى ١٩٣٤ م بدأت بريطانيا تبحث موضوع تخوم قطر مع الحكومة السعودية غير أن المفاوضات التى جرت فى السنوات الثلاث التى تلت ذلك أخفقت فى الوصول الى اتفاق .

وفى أثناء ذلك منح عبد الله حاكم قطر امتيـازا للزيت فى شهر صـفر عام ١٣٥٤ هـ الموافق لمايو ١٩٣٥ م ، وهو الامتياز الذى تنتفع به الآن شركة استثمار البترول (قطر) المحـدودة المعروفة بالانكليزية باسم Petroleum Development (Qatar) Ltd.

والمادة الأولى من اتفاق الامتياز تمنح الشركة حقوقا « فى جميـع ربوع امارة قطر[1] » . والمادة الثانية تنص على أن « دولة قطر معناها المنطقة التى يحكمها الشيخ كلها ، وهى تقع شمالى الخط المرسوم فى الخريطة المرفقة مع هذا الاتفاق » . أما الخريطة ، وهى تمثل شبه الجزيرة على وجه غير دقيق ، فقد وقعها عبد الله بن قاسم آل ثانى حاكم قطر وتشارلز ميلز Charles C. Mylles ممثل الشركة . ويبدأ الخـط المذكور من نقطة على ساحل دوحة سلوة تقع الى الجنوب قليلا من غربى خشم النخش ، ثم يمتد شرقا مسافة ميلين أو نحوها ويمر جنوبى خشم النخش مباشرة ، ثم ينحرف حتى يسير مسافة نحو ثمانية أميال فى اتجاه جنوبى يميل قليلا الى الشرق ، ثم يستأنف اتجاهه الشرقى حتى يقطع الساحل الشرقى على بعد نحو ثمانية أميال شمالى مدخل خور العديد .

ترتب على المنازعات بين القبائل على ساحل قطر الشمالى الغربى أن عين الحاكم مفتشين للجمارك هناك فى عام ١٣٥٥ أو عام ١٣٥٦ هـ أى فى ١٩٣٧ م . فاحتج حاكم البحرين على ذلك ، بناء على طلب أفراد من قبيلة نعيم يقيمون فى الأرض المضطربة ، وقال ان قطر تعتدى على حقوق البحرين فى منطقة الزبارة . ولم تسفر المفاوضات التى جرت لتسوية الموقف عن نتيجة ما ، فنشب قتال بين قوات نعيم وحاكم قطر .

---

(١) ان الكلمات المقتبسة من نص الاتفاق والمدونة هنا قد اخذت من ترجمة انكليزية للنص العربى الأصلى .

وعلى أثر ذلك انسحب الى البحرين معظم رجال نعيم ، وفى نهاية الأمر استقر بعض منهم فى المملكة العربية السعودية . وكادت المواصلات بين البحرين وقطر تتوقف تماما مدة بضع سنوات ، ولم تستأنف سيرها العادى الا نحو عام ١٣٦٣ هـ الموافق ١٩٤٤ م عندما اتفق الرأى بين الحاكمين . ويلوح انه اعترف بسيادة قطر على المنطقة المتنازع عليها فى ذلك الوقت ، غير انه جاءت بعد ذلك أنباء عن عودة حاكم البحرين الى ادعاءاته فى تلك المنطقة .

أما عبد الله الذى خلف أباه قاسما فى الحكم عام ١٣٣١ هـ الموافق ١٩١٣ م وكان يومئذ فى نحو الخمسين من عمره ، فبدأ حوالى عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣٠ م يحيل الى ابنه الثانى حمد شطرا كبيرا مطردا من تبعاته ، ويبدو أن مؤهلات حمد فى الشئون الادارية ميّزته على أخيه الأكبر على . وحمد هو الذى كان يمثل الحاكم فى علاقاته مع شركة استثمار البترول (قطر) حتى وفاته فى عام ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٨ م .

على أثر ذلك منح عبد الله شركة سوپيريور للزيت Superior Oil Company امتيازا يشمل المناطق الواقعة تجاه سواحل قطر ، ثم نازعته شركة استثمار البترول (قطر) فى شهر شعبان أو رمضان عام ١٣٦٨ هـ أى فى يونيه ١٩٤٩ م حقه فى منح مثل هذا الامتياز . ولم يسوّ هذا النزاع الا أخيرا كما سيتضح فيما بعد .

فى شوال عام ١٣٦٨ هـ الموافق لأغسطس ١٩٤٩ م حدث خلاف بين عبد الله وبين طائفة من التجار الكبار بشأن احتكار عبد الله لريع الزيت احتكارا تاما مما أدى الى تنازل عبد الله عن الحكم لابنه على .

وفى عام ١٣٦٨ هـ كذلك استقبلت قطر أول ممثل مقيم من قبل الحكومة البريطانية ، وهو الضابط السياسى جون ولتن John Wilton ، وقد انضم اليه منذ ذلك الوقت آخرون من الانكليز الذين يعملون بصفتهم مستشارين فى بعض مكاتب الحكومة .

العلاقات بين قطر وبريطانيا العظمى

تشبه علاقات بريطانيا العظمى وقطر فى الوقت الحالى تلك التى تربط بريطانيا بامارات ساحل الصلح البحرى ، غير أنها كانت أبطأ فى تطورها كما اختلفت عنها فى كيفية نموها .

فبين عام ١٢٢٠ وعام ١٢٧٠ هـ أى فى النصف الأول من القـرن التاسع عشر الميلادى ، بينما كانت بريطانيا تضع قدمها فى الخليج ، كانت قطر ، فيما يبدو ، منطقة تعد تابعة للبحرين . ولم يكن أحد من رؤسائها طرفا فى المعاهدة العامة التى عقدت فى عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠ م ، ولا فى الاتفاقات التى تلتها كتلك التى دعت الى عقد هدنة بحرية مداها عشرة أعوام وتلك التى تبطل تجارة الرقيق الافريقى ، ولا فى معاهدة الصلح الدائم . غير أن مراكب البحرية البريطانية تولت حماية سكان قطر وتأديبهم فى فترات مختلفة . وكما ذكر قبلا ، أشير فى تعهدات البحرين التى قطعتها للانكليز فى ذلك الوقت الى توابع البحرين ، ولكنها لم تعين احداها بالاسم .

يرجع أول اتفاق رسمى عقده أحد رؤساء قطر مع الانكليز الى شهر جمادى الأولى عام ١٢٨٥ هـ الموافق لسبتمبر ١٨٦٨ م ، وقد جاء هذا الاتفاق على أثر تبادل الهجوم بين البحرين وقطر ، ووعد محمد بن ثانى فيه بأن يحيل المنازعات على المعتمد البريطانى وانه يمتنع عن الابحـار بقصد العدوان ، كما تعهد بالابقاء على العلاقات القديمة مع الشيخ على آل خليفة رئيس البحرين . وثمة وثيقة مؤرخة فى اليوم التالى لتوقيع الاتفاق حددت مقدار الجزية التى يدفعها تسعة من رؤساء قطر وعينت

محمـــد بن ثانى وكيلا يتولى جمع هـــذه الجزية وتسليمها الى حاكم البحرين • وهناك وثيقة أخرى مشابهة لهذه ، وضعت للغرض نفسه بعد مضى ستة أشهر ، ومع أن هذه الوثيقة الأخيرة لم تسجل فى مجموعة المعاهدات التى نشرها ايتشسن ، فانها موجودة ضمن محفوظات حكومة الهند • وقد ذكر المعتمد البريطانى الذى أشرف على وضع نصوص الوثائق الثلاث جميعا ، ما معناه أن قطر مستقلة عن البحرين باستثناء ما يتعلق بدفع الجزية التى كانت تؤدى فى النهاية الى حكومة نجد •

بعد هذه الفترة بزمن قصير وقعت قطر ، الى حد غير بعيد ، تحت سيطرة الدولة العثمانية عندما رابطت حامية تركية فى بلدة الدوحة • وقد كانت بريطانيا حريصة على ألا تعترف بأى مركز للأتراك فى شبه الجزيرة على أية صورة من الصور ، ولهذا أثارت موضوع مصالح البحرين فيها باعتباره مبررا تستند اليه بعض الشىء فى دحض ادعاءات الأتراك •

وبدأت مرحلة جديدة فى العلاقات بين قطر وبريطانيا العظمى بتوقيع الاتفاقية الانكليزية التركية المؤرخـــة فى شهر شـــعبان عام ١٣٣١ هـ الموافق ليوليو ١٩١٣م التى لم يصادق عليها ، وكذلك بنشوب الحرب العالمية الأولى • ففى عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥ م أجلت المراكب الحربيـــة البريطانية الحامية التركية من مدينة الدوحة • وبعد بضعة أشهر وقع الانكليز معاهدة مع عبد العزيز آل سعود أشير فيها الى شيخ قطر بأنه « تحت حماية الحكومة البريطانية » ، ومن المنتظر أن تقرر حدود أراضيه فيما بعد • وقد تم رسميا وضعه تحت الحماية بعد ذلك بعام اذ اشترك عبد الله بن قاسم آل ثانى فى ٦ محرم عام ١٣٣٥هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٩١٦م فى المعاهدات والاتفاقات التى ارتبط بها أمراء ساحل الصلح البحرى من قبل • وفى الوقت نفسه وقع عبد الله وثيقة منفصلة تضمنت قيودا معينة تحرم (١) استيراد الأسلحة وتصديرها وشراءها الا بموافقـــة

الانكليز و (٢) تبادل الممثلين مع أية دولة أخرى دون موافقة الانكليز و (٣) التنازل عن أراض سواء عن طريق التأجير أو البيع أو النقل أو الهدية أو غيرها دون موافقة الانكليز و (٤) منح امتيازات لصيد اللؤلؤ أو أى احتكار آخر دون موافقة الانكليز . وقد تعهد الانكليز من جانبهم بحماية قطر من أى اعتداء يقع عليها من ناحية البحر من غير مبرر وأن يبذلوا مساعيهم الحميدة فيما لو هوجم حاكم قطر أو رعاياه فى داخل أراضيهم مهاجمة برية دون استفزاز .

فى خلال المفاوضات التى جرت فى العقير فى عام ١٣٤١ هـ الموافق ١٩٢٢ م ذكر السير پرسى كوكس، وهو الذى تولى عقد المعاهدة المذكورة آنفا مع عبد الله آل ثانى ، لعبد العزيز آل سعود أن قطر منفصلة عن الأراضى السعودية بخط يمتد بين سلوة وخور العديد . وبعد مضى خمسة أعوام تعهد جلالة الملك عبد العزيز فى معاهدة جدة « بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العمانى الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية» .

بعدما عثر على الزيت فى قطر عززت علاقات بريطانيا مع تلك الدولة أكثر من ذى قبل . وفى عام ١٣٥٨هـ الموافق ١٩٣٩ صدر مرسوم مجلسى خاص بقطر يتعلق بحق الانكليز ، وهو حق كانوا يباشرونه عن طريق حكومتهم فى الهند ، فى أن يكون لمحاكمهم الاختصاص فى القضايا الجنائية التى يتهم فيها الرعايا الانكليز أو الأشخاص المتمتعون بالحماية البريطانية ، وفى القضايا المدنية التى يكون فيها كلا الطرفان من هذا القبيل . وقد ذكر المرسوم بصفة خاصة أن عبارة « الشخص المتمتع بالحماية البريطانية » لا يشمل رعايا حكام البحرين والكويت وساحل الصلح البحرى ، فان هؤلاء يخضعون لقضاء المحاكم المحلية .

وقد حل محل هذا المرسوم مرسوم آخر شبيه به وضع موضع التنفيذ فى شهر جمادى الآخرة عام ١٣٦٨ هـ الموافق لأبريل ١٩٤٩ م ، وكان سبب استبدال مرسوم بآخر ما طرأ من تغيير على وضع حكومة الهند . وقد أصدرت مراسيم من هذا القبيل خاصة بالبحرين والكويت ودول ساحل الصلح البحرى ومسقط . ووضع نص يقضى بأن تنفذ فى قطر الأحكام التى تصدرها محاكم تنشأ بمقتضى هذه المراسيم فى أية دولة من هذه الدول . وقد يكون لهذا النص بعض المغزى فى ضوء اقتراح عرض حينا بعد حين يرمى الى اتحاد جميع دول الخليج الفارسى الواقعة الآن تحت الحماية البريطانية مع أن الخطوات التى اتخذت لتحقيق هذا الاتحاد لم تزل على ما يلوح قليلة .

لم يكن فى قطر قبل عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م ممثل مقيم من قبل الحكومة البريطانية غير أن ممثلى هذه الحكومة كانوا يزورونها من البحرين . وفى تلك السنة عين ضابط سياسى فى الدوحة ، فكان تعيينه دون شك ارتقابا لتوسيع نطاق علاقات قطر بالعالم الخارجى ، وقد كان هذا التوسيع شيئا لا مفر منه نتيجة لاصدار الزيت من البلاد بمقادير كبيرة .

مثل نورمن روى فوكس أندروز **Norman Roy Fox-Andrews** حاكم قطر فى التحكيم[1] الذى أجرى عام ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٥٠م لتسوية النزاع بينه وبين شركة استثمار البترول (قطر) . وكان الحكم المحايد هو اللورد رادكليف **Lord Radcliffe** أحد أعضاء مجلس صاحب الجلالة البريطانية الخاص . أما محكم الشركة فكان السير والتر مونكتن .

ويقال ان حاكم قطر قد عين أخيرا مستشارين انكليز ليعاونوه فى ادارة الأمن العام وغيرها من مصالح الحكومة .

---

(١) أنظر ص ٣١٦

الزيت في قطر

باتساع لطاق صناعة الزيت فى الشرق الأدنى ابتـداء من نحو عام ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣٠ ، أخذت قطر تجتذب الراغبين فى الحصول على امتيازات • وفى المناورات التى سبقت منح شركة بريطانية امتيازا للتنقيب فى عام ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ الموافق ١٩٣٢ م ، عرض حاكم قطر عروضا على بعض رجال الزيت الأمريكيين ، ويبدو أنه فعل ذلك بغير استشارة الحكومة البريطانية أو موافقتها • وفى خلال الفترة التى جرت فيها أعمال التنقيب فى قطر ، غدت مسألة الحدود بينها وبين المملكة العربية السعودية مسألة ذات أهمية أكثر الحاحا من ذى قبل •

قد مدت مدة اتفاق التنقيب فى خريف عام ١٣٥٣ هـ الموافق ١٩٣٤ ، وفى شهر صـفر عام ١٣٥٤ هـ الموافق لمايو ١٩٣٥ م منح شركة النفط الانكليزية الفارسية امتيازا نهائيا ، وعلى أثر ذلك أنشئت شركة استثمار البترول (قطر) المحدودة ، باعتبارها شركة تابعة لأصحاب شركة نفط العراق ، للمضى فى الامتياز • ومدة سريان مفعول الامتياز خمسة وسبعون عاما من تاريخ توقيعه ، وهو يشمل كامل المنطقة الخاضعة لسلطة الحاكم • والامتياز يخول الشركة حقوقا مطلقة فى انتاج الزيت والغازات الطبيعية ومنتجات الزيت ومشتقاته ونقلها وتكريرها وعرضها فى الأسواق • وبعد ذلك بخمسة عشر عاما تقريبا ، عينت حدود الأراضى التى يشملها الامتياز تعيينا أكثر وضوحا وأشد دقة من ذى قبل ، كما هو مبين فى هذا البحث •

ظهرت على جانب قطر الغربى فى منطقة جبل دخان بوادر تنعش الآمال الكبار فى العثور على الزيت هناك • وقد أجرى الحفر لأول مرة فى تلك المنطقة فى عام ١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ م ، وفى آخر السنة الميلادية انتهى العمل فى البئر الأولى بالنجاح وكان يقدر معدل ما تنتجه تلك البئر بخمسة آلاف برميل فى اليوم • وتمت بئر أخرى ، تعادل البئر الأولى ،بعد مضى أربعة عشر شهرا ، وكذلك حفرت بئر ثالثة أصبحت غير منتجة قبل أن يقف العمل فى عام ١٣٦١ هـ الموافق ١٩٤٢ م بعد نشوب الحرب العالمية الثانيـــة •

استؤنف العمل فى عام ١٣٦٦ — ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٧ م ، وقبل أواسط عام ١٣٦٩ هـ الموافقة لاوائل عام ١٩٥٠ م تمت سبع آبار جديدة منتجة للزيت • ويبلغ عدد الآبار المنتجة فى الآونة الحاضرة أكثر من عشرين بئرا ، ولا يزال الحفر جاريا • وبدأ تصدير الزيت من قطر فى شهر ربيع الأول عام ١٣٦٩ هـ الموافق لديسمبر ١٩٤٩ م على أثر اتمام خط الأنابيب الممتد من منطقة جبل دخان عبر شبه الجزيرة الى ميناء مسيعيد الواقع على الساحل الشرقى • وينقل الزيت الخام داخل خط الأنابيب بواسطة ثلاث مضخات أقيمت عند محطة موقتة فى الخطية ، ثم يختزن عند الميناء حيث انشئت عشرة صهاريج تتسع جميعا لنحو مليون ونصف مليون برميل • وتشحن ناقلات الزيت بواسطة خطين مزدوجين للأنابيب فى البحر قطر كل منهما ١٦ بوصة وطوله ٤٢٠٠ قدم •

أصدر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود نطقـا ومرسوما ملكيين كريمين فى شهر شعبان عام ١٣٦٨ هـ الموافق لمايو ١٩٤٩ م عرّفت فيهما المياه الاقليمية التابعة للمملكة العربية السعودية باعتبار أنها تمتد مسافة ستة أميال بصفة عامة من سواحل المملكة • وتلا ذلك أن أصدر حاكم قطر ، بناء على مشورة الانكليز ، اعلانا فى شهر شعبان عام ١٣٦٨ هـ الموافق

ليونيه ١٩٤٩ م وكد فيه حقوقه فى مياه قطر الاقليمية وفى أعالى البحار المتاخمة لها دون أن يعرف تلك المياه تعريفا صريحا .

لم تكن شركة استثمار البترول (قطر) قد قامت بعد بحفر آبار فى البحر . ولكن يظهر أن شركة جديدة ستبدأ بمثل هذه العمليات هناك قريبا ففى عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م دخلت شركة أخرى قطر ، عند ما منحها الحاكم امتيازا يشمل المناطق المغمورة التابعة لشبه الجزيرة . وقد ظفرت بهذا الامتياز شركة أمريكية اسمها شركة سوپيريور للزيت قيل آنئذ انها تشترك مع شركة انكليزية فى العمل ، ولم يعلن نص هذا الامتياز . وقد نازعت شركة استثمار البترول (قطر) حق الحاكم فى منح امتياز كهذا ، وذلك على أساس ما نص عليه فى امتيازها هى .

قد ألف فى مدينة الدوحة مجلس من ثلاثة محكمين أصغى الى أقوال المتنازعين فى شهر ربيع الثانى ١٣٦٩ هـ الموافق لفبراير ١٩٥٠ م ، ثم أعلن قراره فى نفس العام الميلادى وهو يقضى بمنح شركة استثمار البترول (قطر) حرية العمل فى الجزائر التابعة لقطر ، وفى قاع البحر وما تحت قاعه فى جميع المياه الداخلية أو المياه الاقليمية التابعة لبر قطر وجزائرها ، على أن تترك أعالى البحار المتاخمة للمياه الاقليمية للشركة صاحبة الامتياز الثانى . وأشار قرار التحكيم اشارات عـديدة الى الخط المرسوم على الخريطة المرفقة باتفاق الامتياز المؤرخ فى سنة ١٣٥٤ هـ الموافقة ١٩٣٥ م ، وهذا الخط ، كما ذكرنا آنفا ، يمثل الحد الجنوبى للمنطقة التى يحكمها حاكم قطر .

أما أصحاب امتياز المناطق المغمورة ، فانهم سائرون قدما فى استثمار امتيازهم . وقيل أخيرا انه شرع فى تأليف شركة جديدة هى شركة الزيت البحرى الدولية المحدودة International Marine Oil Company, Ltd. للقيام بهذا العمل ، وتساهم فيها شركة سوپيريور للزيت ، وشركة التعدين والاستثمار المركزية المحـدودة Central Mining and Investment Corporation, Ltd. وهى شركة بريطانية .

حكومة قطر

كانت حكومة قطر برئاسة آل ثانى الى وقت غير بعيد تحذو حذو النظم المفككة السائدة فى امارات ساحل الصلح البحرى • وفى خلال الأعوام الثلاثة الماضـية حاولت بريطانيا تعـزيز مركز الحكومـة بممثل مقيم ومستشارين غير أن نتيجة ذلك لم تتكشف معالمها بصورة كاملة جلية بعد •

يعاون بعض رجال آل ثانى الحاكم فى أعماله ، ولسكرتير الحاكم ورجال آل درويش ، وهم يعملون فى التجارة ، نفوذ ملحوظ • وفى أثناء الاضطرابات التى وقعت فى عام ١٣٦٨ هـ الموافق ١٩٤٩ م والتى تمخضت عن تنازل عبد الله بن قاسم آل ثانى عن الحكم لابنه على ، بادر عبد الله آل درويش فسبق عبد الله آل ثانى الى زيارة سمو الأمير سعود بن جلوى فى الحسا • ويحتمل أن تكون هذه الزيارة بقصد اقناع الأمير سـعود بالتوسط لمصلحة الحاكم المنخلع •

والحاكم السابق المسن يعيش فى عزلة هادئة فى الريان ، غير بعيد من الدوحة • وأما حفيده أحمد بن حمد فهو سكرتير الحاكم ويظهر أنه شاب ممتاز له سمعة طيبة ويظن البعض أنه يحتمل أن يخلف عمه الحاكم • ومن أعضاء الأسرة الحاكمـة الآخرين المعروفين بنشـاطهم فى شئون الحكم قاسم بن فيصل ، الذى كان مندوبا مقيما من قبل الحاكم فى المنطقة التى تقوم فيها شركة استثمار البترول (قطر) بأعمالها ، وخليفة بن حمد بن عبد الله ، الذى كان رئيسا لقوات البوليس والأمن العام •

لم تظفر حكومة قطر قط بالسيطرة التامة على البدو الذين يدخلون شبه الجزيرة ويجولون فيه ويخرجون منه . وفى الوقت الذى تحتفظ فيه المملكة العربية السعودية على الدوام بدورية من دوريات الحدود فى جنوب شبه الجزيرة ، لايعرف أن حاكم قطر قد أشرف اشرافا منظما على تلك المنطقة فى أى حين من الأحيان . ويبدو كذلك أن حكومة قطر لا تشرف الا اشرافا ضئيلا على موانى البلاد وسواحلها ، اذ تشير التقارير السنوية لحكومة البحرين فى خلال الاثنتى عشرة سنة الماضية الى أن ثمة أشخاصا كثيرين نازحين من قطر الى البحرين دون جوازات ، تسللوا خلسة أو حاولوا التسلل خلسة . وتشير هذه التقارير كذلك الى أن قطر ما فتئت سوقا للسلع المهربة من البحرين ، والى كشف أمر منظمة كانت تقوم ببيع السلع المسروقة المرسلة من قطر .

